الفرق في الإسلام في مئة سؤال وجواب

جذورها وحاضرها

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١١/٩/٣٥٨٦)

٢٥٠
السيد ، محمد حمدان
الفرق في الإسلام في مئة سؤال وجواب – جذورها وحاضرها/ محمد حمدان السيد._ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١١.
(٢٣٨) ص
ر.أ.: (٣٥٨٦/ ٩/ ٢٠١١).
الواصفات: / الفرق الإسلامية/

❖أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية
❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E- mail: daralmamoun@maktoob.com

الفرق في الإسلام في مئة سؤال وجواب

جذورها وحاضرها

محمد حمدان السيد



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

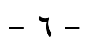
بسم الله والحمد لله.. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله.... وبعد:

فإلى والدي ووالدتي رحمهما الله.. اللذين وضعا اسم الله على لساني منذ وعيت ودرجت فوق مدارج الحياة.. ودلاني على آيات الله وهما الأميّان منذ كنت في بدايات عمري، حيث حبّذا لي خول الكتّاب المنعقد في المسجد في أحد أحياء مدينة حيفا، فدرج على لساني من هناك كلام الله.. وصحيح اللغة، وقراءة الصحيفة وروايات بني هلال والزير" ددخول المدرسة الابتدائية في بلد الشيخ عام ١٩٤٧.

إلى روحيهما الطاهرتين أهدي هذا النتاج من القول، الذي أرجو الله أن يتقبله عملاً خالصاً لوجهه، لا أبتغي منه إلا تنبيه الغافل والذود عن حياض الإسلام الحق...

والله أسأل أن يجزي كل من أعان في إنجازه خير الجزاء، وكذلك كل من شجعني وعاضدني في تحريره... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد



مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن الصحابة الغر الميامين، ومن تبع هداهم، واقتدى بسيرتهم من التابعين وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدين، وبعد ..

فقد استيقظت يهود، فإذا النبي الذي كانوا يستفتحون به على العرب، وأن زمانه قد أظلهم، وأنهم سوف يكونون أتباعه، ويسودون بسيادته وامتداد دعوته، أقول: استيقظت يهود فإذا بهذا النبي الذي كانوا ينتظرون ظهوره لم يأت على قدر آمالهم وآمانيهم، إنه النبي العربي القرشي الهاشمي، وإذا بدعوته تحيي سنن موسى عليه السلام، وتفند كثيراً مما ادعته يهود، وحرفت به تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام، بما يناسب مصالحهم الدنيوية المادية القريبة. وإذا بهم تدفعهم طبيعتهم المعاندة المجادلة، وأنانيتهم الصغيرة الهابطة إلى معاداة هذا النبي الكريم - ﷺ - فيلجأ بعضهم إلى لعبتهم القديمة الجديدة، التي تتلخص باعتناق الإسلام ظاهراً.. والدس والكيد لهذا الدين في السر والعلن، وذلك من خلال زعزعة الصف وخلخلة العقائد، وإفساد ذات البين.

كما انتبه العديد من الفرس الذين أعماهم الضلال عن مشاهدة النور الجديد؛ فإذا بجحافل الفتح الإسلامي تنداح في الأرض، لتدك ممالك الظلم والطغيان، و لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار، وقد آلم هؤلاء أنَّ قوى الظلم التي يوالونها ويطمعون - من خلال فطرهم المعوجة - في بناء طموحاتهم تحت ظلها، لم تستطيع الصمود أمام جحافل النور المتدفقة، فاضطروا للكمون لفترة وجيزة، متسترين بقشرة ظاهرة من الإسلام، تعتمل تحتها مراجل تغلي من جمر الحقد والحسد والكراهية، لم تلبث أن ظهرت فيما بعد حرباً شعواء حاقدة، تتبدى في صور وعقائد وأقاويل ينسبونها إلى الإسلام زوراً وبهتاناً، وهي في حقيقة أمرها نفثات من تلك المراجل الحاقدة، هدفوا من بثها إفساد هذا الدين، وإغراق أهله بالفتن، وذلك لزعزعة عقائدهم الصافية النقية، وخلخلة الصف المؤمن، المندفع لتخليص العالم من ترهات البشر وضياعهم في ظل عقائد تؤله الإنسان، وتبث الظلم والحقد والكراهية بين بني آدم، وصدق الله العظيم القائل في

كتابه الكريم: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ولقد نبأنا رسولنا الكريم - ﷺ- الذي لا ينطق عن الهوى بقادمات هذه الفتن، كما حدثت وتوجهت إلى بث سمومها، إذ قال في الحديث الذي رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: كان الناس يسألون رسول الله- ﷺ- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر ؟ قال: «نعم» قلت له: هل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: «نعم وفيه دخن». قلت: وما دخنه ؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «نعم، هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: يا رسول الله ما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

إذن فهي فرق، ورجالها دعاة على أبواب جهنم، يقذفون بالمستجيبين لمفترياتهم فيها، وهم من أبناء جلدتنا، المتكلمين بلغتنا، بل من الضليعين فيها، فهم أصحاب ألسنة وحجة يزينونها للناس، مستغلين عواطفهم وضعفهم.

وقد يقول قائل، ويدعي مخاتل: ما لنا نُعوِّج على مسألة تاريخية مضى زمانها وانقضى، ولم يعد لجماهيرنا اليوم صلة بذلك التاريخ، أو فائدة لها ترجى من إثارة موضوعها في يوم الناس هذا ؟!

ونقول: لا .. ليس الأمر بهذه البساطة، ولا بهذا التسطيح، ولولا أن للقضية امتداداً فكرياً وعملياً حتى يومنا هذا، ولولا أن تلك الفرق وصلت يومها بأمسها، ونفذت حتى إلى غدنا، وأصبحت ظنينة بالاختباء وراء كثير من الأفكار التي تجوب آفاقنا بأزياء عصرية، لما وجدنا حاجة إلى الكتابة في الموضوع وتبنيه، وتنبيه الأفهام إلى ما

يتوارى خلف الأكمة، أو يظهر دون غـلاف ولا تمويـه، مخترقـاً صـفوف أحـزاب ادعـت لنفسها نبذ الفرقية والطائفية، فبقي ذلك الادعاء قشرة رقيقـة هـشة، عشـشت في باطنهـا فرق الضلال والشعوبية، مستغلة ذلـك الانفتـاح الـذي لم يغلـق في وجـه الخـير والهـدى والفلاح، الذي تؤمن به أكثرية جماهير هذه الأمة.

نعم لقد قامت تلك الفرق ونمت وترعرعـت في حقبـة تاريخيـة سـبقت وانقـضت، وحمّلت ديننا ما ليس منه، وذلك بأفكار دخلت على النـاس وحيـاتهم ومعتقـداتهم بنيـة سيئة مبيتة أو بحسن نيَّة. فقد هاجمـت الفلـسفة اليونانيـة ووثنيتهـا، ومبـادئ «زرادشـت» وضلالها، وتهويمات الهنود وعدميتها، وتجسيدات اليهوديـة ومفهومـانهم الـسوداء المحرفـة عن الإلـه وتـصرفاته وصـفاته، أقـول: هاجمـت تلـك الـضلالات، واسـتعمرت رؤوس الحاقدين من الشعوبيين الذين لم يجاوز الإسلام والإيمان ألسنتهم، وبقيـت قلـوبهم تغلـي بأحقاد نار المجوس، ورؤوسهم تمتلئ بعناد يهود، وانحراف فطرهم وأحلامهم، وقد تعبأت كياناتهم بحلم اليوم الذي يستطيعون فيه إعادة عجلة التـاريخ إلى الـوراء، ليزلزلـوا كيـان دولة الإسلام الفتية، فيعيـدوا إلى الوجـود أجـداث أمجـاد لامبراطوريـات أبادهـا الظلـم والظلام واستعباد الإنسان، مستغلين في ذلك ثغرات كثيرة كانـت تتبـدى في جـدار هـذه الدولة، كلما زحفت بأنوارها نحو أرض جديدة، هذا إلى جانب استغلالهم لميـزة التـسامح والانفتاح، التي توجت بها عقيدة هذه الدولة رأسها ومنهجها. ولقـد كـان مـن جملـة مـا دفعنا إلى الكتابة في هذا الموضوع الخطير، ما يلاحظه الدارس لتاريخ كفاح هذه الأمـة، في القديم والحديث من إقدام كل الغزاة على ركوب أحصنة هذه الفرق للدخول إلى البيت، وبعث الفرقة بين أهله وأفراده، ولقـد وقـع الـدليل علـى ذلـك في كـثير مـن الأحـداث العظيمة، التي خاضتها الأمة ضد أعدائها؛ ففي حروبها مـع الإفـرنج، يقـف النـصيريون والإسماعيليون مع الغزاة الصليبيين، ضد أمتهم وأبناء جلدتهم، مما يضطر شيخ الإسـلام «ابن تيمية» أن يصدر فتواه الـشهيرة بـتكفيرهم، وإهـدار دمـائهم. وفي غـزو «هولاكـو» لبغداد، يقف الباطنيون من أهل الفرق المارقة الضالة ويهود في صفه، ليدلوا على عورات المسلمين، وأهل الشرعية من العائلات الحاكمة وغيرها. وهؤلاء هم الحشاشون المتفرعون عن الإسماعيلية، يحاولون مرات عديدة التآمر علـى صـلاح الـدين، يـوم كـان مـشغولاً

بإعداد العدة لحرب الصليبيين، فيقوم بعض منهم من الذين يأتمرون بأمر الحسن بن الصباح عن بعد، وكانوا يتحصنون بحصون الساحل السوري، بمحاولة اغتيال صلاح الدين، والقضاء عليه دعماً لحلفائهم وأصدقائهم، من الغزاة المتسترين بالمسيح[1].

وما تزال هذه الفرقة تعمل في بلاد الإسلام، إلى يوم الناس هذا؛ تخرب العقائد، وتفسد الأخلاق، وتتبنى تفسيرات قرآنية وفقهية، مستمدة من فلسفات يونانية ويهودية ومجوسية، وهي تعمل على مساحات شاسعة من أرض الإسلام، في نيروبي، وزنجبار، ومدغشقر، والكونغو، والهند، وباكستان، وسورية.

ولقد أنتجت الفرق الباطنية حركات حديثة، وشخصيات قامت ونشأت وترعرعت بين ظهراني المسلمين، فقدمت الخدمات الفكرية واللوجستية للمستعمرين، وذلك بتوطئة الأرض تحت أقدامهم، ويكفي أن يقرأ المرء الفقرة الآتية ليعرف إلى أي مدى كان المسلمون بأمسِّ الحاجة للتعرف على هذه الفرق وفعالها، وهي تعيش بين ظهرانيهم حتى اليوم تحت عناوين مختلفة.

يقول غلام أحمد القادياني، زعيم الحركة القاديانية الحديثة؛ إحدى متفرعات فرق الضلال:

«لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي، لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية، والنصح لها والعطف عليها، وأنفي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة»[2].

إذن فمعمول الباطنية مازال يعمل في الهدم إلى اليوم، والصرح الذي رفعته هذه الأمة في ساحات المجد، لم يسلم حتى اللحظة من مؤامرات الأوكار، التي تعمل ليل نهار من أجل الإتيان على القواعد، التي عمرت بها هذه الأمة الأرض يوماً ما. وليخلو الساح

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ، الطبعة الأولى ١٩٨٦، ص ١٨١.

(٢) أضواء على الحركات الهدامة (ثلاث رسائل عن القاديانية)، (د.ت)، الندوي والمودودي ومحمد الخضر حسين، (د.ط)، مكتبة دار البيان، الكويت، ص٧ نقلاً عن: ملحق بكتاب شهادة القرآن لغلام أحمد القادياني، (ط٦)، ص١٠

لهذه الأوكار الخفية والظاهرة، ومن ثمَّ للأسياد المخططين، المستفيدين الأوائل من عمل هؤلاء. ولا أدلَّ على صدق ما نقول ما يحدث في العراق اليوم من استغلال المحتلين الأمريكيين لهذه الفرق وتوظيفهم؛ لتثبيت احتلالهم وتحقيق مطامعهم متسترين بشعارات براقة خادعة كعادتهم.

من أجل ذلك جاء هذا الكتاب، كجهد متواضع، يعبئ للغَيْرَة على هذه الأمة، التي كثرت السكاكين حول عنقها، في عصر ضاعت فيه المبادئ والقيم، وسادت المصالح والانتهازية والمكر أو ما سمي بـ «البراغماتية».

ومن أجل تقريب الهدف، والوصول إليه من أقصر الطرق، وأسلسها، وأقربها إلى الأفهام، جاء بناء الكتاب على شكل سؤال وجواب، متضمناً شروحاً وتفصيلاتٍ عن أهم هذه الفرق، ومتفرعاتها وتفريخاتها الحديثة ..

وقد قمت بتوزيع موضوعات الكتاب على ثلاثة أبواب:

١- **الباب الأول:** خصصته للحركة الباطنية التي عملت مباشرة، وبسابق عمد وإصرار ونية مبيتة؛ لبث ضلالها وتخريب مسيرة الأمة.

٢- **الباب الثاني:** خصصته للفرق التي عملت تخريباً، ولكن بنية الإصلاح دفعها إلى ذلك سوء الفهم، وجمود الفكر وضيق الأفق.

٣- **الباب الثالث:** خصصته لمنهج أناس من المسلمين، هالهم عمل الباطنية والمارقين، وهم من الذين جمدوا وتوقفوا عن التفكير، فقاموا ينافحون عن الأمة، إلا أنهم أخطأوا الطريق، وضلوا السبيل، واتخذوا من بضاعة الآخر مادة ومنهجاً، منبهرين بما عند الفلاسفة والمناطقة وأهل الكيد من بضاعة رائجة، فأساءوا من حيث أرادوا الإحسان.

والله المستعان وعليه التكلان وبه ومنه القوة ..

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

الباب الأول

الباطنية (مَنْ عَمِلَ بِنيَّةٍ مسبقةٍ للهدم والتدمير)

أ - الفصل الأول من الباب الأول: تعريفات

١- معنى الباطنية

٢- كيف بدأت الفكرة ومتى وعلى يد من؟

٣- كيفية البداية بالتفصيل

٤- أهداف وغايات الحركة الباطنية

٥- جذور الحركة

٦- ثبت بأسماء الفرق (ليس حصراً)

٧- ما هي الفرق التي استمر حضورها إلى عصرنا الحاضر؟

٨- ما هي الآثار العامة التي خلفتها تلك الفرق في المجتمع الإسلامي تاريخياً؟



الفصل الأول

تعريفات

معنى الباطنية:

حملنا موضوع تعريف الباطنية إلى زبيد في اليمن، حيث استقر المقام بمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي (٧٢٩- ٨١٧ هـ) قاضياً هناك، في حضرة الملك الأشرف إسماعيل من زبيد. فإذا الطلاب في حضرته خلق كثير، وإذا الهيبة تتوج ناصيته، تاجاً مرصعاً بِدُرِّ الفنون والعلوم، فاستقبلنا الرجل بتواضع العالم، ثم سألَنا عن حاجتنا، فابتدأناه بالسؤال الآتي:

يا صاحب القاموس وسادن اللغة والناموس:

السؤال الأول: ماذا تعني الباطنية في قاموسك ؟ فقال - رحمه الله -: الثلاثي منها (بَطَنَ)، يعني خَفِيَ، فهو باطن، وجمعه بواطن، وهو داخل كل شيء. ومن الأرض ما غمض. والبِطانة بالكسر: السريرة والصاحب، ومن الثوب خلاف ظهارته، وقد بطن الثوب تبطيناً وأبطنه.

ثم تجاوزنا الزمان والمكان، لنحط على أرض مصر، فنسأل أصحاب المعجم الوسيط، الذي أخرجه مجمع اللغة العربية هناك - عن معنى الباطنية ليقولوا لنا: الباطنية فِرق من الشيعة، تعتقد أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وتمعن في التأويل ومنهم الإمامية.

وبينما نحن على هذا الحال نستمع إلى صفو الكلام من رجال المعجم الوسيط، إذ بالشهرستاني المشهور، يبعث بصدى علمه من خلف القرون، فيقول: «وإنما لزمهم هذا اللقب «الباطنية»، لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة مع هذا اللقب؛ فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية بخراسان: التعليمية والملحدة»[1].

ولم يقف بنا الجواب عند ذلك الكتاب، بل رفرف بنا الجناح، وحلّق بنا مشرقاً إلى

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الوكيل، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، ص ١٩٢.

بغداد، حيث شارك الدكتور محسن عبد الحميد، في الكلام على هذا التعريف، فقال: «وسبب تسميتهم بالباطنية هو أنهم قالوا: إن الإمام مستور، وإنه قد استمر مستوراً إلى أن أنشئت لهم دولة بالمغرب، ثم انتقلت إلى مصر. ولأنهم يقولون: إن للشريعة ظاهراً وباطناً، وإن الناس يعلمون علم الظاهر، وعند الإمام علم الباطن، بل إن عنده باطن الباطن، وأولوا على هذا آيات القرآن الكريم تأويلات بعيدة»[1].

ولكننا لم نكتف حتى الآن بما سمعناه، فرجعنا من بغداد إلى موطننا الحبيب فوق روابي عمان الجميلة، لنسمع الدكتور محمد الخطيب يقول عن الباطن والباطنية:

«وقيل إن معناه علم السرائر والخفيات، وقيل أيضاً: هو العالم بكل ما بطن، يقال: بطنت الأمر إذا عرفت باطنه، والباطني: هو الرجل الذي يكتم اعتقاده فلا يظهر إلا لمن يثق به. وقيل: هو المخصص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقيل: هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً. فلفظ الباطني يدل إذن على ثلاثة معان»[2].

ثم يضيف: «وكما يقول أبو حامد الغزالي: إن الباطنية إنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن، تجري في الظاهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة»[3].

وهكذا فقد تعبنا من التجوال، وحطت بنا الرحال عند الاطمئنان إلى أن الباطنية هي هذا الذي اتفق عليه هؤلاء الأعلام، من المحدثين والمغرقين في الزمان والقدم...

ومن ذلك التحوال تحققت لنا حتى الآن خلاصة تقول: إنّ الباطنية تعني الإيمان:

(أ) بأن للقرآن ظاهراً وباطناً.

(ب) وأن التأويل هو الذي يوصل إلى علم الباطن.

(ج) وأن هذا العلم سِرٌّ خاص، يَطّلع عليه ويعرفه أهله من أصحاب السرائر والأقداس.

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، (د.ت)، د. محسن عبد الحميد، (ط٢)، المكتب الإسلامي، ص ٢٧.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، (١٩٨٤)، محمد أحمد الخطيب، (ط١)، مكتبة الأقصى، ص ١٩، نقلاً عن المعجم الفلسفي لجميل صليبا ج٢، ص ١٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠.

(د) وأن هذا يقتضي كتمان العقيدة إلا لمن فيه ثقة.

وبذلك فقد ختمنا الرحلة، وطوينا الأجنحة، ونرغب في سياحة وراء سؤال جديد. فلقد أسلَمَنَا التعريف بالباطنية إلى أحضان الفضول لمعرفة:

السؤال الثاني: كيف بدأت فكرة الباطنية ومتى وعلى يد من .. ؟

وهنا فزعنا إلى النذير البشير، رسول الأمة، وجلاء الغمة، حبيبنا محمد - ﷺ- لنجد عنده ما يشير إلى واقع الحال، حيث نبوءته بما سيؤول إليه الزمان من تغير في أهله، وانحراف في زيّه، وإشارته هي القول الفصل، تحذيراً وترهيباً من هذه الفرق، ومن تلك السبل التي زاغت عن سواء السبيل.

روى أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة عن رسول الله - -ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده! لتفترقن أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة! فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» [(١)] قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة[(٢)].

وعن العرباض بن سارية قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذا موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً فإن من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(٣)].

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، (١٩٨٥).، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط٥)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١١، ص١١٤.

(٢) المصدر السابق، ج١١، ص١١٤.

(٣) رواه الترمذي، وهو لفظ أبي داود، وصححه أبو داود والترمذي.

إذن فها هو البشير النذير عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، يبين لأصحابه ولأمته من بعده، أن يحذروا من الخروج عن السنة والجماعة، وذلك كي يبقوا في حظيرة الإسلام، بعيدين عن سبل الضلال والفساد، كما ينبئ الناس بأن الأمة ستختلف، وأن بذور الفرقة ستذرُّ بين صفوفها، وأن النجاة في التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، وبالطاعة والابتعاد عن خلع اليد من الطاعة والجماعة.

فهل من سبيل لمعرفة كيف بدأت الباطنية، وبمن بدأت وأين ..؟

نعم، إن السبيل إلى ذلك ميسر، فلنهمز الركاب، ولنعوّج في طريقنا على التاريخ وكتبه، فصفحاته تحتوي بلاغة الحقيقة، و ها هو ابن كثير يحدثنا في تاريخه (البداية والنهاية) فيقول: «ذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يُقال له «عبد الله بن سبأ» كان يهودياً، فأظهر الإسلام، وسار إلى مصر، فأوحى إلى طائفة من الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه، مضمونه أن يقول للرجل: أليس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل: نعم. فيقول له: فرسول الله - ﷺ- أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام. ثم يقول: وقد كان أوصى إلى علي بن أبي طالب، فمحمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم يقول: فهو أحق بالإمرة من عثمان، وعثمان معتد في ولايته ما ليس له، فأنكروا عليه، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فافتتن به بشر كثير من أهل مصر، وكتبوا إلى جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة، فتمالؤوا على ذلك، وتكاتبوا فيه، وتواعدوا أن يجتمعوا في الإنكار على عثمان، وأرسلوا إليه من يناظره»[(١)].

فأنت إذن تؤيد ما ذهب إليه ابن كثير، من أن الذي بدأ الدعوات الباطنية في المجتمع الإسلامي هو ابن سبأ، وأن البداية من مصر وكانت في خلافة عثمان رضي الله عنه وأرضاه ؟

ليس هذا دليلي فحسب، بل تعال بنا نحلق هذه المرة، فنركب الأثير إلى بيروت، لعلنا نجد عند الدكتور عمر فروخ ما يشير إلى ما ذهب إليه ابن كثير، ولنقرأ بتمعن ما

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (١٩٨٥)، تحقيق: د.أحمد أبوملحم وآخرون، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، م٤، ج٧، ص١٧٤.

يقول: «ليس عجيباً أن يكون أول القائلين: رجوع رسول الله - ﷺ- عبد الله بن سبأ، الذي مهد الطريق لأصحاب الفكر الباطني أن يقولوا بالرجعة وبالتناسخ، وهي العقائد المستقاة أصلاً من الفلسفة اليونانية والعقائد الهندوكية»[1].

ولكن هذا ليس كافياً للإقناع، فهل عندك من أدلة غير ما قلت ؟ تعال معي في جولة على بعض المصادر :

يقول الشهرستاني:

«عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرم الله وجهه: (أنت أنت) وهو يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن .. وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام، مثل ما قال في علي - رضي الله عنه- وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة على - رضي الله عنه - ومنه انشعبت أصناف الغلاة.

... وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي - رضي الله عنه- واجتمعت عليه جماعة، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ...»[2].

وإذا أردت تأكيداً على هذه المعاني، وتأييداً لوجود ابن سبأ، وأنه أول من بث الفكرة الباطنية بين المسلمين، وجمع حوله الناس في مصر، من أجل هدم الخلافة، فارجع إلى الجاحظ في البيان والتبيين ج٣ / ص ٨١/ ط ٤ وارجع إلى معارف ابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، ثم عرِّج على مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص٨٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، واقرأ في كِتابِ (المقالات والفرق) للنوبختي ص٢١ طبعة طهران، تحقيق محمد جواد شكور.

وكذلك البغدادي في الفَرق بين الفِرق، وابن أبي الحديد الشيعي في شرح نهج البلاغة ج٢ / ص ٣٠٩.

والقاضي عبد الجبار المعتزلي في تثبيت دلائل النبوة ص ٥٤٧، وتحقيق عبد الكريم عثمان.

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة،،ص٢٣، نقلاً عن كتاب تاريخ الفكر العربي،١٩٧٢، د. عمر فروخ، ص ٨١،

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني،، ج ١، ص ١٧٤

وكل هذه المصادر تؤكد أن ابن سبأ شخصية تاريخية يهودية، مارس دوراً سياسياً، كان البادئ في بذر بذور الفتنة، في الساحات الإسلامية، وبث بذور الفرقة في مصر ضد عمرو بن العاص والخلافة... [1].

وسوف أختم لك البرهان بأقوال تاريخية أقرأها لك، فأصغْ السمع وتدبر:

قال ابن عساكر: كان ابن سبأ يهودياً، فأظهر الإسلام، وطاف ببلاد المسلمين، ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويدخل الشر بينهم، ودخل دمشق لذلك.

وقال المقريزي: ومِنْ ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة، وعنه أخذوا القول بأن الجزء الإلهي يحل في الأئمة»[2].

كفاني هذا الذي أتَيْتَ به من براهين، فهي دامغة راسخة فيما ذهبت إليه من قول، وقد ثبت لديّ الآن:

- أن ابن سبأ كان البادئ في بث الفكر الباطني، متستراً بالإسلام، منذ فترة مبكرة في عهد عثمان، ومن بعده في عهد علي - رضي الله عنهما - فهناك نصوص تقول: إن علياً همّ بحرقه عندما قال له: أنت أنت.
- و أن ابن سبأ هذا، إنما بلور دعوته، وركز نشاطه منذ عهد عثمان - رضي الله عنه- إذجمع الجموع التي انقضت على الخليفة عثمان، وكانت بدايته من مصر ثم انتشرت.
- وأن ابن سبأ هذا استعلن في دعوته، مستغلاً غياب علي - رضي الله عنه - بعد مقتله، ومن عنده تكاثرت الدعوات الباطنية، ونظمت نفسها، وانتشرت في عرض البلاد وطولها.

السؤال الثالث: ولكن هل لك أن تشرح لي كيفية بداية الباطنية بالتفصيل، الذي يجلي غامضها؟

حباً وكرامة يا ابن أخي ..

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص ٢٧

(٢) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، ، ص ٢٨ .

هذا الموضوع كما تعلم واسع ومتفرع وطويل، ولكنني سوف أختصر، فأقدم لك ما هو مفيد من القول إن شاء الله:

لا يمكن لدعوة أو فكرة أن تمتد، وتنتشر وتتسع رقعة نفوذها، إلا إذا كانت هناك نفوس مهيأة لحمل تلك الدعوة أو الفكرة، وإلا إذا كانت الأكناف موطأة والأرض ممهدة.

ولقد قلنا في الإجابة على السؤال السابق: إن ابن سبأ هو أول من بدأ هذا الشر، فبذر الفكر الباطني، متستراً بالإسلام، وحب علي وآل البيت، ولكن: هل بذر هذا الباذر بذوره في أرض قيعان ؟ أم كانت الأرض قابلة لتشرب الفكرة وتنبت شرورها، أم ماذا..؟

إن الجواب يقتضي منا أن نعود قليلاً إلى الوراء، لنصل إلى أيام الرسول - ﷺ- لنجد أن الشبهات والعقائد الفاسدة، التي حاول أن يبذرها هذا المنافق الكبير «ابن سبأ»، إنما نزلت على الناس وفيهم سمّاعون للضلال، ونفوس بعضهم تجيش بالنفاق منذ أن كان صاحب الدعوة الأول بين ظهرانيهم عليه الصلاة والسلام، منهم من لم يرض بحكم رسول الله - ﷺ - ولا بقسمته، ومنهم من أثار مسائل من الفكر لا مبرر لإثارتها، ومنهم من كان يلح بالسؤال عما نهوا أن يسألوا عنه، ومنهم من جادل وماری بالباطل فيما لا يجوز الخوض فيه .. [1].

ولنستمع إلى حديث ذي الخويصرة التميمي[2]:

قال الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال: «أتى رجل النبي -ﷺ- بالجعرانة مُنصَرفَه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله - ﷺ - يقبض منها، ويعطي الناس، فقال: يا محمد! اعدل. قال: «ويلك! ومن يعدل إذا لم

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٩

(٢) صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (١٩٩٤). ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط١)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، باب الزكاة، ج٧، ص١٥٩. وفي صحيح مسلم جاء: حدثنا محمد بن رمح المهاجر، أخبرنا الليث عن يحيى بن سعد، عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال الليث بن سعد...

أكن أعدل ؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن، لا يتجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية»[1].

وفي رواية أخرى للحديث قال ذو الخويصرة للرسول - ﷺ -: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل. ثم عاود اللعين فقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى»[2].

وإنك لترى الاعتراض الشديد اللهجة على حكم الرسول - ﷺ-، الذي لا ينطق عن الهوى، وذلك انطلاقاً من تحسين العقل للرأي الذي لا سند له ولا منطق فيه، وهي طريقة في الزيغ عن حكم الله ورسوله والانحياز إلى العقل والرأي والهوى .. ولذا قال رسول الله - ﷺ- في الرواية التي أوردها الشهرستاني، والتي أوردت قسماً منها آنفاً: «سيخرج من ضِئضِئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...»[3].

وهكذا كانت بدايات مقابلة حكم الله ورسوله، بالهوى والرأي والعقل، وقد امتد هذا الأمر مع الزمن، وتشعب واتخذ أشكالاً وأزياء متنوعة، لكنه كان على كل حال أساساً لكثير من الانحرافات والشبهات والدعوات الهدامة، التي وجدت أرضاً مهيأةً عند من هم على شاكلة ذي الخويصرة، الذين أعماهم الهوى وعبادة العقل والرأي، وظلت نفوسهم تساكن الجاهلية بعماها، ولم تغادرها إلى الإسلام بصفاء، وفي عصرنا هذا انتشر هذا الاتجاه انتشار النار في الهشيم مستتراً بدعاوى العقلانية والحداثة والعلمانية والليبرالية، التي أعمت المفتونين بها عن رؤية الحق واتباعه.

ومما يزيد في فهم وتوضيح بدايات الفكر الباطني الماكر، ويبرهن على وجود النفوس المهيأة، والأكناف الموطأة لحمل هذا الفكر أن أناساً ممن كانوا يعدون من المسلمين في الظاهر، في عهد رسول الله - ﷺ - قالوا عند الخروج إلى أحد: «**هل لنا من الأمر**

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير في ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، ج٣، ص٦٨٧.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠.

شيء» ثـم قـالوا: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾[1]. ولقـد كـان هـذا الفكـر هـو بدايات القدرية والقول بها.

وذهب أناس آخرون إلى القول: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾[2]، ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾[3]. وهيأ هذا إلى قول بالجبر!

ثم امتد الأمر إلى ما بعد لحاق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى، حيث تحزب بعض المسلمين مع طلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - ضد أمير المـؤمنين علـي - كـرم الله وجهه -، وخرجوا لقتاله، ليس اجتهاداً كما كان موقف أولئك الصحابة، وإنمـا حبـاً بالفتنة وإفساحاً في القوس ليضم ما هو أبعد من نتائج هـذا الخـلاف الاجتهـادي، الـذي وقع بين على - رضي الله عنه - وطلحة والزبير وعائـشة - رضـي الله عـنهم- ولا أدلّ على ذلك من جمعهم الجموع، وتحريكهم للفتنة بين الصفين، كلما حاول المصلحون إخماد نارها.

فإنه لما بعث علي إليهم بعبد الله بن عباس - رضي الله عنه -، وبعثوا إليه محمد بن طليحة السجاد - رضي الله عنه -، وبات النـاس بخـير ليلـة، قـد وطنـوا أنفـسهم علـى الصلح، ووقف القتال، بات قتلة عثمان «السبئيون» بشر ليلة، وباتوا يتشاورون في كيفيـة نقض ما توصل إليه الفريقان من الصلح وحقن الدماء، واتفقوا أخيراً على أن يتفرقوا في الصفين، ويقتل كل واحد منهم أقرباءه من الـصف الآخـر، وفعـلاً قـاموا بـذلك الفعـل الشنيع، فثار كل فريق إلى سلاحه، وركبوا الخيول وتدرعوا بالدروع، وقامت الحرب على قدم وساق[4].

وهكذا جاءت دعوة ابن سبأ - لعنه الله - فوجدت أرضـاً ممهـدة، ونفوسـاً قابلـة، وفتنة ثائرة عالية الغبار، ضبابية الرؤيا، استعملها فيما بعد لتضليل المسلمين، ولتبني أرائـه

---

(١) آل عمران (١٥٦).

(٢) يس (٤٧).

(٣) النحل (٣٥).

(٤) البداية والنهاية، لابن كثير الدمشقي، م٤/ ج ٧/ ص ٢٥١.

في ألوهية علي – رضي الله عنه – وأنه سوف يعود ولم يمت، كما قـال بتناسـخ الأرواح، وبانتقال الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي – رضي الله عنه – وجمع النـاس حولـه بتـستره خلف دعوته إلى أولوية علي بالخلافة، وهو ما قامت الإمامية عليـه فيمـا بعـد، ورفعـت بناءها فوق أسسه. كما أن دعوة الخوارج، الذين خرجوا على علـي – رضـي الله عنـه – بعد أن كانوا من أتباعه قد وقعت على تلك النفـوس الهـشة، فوجـدت الـسَّقط وزائغـي العقيدة والحرفيين ممن يتبعون كل ناعق، ووقع ما قاله رسـول الله – ﷺ –: «يهلـك فيـه اثنان؛ محبٌ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ»، أي في علـي – رضـي الله عنـه – ومـن هـاتين الفئـتين انشعبت كل فرق الضلال والزيغ، وعلى بنائهما بنت، ومن حمئتهمـا اغترفـت، ولطخـت مسيرتها، بتخريب العقائد والأديان، بالوثنيات والتجسيمات والتشبيهات المـستوردة مـن عقائد المجوس واليهود والإغريق أو باتباع الهوى وتحسين العقل والرأي في مقابل النص.

وهنا أقول: إن الذي قدمته بين يدي الـسؤال مـن معلومـات كـافٍ، ولكـني أعـاود السؤال، وأرجو أن لا يزعجك هذا.

لا .. أبداً سل ما بدا لك.

السؤال الرابع: إذا كان لكل عمل أو جماعة أو حركة هدف، تريد الوصول إليه من خلال حراكها وجهدها، فهل كان للدعوة الباطنية أهداف وغايات؟ أرجو أن تبين لي ذلك وتجلّيه، إن كان عندك ذخيرة من علم فيه.

لقد سبقتني إلى ذلك السؤال؛ فموضـوع الأهـداف لم يكـن غائبـاً عـن ذهـني أبـداً، ولكنني ترددت فجاء سؤالك في محله المناسب.

وهنا لن يطول بي التفكير كي أجيبك؛ فالأفكار تتوارد، والصور تتداعى، ومسلسل الأحداث التاريخية يترى لتدلك كلها بوضوح على أهداف أولئك الذين أثـاروا وفجـروا الفكرة الباطنية، في وجه وضوح القرآن والـسنة. وقـد سـبق لنـا أن أشـرنا إلى الأهـداف النهائية، لمن أثار فتنة الباطنيـة والرافـضة، والغلـو في حـب آل البيـت، وقلنـا وقتئـذٍ: إن تقويض دعائم الخلافة الإسلامية، التي قامت على أنقاض امبراطوريات الظلم و الظلام، و إن الانتقام من أصحاب الديانة الجديدة، هما الهدفان لأولئك الفجرة المنافقين، إلا أنهم

للوصول إلى تلك النهايات ركبوا خيولاً غادرة أخرى، كانت برأيهم الوسائل للوصول إلى نقطة النهاية. ومن هذه الخيول:

١- طعن فرقة الإمامية بمن حملوا الدين وحَمَوه وبلغوه للناس من الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر و عمر -رضي الله عنهما -، حيث ألصقوا تهمة الظلم بهما وكذلك تهمة الاعتداء على آل البيت وحقوقهم في الخلافة، ولما كان هؤلاء الصحابة هم من نُقل عنهم الدين بالثقة الكاملة جيلاً عن جيل، فإن اتهامهم والإساءة إليهم ومسَّ سمعتهم هو طعن في أصل الدين، الذي نقل عنهم؛ وبهذا يفقد المسلمون - خاصةً الضعفاء والبسطاء منهم وما أكثرهم - الثقة بكل المنقول أو بعضه، و من هنا تبدأ نقطة الانهيار[١]. وقد قامت الإمامية على هذه الأساسات، وبنت من ذلك الزيغ طابوراً هداماً، ظل يعمل حتى اليوم لتوهين صف المسلمين وشرذمته.

٢- تعطيل الصانع (الله)، وإبطال النبوة والعبادات، وإنكار البعث من أجل الوصول إلى الانتقام من أصحاب الدين، وتقويض عرى دولتهم. «اعلم أن القوم «أي الباطنية» أرادوا الانسلال من الدين، فشاوروا جماعة من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم، حتى أخرسوهم عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث، وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون[٢]، ورأوا أمر محمد - ﷺ- قد استطار في الأقطار، وأنهم قد عجزوا عن مقاومته، فقالوا: سبيلنا أن ننتحل عقيدة طائفة من فرقهم، أزكاهم عقلاً وأتحفهم رأياً، وأقبلهم للمحالات والتصديق بالأكاذيب، وهم الروافض من مثل الإمامية وغيرها، فنتحصن بالانتساب إليهم، ونتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل، ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة. فإذا هان أولئك عندهم، لم

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ١٣٦٨هـ، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٩٨.

(٢) ممخرقون: مكذبون. ومنمسون: ملبسون على الناس الحق بالباطل .

يلتفتوا إلى ما نقلوا، فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين، فإن بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن، وقصدهم بهذا كله الملك و الاستيلاء على أموال الناس، والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم، ونهب أموالهم قديماً. فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم»[1].

٣- وأخيراً، كلما شعر هؤلاء الباطنيون الروافض بقوتهم في مكان ما، ثاروا وحركوا الفتن تلو الفتن ضد الدولة، وأعملوا السيف، وجردوا الفوضى والنهب والقتل. فثورة الزنج في البصرة، وثورة وفتن القرامطة المتتابعة، وانفصال الفاطميين عن جسم الدولة الإسلامية في المغرب وإفريقية، وحركات الحشاشين، ومحاولات الاغتيال التي قاموا بها، كل ذلك ينتظم في عقد الخيانة والغدر، الذي عقده بداية الدساسون الحاقدون، من أمثال: ابن السوداء الحبر اليهودي - عبد الله بن سبأ - ثم فرطه من أجل أن تتناثر حباته بثوراتها وفتنها، فوق كل أرض من الأرض التي طهرها وأضاءها نور الإسلام. وفي تراب هذا الزيغ نبتت الإمامية، وفكرة التوصية وانتقالها في ذرية علي - رضي الله عنه - ومنها نشأ الاعتداء على حرمات الصحابة وأتباعهم والغلو في صفات علي وذريته.

وليس الاقتباس الذي سأورده بعد قليل قولاً لعالم مسلم، أو خليفة أو أمير مسلم، أو منتصر للإسلام ودولته، لا.. فإني سأورد لك نصاً بتمامه، من كلامٍ لمفكر غربي، بمناسبة ذكره لإحدى فرق الباطنية:

«حقد قديم على العرب والإسلام، وطموح بلا حدود، أوحيا حوالي منتصف القرن الثالث للهجرة إلى رجل يدعى عبد الله بن ميمون قداح - طبيب عيون من حيث المهنة فارسي الأصل والمنشأ - بمشروع مدهش لا تقل جرأة صاحبه وذكاؤه في التصور عن مهارته وقدرته على التنفيذ»[2].

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ص ١٠٦

(٢) القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين)، (١٩٧٨)، ميكال يان دي خويه، ترجمة: حسني زينة، (ط.١)، ص١١ والذي لم يذكره الكاتب هنا هو أن عبد الله بن ميمون هذا يهودي من فارس.

ثم نقل الكاتب نفسه كلاماً عن كاتب غربي آخر من كتاب «تاريخ المسلمين في إسبانيا» يقول فيه:

«أراد عبد الله بن ميمون أن يربط الغالبين والمغلوبين في حزمة واحدة، وأن يجمع في جمعية سرية واحدة (تشتمل على درجات متفاوتة يرقاها السالكون) كلاً من المفكرين الأحرار، الذين لم يروا في الدين سوى قيد كابح للشعب والمتعصبين للدين من الفرق جميعها، وأن يستخدم المؤمنين ليسلط غير المؤمنين، ويستعمل الفاتحين للإطاحة بالإمبراطورية التي أسسوا، وأخيراً أن يؤلف حزباً وافر العدد متماسكاً، ومعتاداً على الطاعة، قادراً متى آن الأوان على منح العرش إما له، وإما لأولاده من بعد»[1].

هكذا حقد قديم يدفع، وطموح بلا حدود يبعث الحماسة، وهدف محدد واضح، هو تقويض الدولة الإسلامية، كل ذلك ضمن مشروع واحد، يتكرر لدى كل فرقة من تلك الفرق لا يختلف في أهدافه ومراميه في أي واحدة منها عن الأخرى، إلا بقدر ما تختلف ظروف الزمان والمكان، حيث تكاد الأمور تتالى على أشرطة، كأنها نسخة واحدة، لصورة أصلية واحدة، غيرتها « الرتوشات « التي أضافتها يد الصانع هنا وهناك، و كل ذلك مما يدل على الجذر الواحد الذي انبثقت منه كل تلك الصور المتكررة ..

حسبك يا أخي، فقد زدتني وزودتني، جزاك الله عني خيراً، ولعلك لن تتقاعس عن الإجابة عن مزيد من إلحاحي في الأسئلة .

هات ما عندك أيها المغوار، فقد والله شوقتني إلى المزيد من الكلام..!

السؤال الخامس: لقد تكلمت كثيراً عن الجذور والأصول لتلك الفرق، وعن مستورداتها، من ملل الكفر والوثنية، فهل لك أن توضح ذلك وتثبته بالوقائع..؟

على الرحب والسعة، فإنك بأسئلتك هذه تبعث في نفسي دواعي التفكير والغوص في أعماق الذاكرة والتاريخ، فلنمتط معاً أجنحته لنطّلع على ما حرره في هذا السياق:

في البداية يجب تحديد العقائد التي آمن بها أصحاب تلك الفرق، وفي هذا المجال سوف نأتي على ذكر الرئيسية منها، وندع كثيراً من الأفكار الفرعية، التي يقصر المجال عن تتبعها، أو أنها لا تزيد كثيراً في الإفادة التي سنقدمها .

---

(١) المرجع السابق، ص١١.

لقد دخلت في الإسلام أمم، كانت مقيمة على عقائد وأفكار، وتنتظمها دول ويحكمها ملوك، ولها عادات وإرث وتقاليد، كما أن المسلمين وحكامهم بعد أن استقرت بهم الأمور، بدأوا يترجمون كتب وحضارات غيرهم من يونان وفرس وهنود ويهود، وفي البداية كانت تنقل تلك الكتب وتترجم، دون التفريق بين ما هو من العلوم، وما هو من العقائد والفلسفات. وكما قلنا سابقاً، فقد دخل في الإسلام ودائرته كثير من الناس، لم يلامس الإيمان شغاف قلوبهم، بل بقيت عقائدهم السابقة وتقاليدهم الموروثة، تشارك الإسلام في حياتهم ومعتقداتهم، فيحاولون تنزيلها على نصوص الإسلام، ويتأولون لها ويؤصلونها على أسس واجتهادات، وبذلك دخلت على المسلمين كثير من العقائد الغربية و هي غريبة عن الإسلام وعن وضوحه وبساطته.

كما أن كثيراً من هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام دخول خوفٍ أو اتقاءٍ لصولته وقوته، ومن باب طأطأة الهامات أمام العاصفة حتى تهدأ، وبعد أن استقرت الأمور، وهدأت حدة الانطلاقة، بدأوا يخططون لأهدافهم ويدبرون في الخفاء المؤامرات والكيد، محاولين بواسطتها تنفيذ ما يحملون من أهداف في صدورهم كان باعثها الحقد والبغض للدين الجديد و حملته ودولته، كما أنهم أخذوا يجمعون العامة من البسطاء وأصحاب الأهواء حولهم، كي يكونوا دعماً وقوةً لهم عندما تحين اللحظة الحاسمة. وأخذ هؤلاء يبرزون العقائد والأفكار المارقة لتظهر رويداً رويداً على السطح، وبدأت العامة تتجمع حولها، وتشكل الجيوب السامة والممرضة في جسد الجسم الإسلامي العملاق. وكما رأينا، فقد تطايرت الشرارة منذ عهد الرسول - ﷺ -؛ حيث قال البعض بالقدر، والبعض بالجبر، وقد ألمحنا إلى ذلك في البداية. وفي أواخر عهد الصحابة بدأت هاتان البدعتان تجمعان الأنصار والأتباع والمروجين والقادة، من مثل معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، ولو أن الأمر اقتصر على ذلك، لهان الخطب ولكان من الممكن لملمة الوضع وإنهاء الفتن.

لكن الأمر كان قد انطلق، والبحر طمى وهاج، ببدعة ابن سبأ في علي - رضي الله عنه -؛ حيث قال بالجزء الإلهي فيه، وبعودته وأنه لم يمت، وأن الجزء الإلهي هذا يتناسخ في الأئمة من آل البيت، وأن للشريعة ظاهراً وباطناً، وأن الذي يصل إلى

أسرار الباطن هم أهل السر والأمانة وحمل عبء الدين. وقد حملت هذه الهرطقات فرقة الإمامية فيما بعد، وجاست بها الديار مجتازة بها القرون، لتكون فضيحتها في أيامنا المعاصرة داخل العراق و غيره. وكانت هذه هي البدع والموبقات الكبرى التي تفرعت عنها بدع وموبقات أقل وأصغر، ولقد اتفقت كل الفرق الغالية والمارقة من الدين على تبني هذه العقائد الرئيسة، وإن اختلفت في تفرعاتها وما بني عليها من آراء وأفكار وعقائد.

لذا فإننا في السطور الآتية سوف نبين أصول وجذور ومصادر تلك العقائد، وبعض ما بني عليها من تفرعات لدى بعض الفرق الضالة من التي تقع ضمن دراستنا.

أ - ألوهية علي والأئمة والرجعة:

كان العراق منبت معظم تلك الفرق الضالة تقريباً، ولو ألقينا نظرة على هذا المنبت لرأينا أنه بداية كان موطن الثورات ضد الحكم الأموي، كما أنه موطن ولاة القمع مثل زياد و الحجاج ..

وقد كان العراق ملتقى حضاراتٍ قديمةٍ؛ ففيه علوم الفرس، وعلوم الكلدان وبابل، وبقايا حضارات هذه الأمم، وقد ضم إلى هذا فلسفة اليونان، وأفكار الهنود، وامتزجت هذه الأفكار فيه بالمناهج الإسلامية، وقد ساعد هذا الوضع على أن يكون العراق حاضن تلك الفرق[1].

ونحن إذا تتبعنا مصادر فكرة الجزء الإلهي، التي تبنتها معظم الفرق، وأعطتها لأمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وللأئمة من بعده، أو لغيرهم عند بعض الفرق، لوجدنا أن تلك الفكرة لا بد وأنها قد أخذت مباشرة من فكر النصرانية، وإيمانهم بقضية الناسوت واللاهوت، وإعطاء عيسى - عليه السلام - صفة إلهية، بحيث راحت معظم الفرق تقول بحلول الجزء الإلهي في علي - رضي الله عنه -ومن بعده في الأئمة أو في بعض زعماء تلك الفرق، ومن هنا تسللت فكرة التناسخ، التي هي بالأصل مأخوذة من الهندوكية والفلسفة اليونانية[2]

(١) الإمام زيد حياته وعصره آراؤه وفقهه، محمد أبو زهرة،، المكتبة الإسلامية، بيروت، ص ١٠٨

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد أحمد الخطيب، ص ٢٤

ولقد نوهنا سابقاً إلى أن ابن السوداء «ابن سبأ» اليهودي، هو الـذي جـاء بـالفكرة، وطرحها بعناد داخل المجتمع الإسلامي مستغلاً تحاور الناس وجدالهم حـول أحقيـة علـي وآل البيت في الخلافة، و وراثة الحكم في الإسلام، وهو نفـسه الـذي قـال أيـضاً برجعـة علي، ومنه استمدت الفرق فكرتها القائلة برجعة الإمـام الـذي لم يمـت، وعـودة المنتظـر وعلى رأس هؤلاء الإمامية، وقد أدخلها في حـائط الإسـلام مـن اليهوديـة، المبنيـة علـى حديث عودة عزير، وحديث موت هارون في التيه، واختلافهم حول القصة، فمـنهم مـن قال إنه مات وسيرجع، ومنهم من قال: إنه غاب وسيرجع[1].

وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز مبيناً عقائد اليهود والنصارى في إحلال الجزء الإلهي في نبي الله عيسى وفي العزير: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

ب - **وأما بدعة التناسخ** فقد دخلت علـى منـاهج المـسلمين مـن الخلـط المقـصود، الـذي أخـذه المفـسدون، وعلـى رأسـهم «ابـن الـسوداء» مـن منـاهج المجـوس والهندوس واليونان، إذ أن الفكرة غريبة على المنهج الإسلامي، بل هي متضاربة مع عقيـدة المـسلم الـصافية النقيـة، وقـد بـدأت الفكـرة بـسيطة في البدايـة، ثـم استفاض الانحراف شيئاً فشيئاً .. فهذه:

الكيسانية إحدى الفرق الضالة وصـلوا إلى القـول بتناسـخ الأرواح، وهـو خـروج الروح من جسد وحلولها في جسد آخر، وهذا الرأي مـأخوذ مـن الفلـسفة الهنديـة، فهـم الذين يقولون بهذا القول[2]:

«ولقد كانت الكوفة وما وراءها مهداً لهذه الآراء المنحرفـة، الـتي تولـدت في أخيلـة مريضة، قد أصابها درن المجوسية والوثنية القديمة، فكانوا حشوية في اعتقادهم بالنـسبة لله

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٢١٣

(٢) الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ١١٣.

سبحانه وتعالى، وكانوا وثنيين بالنسبة للأئمة؛ إذ اعتقدوا أنهم آلهة، وأن روح الإله تنتقل فيهم من إمام إلى إمام، كانتقال الأرواح بالتناسخ من حي إلى حي، وهم في ذلك يشبهون قدماء المصريين في وثنيتهم؛ إذ يعتقدون أن روح إلههم (رع) تنتقل من فرعون إلى فرعون... »[1].

إن فكرة الوراثة في الملك وقدسية المالك، وحلول جزء إلهي فيه، وانتقال روح الإله من حاكم إلى حاكم هي أيضاً فكرة مجوسية، ويونانية وثنية قديمة، وهي فكرة مشتركة عند جميع أصحاب الوثنيات القديمة، لم تغادر أصحاب النفوس المريضة، الذين أعلنوا إسلامهم، لكنهم ظلوا في داخلهم على ولاءاتهم العقائدية القديمة، وراحوا يوجدون لها مسوغات العيش والبقاء والاستمرار، في ظل الدين الجديد ليصلوا بعد ذلك إلى إشاعتها وسيادتها، وبلبلة صف المسلمين، ومن ثم للقفز إلى الهدف الأخير، الذي يتمثل في هدم الدولة الجديدة[2].

ج _ وأما فكرة الظاهر والباطن وتفسير النصوص القرآنية والسنة على أن لها ظاهراً وباطناً:

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) أنقل فيما يلي بعضاً من أفكار المغيرة بن سعيد، وهو رأس إحدى فرق الضلال (المغيرية)، ليتبين القارئ مدى الانحراف الذي آلت إليه هذه الفرق، وليكتشف بنفسه الروح اليهودية والمجوسية والوثنية في تصور الإله والأئمة، والكلام عن المغيرية منقول من كتاب «الإمام زيد» ص ١١٥ للأستاذ محمد أبو زهرة حيث نقله بدوره عن كتاب الكامل ج٥ - ص٧٦ يقول في الكامل: «كان رأي المغيرة التجسيم يقول: إن الله على صورة رجل على رأسه تاج، وإن أعضاءه على عدد حروف الهجاء، ويقول ما لا ينطق به لسان، تعالى الله عن ذلك، ويقول: إن الله لما أراد أن يخلق تكلم باسمه الأعظم فطار فوقع على تاجه، ثم كتب بأصبعه على كفه أعمال عباده من المعاصي والطاعات، فلما رأى المعاصي ارفض عرقاً فاجتمع من عرقه بحران، أحدها ملح مظلم، والآخر عذب نير، ثم اطلع في البحر فرأى ظله، فذهب ليأخذه، فطار من البحر الملح الكفار، ومن البحر العذب المؤمنين، وكان يقول بإلهية علي وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي ... إلى أن يقول: وجاء المغيرة إلى محمد الباقر فقال له: اقرر أنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق، فنهره وطرده وجاء إلى ابنه جعفر بن محمد الصادق فقال له مثل ذلك فقال: أعوذ بالله».

فإن هذه الفكرة هي سبب تسميتهم بالباطنية، كما ذكر الشهرستاني في الملل والنحل ص ١٩٢.

«والظاهر عندهم هو التنزيل، أي كلام الله في القرآن الكريم، وهو الذي نزل على محمد - ﷺ -، وأما الباطن فهو ما يتعلق بأسرار العلم الخاص بعلي، أو بالأئمة أو بالرؤوس منهم، فهم يقولون: إنه لا يحمله إلا مقرب، أو نبي مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، وإنه لا بد لكل ظاهر من باطن، وهو المقصود في الحقيقة، وهو بمنزلة اللب و الظاهر بمنزلة القشر، وذلك قولهم: وكما أنه لا يصلح في الحياة جسم إلا بروح، ولا يثبت روح إلا في جسم ... »[1]. وكانت الإمامية وما زالت حتى يومنا هذا أوسع فئة آمنت بفكرة الظاهر والباطن وضلالاتها الكثيرة.

فالباطن والظاهر صنوان متلازمان عندهم، لكن الباطن هو الجوهر والأفضل والأعلى، وهم بذلك مالوا وأخذوا من ابن سبأ سبب وجودهم، ونبع حركتهم الأول، وذلك عندما قال بالظاهر والباطن، وأوَّلَ التأويلات الباطنية لنصوص القرآن، ليواطئ بها مذهبه اليهودي، المستقى من الغنوصية والأفلاطونية الحديثة .. ولا يخفى أيضاً على القارئ النابه، ما للميل إلى التستر والباطن والخفاء من علاقة بأفكار الحركات الوثنية القديمة من مثل الثنوية والمانوية والديصانية، إذ كانت كل تلك الحركات تميل إلى الرمز والكهنوت واحتكار التفسيرات الدينية والغموض الذي يعدونه منزهاً لهم عن العامة، وواهباً لهم مرتبات لا يستطيع كل الناس الوصول إليها.

وبهذا يتبين لنا مدى بعد أفكارهم عن الإسلام ومعارضتها جميعاً لنصاعته ووضوحه، في معارضة هذه الأفكار كلياً، وهو الدين ذو المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك متأول تأويلاً حذرنا رسول الله - ﷺ - من اتباعه أو الاستماع إليه، فإذا أنت قرأت لأحد هؤلاء الباطنيين قوله:

«الإسماعيلية كنز مقفل، أو قل عنها عالم قائم بنفسه سمي عالم المَثَل أو باطن الأشياء، أو ماهيته أو جوهره أو الفكرة المجردة التي لا تقع تحت مكان أو حس أو زمان،

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص ١٢.

أما عالم الطبيعة المحدود بالزمان والمكان فهو غير عالمها وأنه ممثولها والمثل ليس كالممثول[1].

أقول إذ قرأت هذا النص، فلا بد أن يخطر ببالك أنك تقرأ في كتاب كهنوتي، أو تستمع إلى مشعوذ أو ساحر، أو أنك تقرأ في طِلسِّمات فلسفية مغرقة في الرموز، وإلا فما معنى أن تكون تلك الفرقة الباطنية فكرة مجردة غير محدودة بمكان ولا زمان ولا حس، إنها ضياع للنفس الإنسانية في متاهات الهوى، التي تبعد عن الوضوح والنور والبساطة، التي بهرت كل طالب حق، أراد أن يتعرف على دين الحق وطريق الفوز، فالخط الذي اختطه رسول الله – ﷺ- بعود، كان مستقيماً بارزاً بسيطاً لا أمت فيه ولاعوج ..

السؤال السادس: هل الباطنية ومجموعاتها هي الفرق الوحيدة التي أقامت معول الهدم في الإسلام؟

لا بل هناك فرق أخرى كثيرة سنأتي على ذكر بعضها فيما بعد.

السؤال السابع: هل لك أن تعدد لي فرق الهدم الرئيسة ؟

هذا السؤال يسوقنا إلى التاريخ نستجلي صفحاته عما كان من أمر هذه الفرق، ليقول لنا إن أولها :

أ- **الخوارج:** وهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – وعلى كل حاكم شرعي، و من فروعهم الرئيسية:

١. المحكمة الأولى.
٢. الأزارقة.
٣. النجدات العاذرية.
٤. البيهسية.
٥. العجاردة، ومن هؤلاء تفرعت فرق وهم: الصلتية، والميمونية، والحمزية، والخلفية، والأطرفية، والشُعَبية، و الحازمية.

(١) المرجع السابق، ص١٣ ، نقلاً عن كتاب الإسماعيلي عارف تامر (أربع رسائل إسماعيلية).

٦. الثعالبة، وتفرع عنهم: الأخنسية، والمعبدية، والرشيدية، والشيبانية، والمكرمية، والمعلومية، والمجهولية، والبدعية.

٧. الإباضية، وتفرع عنهم: الحفصية، والحارثية، واليزيدية.

٨. الصُّفْرِيَّة الزيادية.

ولكل واحدة من هؤلاء شارات ورموز، وزعماء ومقولات تتميز بها عن الأخرى، لكنهم اتفقوا على الخروج على الحاكم بحجج واهية، واستحلوا دماء المسلمين بفقه للنصوص معوق متخلف .. وأنت ترى شبيهاً لهم في أيامنا هذه أولئك الذين يقومون باستحلال دماء الأبرياء في البيوت والشوارع والفنادق والأفراح والأتراح وذلك تحت لافتة الجهاد.

ب- **المرجئة:** الذي كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، أو بالمعنى الأوضح الذين يرجئون صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يحكم عليه في الدنيا بجنة أو نار، وخلاصة قولهم: إنه لا تضر مع الإيمان معصية وهم أربعة أصناف:

١. مرجئة الخوارج.

٢. مرجئة القدرية.

٣. مرجئة الجبرية.

٤. مرجئة خالصة.

ومن هؤلاء المرجئة الفرق التالية:

-اليونسية، العبيدية، الغسانية، الثوبانية، التومنية، الصالحية .

ج- **غلاة الشيعة:** وهم الذين غالوا في حق أئمتهم، حتى أخرجوهم من حدود الخلق، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، ومنهم:

-السبئية، والكيسانية، والكاملية، والعلبائية، والخطابية، والنصيرية، والإسماعيلية و الإمامية وغيرهم.

د- **المعتزلة:** وهم الذين قالوا:

١- بقِدم الذات الإلهية، ونفوا قِدم الصفات .

٢- كما قالوا بخلق القرآن.

٣- ونفوا رؤية الله بالأبصار يوم القيامة.

٤- ونفوا التشبيه عن الله من كل وجه، حتى شابهوا المعطلة.
٥- وتأولوا الآيات التي تخالف مذهبهم العقلي.
٦- وقالوا بسيطرة العقل على النقل.
٧- كما قالوا بخلق الإنسان لأفعاله، بناءً على ذلك فهو يستحق الثواب والعقاب.
٨- ونفوا عن الله أن يضاف إليه خلق الشر والظلم[١].
٩- واتفقوا على أن الحُسْنَ والقُبْحَ مردُّ معرفتهما إلى العقل، واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب[٢] ومن فرقهم: الواصلية، و الهذلية، والنظامية، والخطابية، والحدثية، والمعمرية، والبشرية، والمردارية، والثمامية، والهشامية، والجاحظية، والخياطية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية.

هـ - **الجبرية:** وهم يقولون بنفي الفعل عن العبد، وإضافته إلى الله تعالى ومنهم:
_ الجهمية، والنجارية، والضرارية[٣].
هذه هي أهم الفرق التي وجدت في الإسلام.

السؤال الثامن: ولكن مَنْ مِنْ هذه الفرق استمر وجودها إلى يومنا هذا، وكيف يظهر هذا الوجود؟

لقد انقرض، وغاب في طيات التاريخ كثيرٌ من فروع هذه الفرق، إلا أن بعضاً من تلك الفرق مازال مستمراً في الوجود، ومنتشراً في قطاعات من الناس، وهي تقوم اليوم بأدوار مهمة في توجيه الأحداث، والفعل فيها. ومن هذه الفرق ما هو موجود حتى الآن بالاسم والفكر، ومنهم من يقوم ببث أفكاره تحت مسميات جديدة.

فالتي من النوع الأول، نذكر منها:

١- **الإسماعيلية:** وهي تنتشر في سورية والهند وباكستان وإفريقيا، ونشاطها خافت، وإن كان لها بعض التأثير في سورية وباكستان بصورة خاصة.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٤٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٨٥.

٢- **النصيرية:** ولها وجود بارز في سورية وتركيا، وهي التي حكمت ووجهت الأحداث في سوريا منذ أربعة عقود وحتى اليوم، وذلك على يد من قاموا بانقلاب شباط ١٩٦٦، واتبعوه بانقلاب ١٦/ ١١ / ١٩٧٠، وهم من ضباط هذه الطائفة، وقد قادوا البلاد منذ تلك التواريخ باستخدام حزب البعث واجهة سياسية لتنفيذ (أجندات) هذه الأقلية الطائفية التي لا يجاوز تعدادها ٨ - ١٠ ٪ من الشعب السوري وهم يقومون بحراك ملحوظ في الساحة التركية واللبنانية.

٣- **الشيعة الإمامية:** في العراق وإيران وباكستان ولبنان، وغيرها وبحضور بارز وفعّال و أخصُّ بالذكر تحالفها مع الأمريكيين لاحتلال العراق وتقويض كيانه، وكذلك أفغانستان.

وأما التي من النوع الثاني فهي:

١. **الخوارج:** الذين ظلت أفكارهم تتجدد على أيدي أجيال من المسلمين حتى عصرنا هذا و لكن بأسماء جديدة، وكان أوضح ظهور لهم على أيدي جماعات من الشباب في مصر وغيرها ممن سموا بجماعات «التكفير والهجرة» على غرار أفكار الأزارقة من الخوارج.

٢. **الأحمدية:** في الباكستان والهند، التي أخذت بعض أفكارها من الفرق الغالية، مثل السبئية والكيسانية، كادعاء «أحمد القادياني» زعيم الفرقة النبوةَ وخلع آيات القداسة على نفسه، وادعائه الانتساب إلى خدمة النبي - ﷺ - واستعماله التأويل في النصوص ليخضعها للشعوذات التي ادعاها لنفسه ولحركته[1].

وقد عملت هذه الفرقة في الهند ضد الحراك الوطني المقاوم للاحتلال الإنجليزي؛ فرفضوا الجهاد، ودعوا لطاعة الإنجليز في الهند وفلسطين ومصر، و هي لم تزل تعمل، إلا أن الوعي الإسلامي والصحوة حدّا من آثار نشاطها وحراكها، وفضحا سرّها المرتبط بالاستعمار.

---

(١) القاديانية، (١٩٨١)، أبو الأعلى المودودي، (د.ط)، دار القلم، ص ٢٣ / ٣٤ / ٣٥.

٣. **البابية والبهائية**: التي اتخذت التستر والرمز والتقية، ونبذ العقائد الإسلامية الصافية، والتأويل والحلول، وانتساب الزعيم إلى آل بيت النبي، والإيمان بالعودة والرجعة، وكلها من أفكار الفرق الغالية والصوفية الشاذة، من مثل البيانية والخطابية والصوفية الحلولية وبعض الكيسانية، وهي تعمل اليوم على تخريب عقائد المسلمين في إيران والهند وفلسطين، ولهم عند يهود في حيفا وعكا مكانة خاصة، ومنطلق مريح.

وبعد: فهذه بعض الفرق التي استمر وجودها وعملها وسيرها بسيرة تشبه سيرة الفرق المنحرفة إلى يوم الناس هذا .. وقد يلحق بهؤلاء بعض غلاة وشواذ المتصوفة ممن يؤمنون بالحلول والتأويل، ويقيمون طقوسهم وصوفيتهم بعيداً عن القرآن والسنة ... و إلخ ما هنالك من العقائد الفاسدة .. ولهؤلاء نشاط وحراك لا بأس به في كثير من بلدان المسلمين، وهم يساهمون مساهمة فعالة في عزلة الكثير من المسلمين عن الاهتمام بأمر الناس وأحوالهم. أما المتصوفة الملتزمة بالقرآن والسنة وهي الغالبة، فهي ذات أثر إيجابي بعيد المدى في تهذيب الناس، والتزامهم بإسلامهم، وهم مع الجمع المهتدي في السراء والضراء.

فافهم ذلك يا رعاك الله، واعذرني إن قصرت.

جزاك الله خيراً، ولكن قبل أن تنهي حديثك حول الباطنية وفرقها بشكل عام، أرجو أن يتسع لي صدرك فتجيبني عن سؤال:

سل ما بدا لك، فأنا رهن إشارتك.

السؤال التاسع: ما هي الآثار العامة التي خلفتها تلك الفرق في المجتمع الإسلامي؟

سؤال وجيه، ما كان لي أن أغادر مكاني هذا قبل أن أوضح هذا الموضوع، فأتكلم عن هذه الآثار، موثقاً كلامي بما يفتح الله به، ويتسع له مجال البحث، و إليك هي:

١- تخريب عقائد المسلمين؛ بإدخال باب البدع وإغراقهم في بحور الغموض، وسيل الرموز والإشارات، وخلطها بالوثنيات الحسية المنتكسة عن منهج الله.

فقد غالوا في الأئمة، فأشركوا الصفات البشرية فيهم بالصفات الإلهية، و ذلك

ابتداءً بعلي – رضي الله عنه–، وانتهاءً بأبنائه الأئمة من بعده، إذ قال قائلهم لعلي: «أنت أنت» أي أنت الله.

ثم قالوا بالرجعة، أي عودة علي، لأنه لم يمت، وهذه قولة ابن سبأ أطلقها وحملها الغلاة من بعده.

كما تبنوا عقيدة الظاهر والباطن وتأويل الظاهر ليلائم الباطن، الذي جعلوه تابعاً للأمزجة والأهواء والضلال.

واختلقوا الكثير من الأقوال والأفعال الضالة المنحرفة، في الأمور الكبرى والصغرى، التي جعلوا لها إشارات ورموزاً من الأحرف والأرقام، كما ورد في النصيرية والإسماعيلية والاثنا عشرية والإمامية وغيرها[(١)].

لقد أعملوا معول التخريب في العقائد و الفكر داخل المجتمع الإسلامي، فمن لم يكن معهم اشتغل بالرد عليهم بدل الاشتغال بما هو أنفع، ثم كان من آثار ذلك دخول الفلسفات وعلم الكلام على العقائد الإسلامية من أجل رد المفتريات، فدخلت بذلك كثير من الكلمات والأفكار الغريبة عن عقيدة المسلم، من حيث كان يراد الدفاع عنها، فانظر إلى أي حد وصل الأثر السيء لهذه الفرق على عقائد الناس منذ البداية وحتى يومنا هذا؛ إذ انتقل كل هذا الخراب والتفرق والانحراف إلى مجتمعاتنا المعاصرة، وإذا أردت البرهان فانظر إلى ما يحدث في العراق ولبنان وباكستان هذه الأيام.. !

٢- الاضطراب والفوضى في مجتمع المسلمين، بانقسام الناس وتفرقهم بين هذه الأهواء والبلايا والرزايا، وانعدام الثقة بين الأفراد، وهذا ما كان يهدف إليه هؤلاء الباطنيون عن طريق إشاعة الفواحش، والإفتاء بالعظائم، وقتل العلماء والوزراء والقادة، واقتراف المجازر الجماعية حتى وصلوا إلى قطع الطرق ومهاجمة الكعبة، وسرقة الحجر الأسود، كل ذلك من خلال العمل السري لتلك الفرق، وباستعمال مبدأ التقية، الذي يتيح لهم التحايل والمكر والغدر[(٢)].

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص٣٧.

(٢) كما قال «جولد تسيهر»: أي مدرسة للمخاتلة والغدر تنطوي عليها تعاليم مبدأ التقية من كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. محمد الخطيب، ص ٥٢.

وها هي طلائعهم المنطلقة اليوم على خلفية الحروب الأمريكية، حاملة المغريات للضعفاء من مال وزواج متعة، لتجد لها موطئ قدم في أرض المسلمين، تبث فوقها ترهاتها وخرافاتها، و قد وجدت في الجهل والغفلة عوناً لتمرير الأخطار التي يحملونها.

٣- ومن تلك الآثار التي خلفتها تلك الفرق: تقسيم الكيان الإسلامي الموحد؛ فمن دولة للقرامطة في البحرين، إلى دويلة للإسماعيليين في الأهواز وما خلفه، إلى دولة العبيديين في المغرب، إلى دولة الفاطميين التي امتدت وانتشرت، وقسمت الخلافة الواحدة بين مشرق ومغرب، ودولة الصفويين في إيران التي تقوم اليوم بالتبشير بالفكر الصفوي في كل الأنحاء، ضمن لافتات سياسية ومجتمعية مغرية، بعد أن طورت في الإمامية الكثير من الضلال الفقهي و العقدي و السياسي، فضلاً عن الجيوب النائمة المتحركة في كثير من أقطار المسلمين التي تخرب وتثير الحروب، و تدمر وحدة مجتمع المسلمين، و توهن قواهم[1]، و من أمثلة ذلك: ما يجرى في اليمن و لبنان وباكستان و البحرين.

ولا ينسى المسلمون مساعدة هؤلاء للمعتدين على بلاد المسلمين، كما حدث أيام اجتياح التتار لبغداد، وأثناء الاجتياح الصليبي لبلاد الشام ومصر؛ حيث قام النصيريون والفاطميون بالتحالف مع هؤلاء الغزاة الأجلاف ضد المسلمين، المدافعين عن أرض الإسلام، إلى الحد الذي جعل شيخ الإسلام «ابن تيمية» - رحمه الله - أن يصدر فيهم فتواه المشهورة التي تكفرهم وتحل دماءهم .. وها هم اليوم يتحالفون مع الأمريكان في غزوهم للعراق وأفغانستان والحبل على الجرار ..

وقد كانت السنوات الطويلة التي شُغل فيها العالم الإسلامي ودولته بمتابعة هؤلاء من مكان إلى مكان، و ما أحدثه حراكهم المشبوه من انقسام الدولة وتشرذمها. كان ذلك

(١) حقيقة البابية والبهائية، د. محمد الخطيب، ص ٣٣ / ٣٤ وقد رثى ابن الرومي البصرة التي أحرقها أحد رؤساء هذه الفرق في إحدى غزواته، هو علي بن محمد زعيم الزنج وذلك عام ٢٥٧هـ، حيث قال ابن الرومي:

لهف نفسي عليك أيتها البصـ ... رة لهفاً كمثل لهب الضرام

بينما أهلها بأحسن حال ... إذ رماهم عبيدهم باصطلام

كله عوامل أطمعت الأعداء في أوطان المسلمين؛ فتوالت عليه الغزوات والغازون من كل حدب وصوب، فخربت حضارته مرات على أيدي التتار والمغول والصليبيين بتعاون ومساعدة من الجيش المخرب، القابع داخل المجتمع الإسلامي مهدداً كل لحظة وحدة الأمة وأمنها ودينها .

ولقد بقيت تلك الفرق وأفكارها تعمل داخل بلاد المسلمين إلى يوم الناس هذا كما أشرنا سابقاً، وهي ما تزال تعمل بل وتتصدر الكراسي في بعض الأنحاء والأوطان الإسلامية، وتسوس الناس بالطريقة نفسها التي كانت عليها تلك الفرق منذ قرون، مع تغيير في الأساليب والمظاهر .. أنقذ الله بلاد الإسلام وأهل الإسلام من زيغ الزائغين، وكيد المارقين، وجور البغاة أعداء الدين، اللهم آمين ..

وما مظاهر الأزمات والمحن والتشرذم التي تواجهها أمتنا في عصرنا الحاضر إلا بعض نتاج ذلك الشوك المر، الذي لاكته أمتنا في قرونها المتطاولة، وهو اليوم يتمثل في صور منمقة زاهية من التأويل الضال للنصوص الشرعية والفقهية، وقد حذر منه رب العزة حين قال جل من قائل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

وأي فتنة أشد على الأمة من اتباع كل ناعق يريد أن يفضي بأحقاده، فيملأ بر الأرض بتفسيرات تخرج بكتاب الله عما جاء من أجله، بل تجعل منه تلك التأويلات صوراً مضحكة لخيالات مريضة، أعماها الهوى والشهوة والحقد والثارات، فراحت تمزق المعاني، وتحط من جمال الأسلوب بطريقة متهافتة بلهاء، أتت أول ما أتت على أصحابها الداعين إليها.

ب - الفصل الثاني من الباب الأول: الفرق الباطنية الهدامة

سوف ندرس في هذا الفصل بعض الفرق التي أقامت بناءها منذ البداية على نية هدم الإسلام، وتدميره من الداخل، و يتضمن هذا الفصل عدة مباحث هي:

١- السبئية

٢- الكيسانية

٣- الإسماعيلية

٤- الدروز والقرامطة

٥- البابية والبهائية

٦- القاديانية

٧- النصيرية

المبحث الأول: السبئية

- هل أنت عازم على مرافقتي الطريق إلى كشف أسرار هذه السلسلة الأفقية لهذه الفرق ..؟
- نعم، وحتى النهاية، ولن أدعك وحدك، وسوف أفتح قريحتك بأسئلتي التي لا تنتهي حتى تمل، فهل أنت على الخط؟
- نعم، ولنَسِر على بركة الله.

السؤال العاشر: من أين جاء اسم هذه الفرقة؟

لقد أخذت هذه الفرقة اسمها من اسم منشئها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني، الملقب بابن السوداء[1].

السؤال الحادي عشر: كيف نشأت وامتدت؟

لقد ذكرنا سابقاً، في معرض حديثنا عن نشأة الأفكار الباطنية شيئاً عن عبد الله بن سبأ وأفكاره، وكيف نشأت فرقته وامتدت، ونضيف الآن شيئاً من التوضيح والبيان.

فعبد الله بن سبأ حبر يهودي من اليمن، يلقب بابن السوداء، بسبب ما يقال: إن أمه كانت سوداء اللون، وقد أخفى ابن سبأ نفسه بقشرة إسلامية، كما فعل يهود (الدونمة) في العصر الحديث، ليغطي على ما كان يحمل ما لا يوصف و لا يحصى من الحقد على دين الإسلام ونبيه وكتابه القرآن الكريم.

وقد أعده حاخامات يهود اليمن لدور الهدم في الإسلام، فجاء إلى العراق، وأخذ يبث أفكار يهود وعقائدهم الفاسدة، فنفاه علي - رضي الله عنه - إلى المدائن، بعد أن خاطبه ابن السوداء وهو في الكوفة بقوله: (أنت أنت)؛ أي أنت الله. وكان يريد أن يحرقه بسبب قوله هذا لولا تدخل ابن عباس - رضي الله عنه- ثم انتقل إلى المدينة المنورة، ولما لم يجد هناك تجاوباً، لكون المدينة مهد الإسلام وبيت حضانته، انتقل إلى مصر، فوجد الأتباع والموالين، ومن هناك نشر فكره الضال في العراق و بقية الأرجاء، ثم بدأ يؤلب

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٧٤.

الناس على أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه- محاولاً هدم دعائم الخلافة وأركان الدولة الإسلامية الفتية. وهكذا أصبح له أتباع كثيرون في مصر والعراق، يحملون رسائله وأفكاره، وعلى أتم الاستعداد لحمل السيف؛ لتنفيذ أوامره، كل ذلك تحت شعار أحقية علي - رضي الله عنه- في الإمارة، وفي ظل راية حب آل البيت، وهي حجة مخاتلة زائفة تلفع بها هذا الغادر، ليستطيع أن ينفذ بأفكاره الضالة إلى عقول الناس وقلوبهم، للوصول إلى أهدافه، المتمثلة بمحاولة هدم كيان الإسلام عقيدةً ونظاماً للحياة.

السؤال الثاني عشر: عرّج بنا على عقيدة هذه الفرقة وأفكارها، فبين لنا ماهيتها وعلاقتها بالعقائد الأخرى؟

آه يا صديقي .. فرغم أني قد وضحت لك من قبل بعضاً من هذه العقائد، فقد وضعتني أمام مستحق ليس هيناً، ولكني لن أدعك تستمتع بالانتظار، حتى يأتيك الجواب، بل إنني سوف أبحر وإياك في عباب البحث، لنجوب في بطون الكتب؛ بحثاً عن هذه العقائد وعلاقاتها، التي ابتغيت معرفتها، فاستعد الآن ..

وها نحن نبدأ البحث فننظر في كتاب الله أولاً إذ يقول ربنا - جل وعلا- ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [**الأنعام: ١٥٣**]، وذلك في إشارة واضحة إلى هذه الفرق.

والآن أَصغِ السمع جيداً .. إنه رسول الله -ﷺ-، ينادينا عبر القرون، ليشرح لنا كيف هو السير على الصراط: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد - ﷺ-، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»(١)، وذلك في إشارة إلى أن كتاب الله وسنة رسول الله هما العاصمان من أي انجراف، وهما الضامنان للسير على الصراط المستقيم.

- هل فهمت مما قرأت أو سمعت شيئاً ؟
- حتى تشرح لي..

---

(١) رياض الصالحين، (د.ت)، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (د.ط)، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، ص ٨٣.

في الآية والحديث منهج واضح بَيِّن لكل مَنْ يريد أن يجتاز مفازات الحياة، وهو مطمئن إلى النهاية، وإلى خط السيرالموصل إلى الفوز بالآخرة.

إنه السبيل الوحيد الذي من حوله تتناثر سبل منحرفة، وإن التمسك بكتاب الله وبسنة نبيه هو العاصم من الزلل، وإن نبذ كل فهم خارج عنهما بعيد عن هديهما، داخل في سبل ملتوية ضالة محدثة، قمين بأن يضع المسلم على الجادة القويمة، هل فهمت الآن ؟

– كل الفهم، ولكنك لم تدخل في موضوعنا بعد..!
– لا تستعجل الأمور، ولنعاود التحليق ..

إننا الآن أمام إحدى ضالاتنا التي ستدلنا على عقيدة السبئية، إنه الشهرستاني وكتابه الملل والنحل، افتح الصفحات لحظة من فضلك .. هنا .. هنا .. اقرأ له هذه الفقرة في الصفحة (١٧٤):

(إن عبد الله بن سبأ نقل القول بالعودة والرجعة من اليهودية، وذلك من قول من قال من يهود بعودة ورجعة «يوشع بن نون» وأنه لم يمت، وأنه سوف يعود ويكون بديلاً لموسى.

وهكذا قال ابن سبأ في علي القول نفسه، فزعم أنه لم يمت، وأن فيه الجزء الإلهي، وهو الذي يجيء في السحاب، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وأنه سينزل إلى الأرض بعد ذلك ليملأها عدلاً، بعد أن ملئت جوراً، و كانت فرقته هذه هي أول فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة، كما قالت بالتناسخ، وحلول الجزء الإلهي في علي وفي الأئمة من بعده، تعالى الله علواً كبيراً عما قال هؤلاء وافتروا).

وإذا أردت المزيد عن عقيدة هذه الفرقة وتعريفها، فانطلق بنا على جناح السرعة، وعبر الزمان، لنحط في مصر، ولنقرأ في كتاب د. صابر طعيمة قوله عن العلم السري أي الباطني، الذي نسبوا معرفته إلى الأئمة فقط: (فالعلم السري إنما هو في الأصل مصطلح يهودي، وعندما ظهرت الحركة السبئية ظهرت وهي تحمل مدلول العلم السري، لتكون العوامل المشتركة بعد ذلك بين اليهود والحركات الباطنية في جملة معتقداتها متجانسة، موحدة الانتماء والغاية)[1].

ثم يقول: (هذا وقد كان للنظرية الفلسفية التي تقول بالرجعة، تأثير مباشر في

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص ٢١.

تشكيل بعض المقومات العقدية عند أصحاب النزعات الباطنية، وهذه النظرية الفلسفية اتخذت من قصة عزير، (إذ أماته الله مئة عام ثم بعثه) مبرراً للقول بالرجعة، وليس عجيباً أن يكون أول القائلين بالرجعة عبد الله بن سبأ، الذي مهد الطريق لأصحاب الفكر الباطني أن يقولوا بها وبالتناسخ، وهي العقائد المستقاة أصلاً من الفلسفة اليونانية، والعقائد الهندوكية، التي تزعم أن لكل الكائنات دورات متعاقبة لا نهاية لها)[1].

ويضيف الكاتب في سطور أخرى نقلها عن ابن قتيبة:

(قال قائل الغلاة السبئيين عن علي: إنه رب العالمين، وقال قائلهم له: «أنت أنت» أو «أنت هو»، إلى غير ذلك من العبارات التي تدل على مقولة تقول بألوهية علي...)[2].

اعتقد أن ما وصلنا إليه كافٍ لتعريف عقيدة هؤلاء السبئيين، أتباع عبد الله بن سبأ، أول من بث الفكر الباطني المارق ..

نعم يا أخي، أعاذنا الله من هذه الأفكار، وحصننا منها بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

- هل تستطيع أن تلخص لي عقائدهم ؟
- هل هو امتحان ..؟
- لا، ولكن لأتثبت من رسوخ الدروس في ذهنك ..
- حسن، سوف أعدها فاستمع.

١. القول بعدم موت علي وأنه سوف يرجع ويملأ الأرض عدلاً (الرجعة).
٢. القول بأن جزءاً إلهياً حلّ في علي، فهو بشر وإله (اللاهوت و الناسوت).
٣. وهذا الجزء الإلهي ينتقل من علي إلى ذريته من أولاده وأحفاده (التناسخ).

هذه هي أهم العقائد التي بثتها السبئية، وكانت أساس عقائد كل الفرق الغالية فيما بعد.

- لقد أحسنت التلخيص يا صاح، وهذا يدل على أن درسي كان ناجحاً.
- بل قل: إن التلميذ كان نابهاً ..

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.

- لا يهم فالمقولتان صحيحتان.
- ولكنك لم تبين حتى الآن علاقة هذه العقائد بالعقائد الأخرى الباطلة في الأديان والأفكار التي كانت قبل الإسلام.
- كلامك ليس دقيقاً، فنحن حين مررنا على بيان عقائد السبئية، مرّ معنا بيان شيء من هذه العلاقة، ولمزيد من التوضيح، هيا بنا ننطلق مرة أخرى نبحث وننقب.

كما قدمنا، هدفت هذه الحركة التي حمل كبرها اليهودي الماكر عبد الله بن سبأ، إلى هدم شريعة الإسلام ودولته، واستبداله بخليط عجيب من العقائد والأفكار، التي تجمع بين عقائد يهود، ووثنيات اليونان وأساطيرهم، وأفكار الفرس الخرافية..[1].

ففكرة الرجعة التي قال بها ابن سبأ، اقتبسها من فيلون اليهودي، المتأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، القائلة بتقلب النفس الجزئية - إذا لم تسلك تلك النفس في جسمها سلوكاً كاملاً - في أجسام بشر آخرين أو أجسام حيوانات أو أجسام سماوية، حتى تتطهر وتصبح خليقة بالرجوع إلى عالمها الأول[2]، وكذلك هي صدى لعقيدة اليهود المنحرفة القائلة برجعة عزير، وأنه لم يمت. و قد اعتمد ابن سبأ في إدخال هذه الفكرة إلى ساحة الإسلام على تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] فقال أولاً بعودة الرسول - ﷺ- إلى الحياة الدنيا ومعه وصيه علي - رضي الله عنه -.

وهكذا صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد انتقلت فكرة الرجعة هذه من الأفلاطونية إلى المسيحية الغنوصية، عن طريق اليهودي «فيلون»، وكلها تأثرت بأفكار الشرق المجوسية الثنوية والمانوية، التي كانت تقول بشيء من هذا، وتؤمن بعودة الغائب، الذي سيقيم العدل. ومن ابن سبأ اليهودي كان

---

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية، د. محمود قاسم، ص ٢٢٤.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص ٣٩.

مبتدأ المؤثرات الأفلاطونية الحديثة والفيلونية اليهودية، والغنوصية المسيحية ومن ثمّ المجوسية في عقائد بعض المسلمين والقول بالرجعة[١].

وأما فكرة حلول الجزء الإلهي في الإنسان، أو بالأحرى في الأئمة، وفي علي بالذات، حيث قال له: ابن سبأ (أنت أنت) يعني أنت الله، فهي فكرة تعود إلى خليط من العقائد، إذ من الممكن ردها إلى الفكر اليهودي، وابن سبأ يهودي، ومن الممكن ردها إلى النصراني الذي يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، وأن عيسى إله، ومن الممكن ردها إلى الفكر الفارسي الذي كان يعتقد بولادة الملوك والسلاطين من أصلاب الآلهة، وأن الملوك تجسيد للآلهة.

ومن هذا يلاحظ المرء كيف بدأت الحركة السبئية تطرح الأفكار، التي تحمل معول الهدم للدين الجديد المنتصر، مستعملة سلاح التأويل الباطني للنصوص، لتضفي على أفكار الهدم ثوباً إسلامياً، عند السذج البسطاء الذين كانت بوابة جرّهم لاتباع أفكار ابن سبأ رايته في حب آل البيت، التي كان يغطي بها كل سخائمه ومفترياته.

وأما فكرة التناسخ، فهي فكرة ابتدأها ابن سبأ، ثم كانت قاسماً مشتركاً عند كل فرق الغلاة. وقد كانت هذه الفكرة موجودة من قبل لدى كل فرق المجوس المزدكية، كما كانت منتشرة لدى البرهيمة في الهند، وعمّت فلاسفة اليونان وقال بها انبنقليس وأفلاطون، والهندوس الهنود.

حقاً لقد جرّ هذا اللعين على الإسلام والمسلمين أبواباً من الفساد، ما يزال أثرها يعمل فيهم حتى اليوم..!

- هل تراني وضحت لك الفكرة؟
- لقد فزت أيها الصديق، وقبل أن يرتد إليك نَفَسُك: إليك بالسؤال التالي:

السؤال الثالث عشر: ما هي التأثيرات التي تركتها هذه الحركة في المجتمع الإسلامي؟ وكيف عملت؟

لقد جاء سؤالك في مكانه ووقته.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

لا أظن أنك لم تكتشف حتى الآن أبعاد مرامي هذه الحركة وصاحبها! وأنها كانت تخطط بالدس والخديعة والتستر للوصول إلى الغاية النهائية، ألا وهي هدم هذا الدين ودولته، ولكن متى يتم ذلك؟ فهذا مما لم تكن تستطيع تحديد وقت له؛ فالهم عندها البدء في المهمة، والسير بالخطو إلى الأمام على طريق الوصول إلى الهدف، ولنر الآن كيف تم العمل من أجل ذلك والآثار التي ترتبت عليه:

١. أسلم اليهودي ودُرّب لدى أحبار يهود في اليمن على تنفيذ المهمة.
٢. أرسل بعد ذلك مزوداً بالمعلومات والخطوات إلى العراق، مهد القلق والحركات غير المستقرة الغاضبة لأسباب لا يسعف السياق لذكرها.
٣. ومن ضمن الخطة أن تكون هناك تغطية « تكتيكية» للأفكار، التي رجعوا بها إلى التاريخ اليهودي والنصرانية والفلسفات ومقولات الفرق القديمة القائلة جميعها بالتأويل. ولقد بدأ القول عندهم بالظاهر والباطن للنصوص، وأن الباطن هو للعارفين ذوي الهمم والأسرار، أما الظاهر فهو للسذج البسطاء ذوي الهمم القريبة. ووجدوا أن التغطية تكون بالدعوة لعلي- رضي الله عنه-، وأنه هو الوصي، وأن من أخذ الخلافة قبله معتدٍ مغتصب، يجب أن يحارب ويزال، وأن علياً يعلم الغيب، وأنه الله. وهكذا بدأت الحركة تعمل على ثلاثة خطوط أو محاور في آن واحد، لتلقي بالناس في شباكها من أبواب متعددة؛ فقد طرحت العقائد الباطنية الفاسدة عن طريق التأويل الذي ألبسوه لباساً إسلامياً موهماً، ثم كان الخط الثاني يضرب رأس الدولة من خلال ادعاءات عقدية، لابسةَ ثوباً إسلامياً قائماً على التأويل أيضاً؛ ليؤدي ذلك إلى تأليب الناس على رأس الدولة، وتجميعهم في بوتقة الدعوة إلى علي وآل البيت، ومن ثمّ إفساد عقيدتهم وسلوكهم بأفكار الرجعة والتناسخ والتأويل، وإلهية الإنسان والتقية .. إلخ ما هنالك من أساطير يهودية متخفية بإهاب إسلامي، ومطعمة بفلسفات اليونان، ووثنيات الهنود والفرس، وهو ما يؤهل لوجود الخارجين على سلطان الإسلام وسلطته.

وبالفعل فقد أثمر كل ذلك الجهد تجمعاً وتشيعاً خارجاً على الدولة، حيث انقض بعد فترة وجيزة على رأسها أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - فقتلوه، ثم راحوا

يتآمرون على علي الذي دعوا إليه، وبذلك حدثت الفتنة التي أرادوها متمثلة بفرقة الأمة و تشرذمها شيعاً وأقساماً منها: (الخوارج، ومعركة طلحة والزبير، وحرب معاوية مع علي، وراح العالم الإسلامي يموج بمعارك واقتتال لم يخلص من آثارها حتى اليوم.

وها هو الطبري في تاريخه يلخص لنا جميع ما قلناه:

(كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء، فأسلم زمن عثمان - رضي الله عنه -، ثم تنقل في بلاد المسلمين، يحاول تضليلهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد، فأخرجه أهل الشام حتى استقر في مصر، فاعتمر فيها، فقال مما قال فيها: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذِّب بأن محمداً يرجع وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، محمد أحق بالرجوع من عيسى، فقُبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها، ثم قال لهم محمد خاتم الأنبياء الأوصياء، ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله - ﷺ- ووثب على وصية علي، ثم قال: إن عثمان أخذها بغير حق، فانهضوا في هذا الأمر، فحركوه وابدأوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر، فبعث دعاته، وكاتب من كان استفسد من الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وجعلوا يكتبون ذلك، فأوسعوا الأرض إذاعة وإفساداً)[1].

إذن فهي تأثيرات فكرية عقيدية، ثم تأثيرات اجتماعية، غيرت في توجهات كثير من العامة، ثم تأثيرات سياسية، أدت إلى الطعن بأعمدة الدولة، والانقضاض على الولاة، ثم على أمير المؤمنين، ثم لم يسلم الأمر من بعد، فتطاحنت رؤوس المسلمين، وامتدت أيديهم بالسيوف، في فتنة عمياء، لم تبق لرشيد رأياً، ومع تطاول الأزمان والأيام أخذت تظهر الفرق الغالية، على مدى اتساع الأرض الإسلامية، متخذةً من قولة السبئية ديناً وأساساً، إذ ركبها كل حاقد أو طامع مغامر، يجدف بها، ذاهباً في بحر التخريب والهدم إلى

(١) دراسات في الفرق و المذاهب القديمة و المعاصرة، (١٩٨٦)، عبد الله الأمين، (ط١)، دار الحقيقة، بيروت، ص٥٥. نقلاً عن تاريخ الطبري.

مداه.

–طيب الله الأنفاس يا أخي، ولكن قبل أن تبطرك الراحة والسكوت، أوَدُّ أن أسألك.

السؤال الرابع عشر: هل لهذه الفرقة امتداد اسمي أو فكري في عصرنا الحديث؟

أما من ناحية الاسم: فلا؛ لأن هذه الفرقة انتهت من ناحية الاسم بالذات منذ العصر الأول، وبعد هلاك صاحبها ابن سبأ بقليل، إلا أن أفكارها أو بعضاً من أفكارها امتدت، وانتقلت مفاعيلها الخبيثة في فرق أخرى، أخذت أسماءً جديدةً مثل: الكيسانية، والإسماعيلية، والنصيرية، والقرمطية و البهائية، و إلى آخر القائمة، وإذن فإننا نستطيع الجزم وبكل دقة: إن السبئية امتدت أفكارها حتى عصرنا الحاضر، ولكن بأسماء ووسائل وسمات جديدة.

فقد تبنت الفرق التي جاءت بعد السبئية القول بالرجعة وبألوهية علي و بالتناسخ، وبالتقية والتأويل. وأنت ترى أن كل هذه الأفكار الضالة ترجع جذورها إلى السبئية، التي حملت كبرها وإثمها الأول. و لقد امتد ظل بعض منها إلى عصرنا الحاضر؛ فهي موجودة بين ظهرانينا اليوم، وتحمل العديد من أفكار ابن سبأ الضالة، ومنها الإمامية.

السؤال الخامس عشر: ولكن ما هو حكم الإسلام فيها؟

لا يحتاج الجواب إلى كبير عناء، فأنت ترى أن كل ما طرحته هذه الفرقة من عقائد وأفكار سياسية، يصادم صداماً مباشراً عقائد المسلمين، وتوجهاتهم السياسية والاجتماعية، ويقع تحت طائلة الكفر والخروج من الملة وفي دائرة حدّ الردة والكفر، لكل من يصر على تبني تلك العقائد والأفكار، ولنستعرض ذلك الحكم بالتفصيل:

- القول بالتناسخ يلغي عقيدة الإيمان باليوم الآخر، وقد انعقد الإجماع على كفر من لم يؤمن باليوم الآخر؛ لأنه أحد الأركان التي لا ينعقد الإيمان إلا بها مجتمعة.
- القول بالحلول هو جزء من عقيدة بعض النصارى في دخول اللاهوت في الناسوت، و بحلول الجزء الإلهي في المسيح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد قال

الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾ [المائدة: ٧٣] وقال أيضاً: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وأعتقد أن هذا كافٍ للحكم بكفر أفراد هذه الفرقة وارتداد أتباعها إذا أصروا على قناعتهم بتلك الأفكار.

وقد همّ علي - رضي الله عنه - بقتل ابن سبأ لما علم بمغالاته، وقوله بالحلول والتناسخ، لولا أن ابن عباس -رضي الله عنهما - نصحه بعدم قتله، وقال له: إن قتلته اختلفت عليك أصحابك، وأنت عازم على مقاتلة أهل الشام، وتحتاج إلى مداراتهم، وهذا بيان لما بلغته تلك الفرقة من النفوذ، إلا أن علياً أمر بحرق بعض أصحاب هذا الضال المضل، جزاءً لهم على قولهم بمثل ما قال. ولما خشي من فتنته نفاه إلى المدائن[(١)].

وهذا الطبري يقول عنهم: إنهم أوسعوا الأرض إفساداً ..

ولنقتبس هنا ما نقله الدكتور صابر طعيمة عن الدكتور عبد الرحمن بدوي، في كتابه مذاهب الإسلاميين / الجزء الثاني / ص١٥، ملخصاً موقف المسلمين من هؤلاء الباطنيين، الذين وقف على قمة هرمهم ابن سبأ وجماعته. يقول الدكتور بدوي:

(كُتابُ المقالاتِ الإسلاميون يجمعون تقريباً على القول: بأن المؤثرات الأجنبية في الاعتقاد الباطني هي القاسم المشترك، الذي يجمع أجنحة الاتجاهات الباطنية المختلفة، بحكم أن الدعاة إلى الباطنية عناصر مدسوسة على البيئات الإسلامية، وقيادات ضالة مضلة قادت بالاعتقاد الباطني عمليات ردة عن الإسلام في التاريخ الإسلامي، تحت مسميات حالت دون أن يقع الداعون والآخذون بالاعتقاد الباطني تحت وطأة رد الفعل، الذي يمكن أن يصدر من جمهور المسلمين وعلمائهم).

---

(١) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، عبد الله الأمين، ص ٥٢، نقلاً عن الفَرْق بين الفِرَق للبغدادي.

إذن فهي قيادات ضالة مضلة، قادت الردة في العالم الإسلامي، وما تزال أصداء منها تتنادى حتى اليوم بأسماء صريحة ومكناة، محاولة الإجهاز على البقية الباقية من هذا الدين ونفوذه على الجماهير الإسلامية العريضة. إن ابن سبأ هذا هو صاحب الحركة الأم لجميع منطلقات الباطنية على مرّ الزمان، فهو شخصية تاريخية حقيقية، تكلمت عنها عشرات المراجع التي ألفها جهابذة القرون الأولى، من مثل الجاحظ وابن قتيبة، والنوبختي والشهرستاني، والبغدادي وأبي الحسن الأشعري، وابن أبي الحديد والقاضي عبد الجبار المعتزلي، والكشي الشيعي والطبري، وابن كثير وابن عساكر، وكثير كثير غيرهم، وكلهم أكدوا أن هذا الرجل يهودي، مارس دوراً تآمرياً عقدياً وسياسياً، طرح فيه بذور الفتنة والردة في الساحة الإسلامية، قصد منها الهدم العقدي ليصل إلى الهدم السياسي، بانياً كل ذلك على الغلو في حق علي -رضي الله عنه -[1].

(١)العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص ٢٧

المبحث الثاني: الكيسانية

السؤال السادس عشر: من أين جاء الاسم؟

نسبةً إلى كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقيل: بل تلميذ محمد بن الحنفية -رحمه الله -[1].

السؤال السابع عشر: وماذا يعتقد هؤلاء أيضاً؟

توزعت مزاعمهم واعتقاداتهم، واختلفت باختلاف مجموعاتهم، إلا أنهم يشتركون بما يلي: إنهم حيارى متقطعون، اعتقدوا أن الدين طاعة رجل. فحملهم هذا على التأويل في الأركان الشرعية، وعلى تسميتها بأسماء رجال منهم، وعلى ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة رجل، كما حمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وبعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت[2]. ومنهم من قال بألوهية علي - رضي الله عنه - تنزه الله عن ذلك، وهم البيانية فرقة من الكيسانية أصحاب بيان بن سمعان التميمي، الذي قتله الوالي الأموي على الكوفة عبد الله القسري لكفره[3].

ومنهم من قال بالبداء، وهو أن الله يظهر له خلاف ما علم، أو أنه يقضي بالشيء بقضاء، ثم يبدو له قضاء آخر فيبطل الأول ويأخذ بالثاني، تعالى الله عن هذا الكفر علواً كبيراً. وهذا مذهب المختار الثقفي الكيساني، صاحب الثورة على ولاة الأمويين في العراق، المطالب بدم الحسين.

- اسمح لي الآن أن نهدئ السير، لنمعن النظر.
- كيف؟
- سؤالي التالي هو الذي سيجيبك .

السؤال الثامن عشر: ما هي فروع هذه الفرقة وعقائدها؟

حقيقة لقد صدقتني القول: فإن سؤالك هذا سوف يبطئ وتيرة الحركة في سيرنا، و

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٤٧.

(٣) المصدر السابق ، ص١٥٢، ١٥٣.

إليك الآن أسماء فروع هذه الفرقة :

١- **المختارية:** نسبة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان من الخوارج ثم انتقل إلى صف عبد الله بن الزبير، ثم صار شيعياً، ودخل في صف الغلاة من الفرق، فكان كيسانياً في نهاية المطاف.

قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي، أو بعد الحسن والحسين، واستعمل في الدعوة إلى محمد بن الحنفية ترهات وزخارف قولية لا أصل لها، إلا أنه نسبها إلى محمد، فتبرأ منه محمد بن الحنفية.

وقال أيضاً بالبداء، الذي هو أنواع ذكرنا بعضها فيما سبق، وادعى علم ما يحدث بوحي، أو بإخبار من الإمام، فإن وقع الخبر حسبما أخبر كان ذلك تصديقاً لدعوته، وإن خالف ما أخبر به يقول: قد بدا لربكم

وأخذ أيضاً بالتأويل، وقال بالخوارق تقع على يديه[١].

٢- **الهاشمية:** أتباع هاشم بن محمد بن الحنفية، قالوا بانتقال الإمامة إلى هاشم من أبيه، وقالوا بالباطن والظاهر، وأن الإمام فيه علم السرائر و الحقائق والبواطن، وأنها تجتمع في الشخص الإنساني، فمن اجتمعت فيه فهو الإمام. ووصل بعضهم إلى القول بالتناسخ والحلول مثل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ومن أتباعه من قال بالرجعة أيضاً، رجعته هو وأنه لم يمت وعن هؤلاء نشأت الحزمية والمزدكية الضالتان[٢].

٣- **البيانية:** أتباع بيان بن سمعان. قال بألوهية علي - رضي الله عنه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقال بانتقال الإمامة إليه، وبرجعة علي، وبالتأويل وقال في تأويل قول الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[البقرة: ٢١٠] أراد بها علياً، فهو الذي يرجع في الظلل، والرعد صوته، والبرق تبسمه، وقال بالتناسخ، وأن الجزء الإلهي انتقل إليه من علي، وبذلك استحق هو الإمامة،

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٤٩ / ١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٥١ / ١٥٢.

وأنت ترى تأثير السبئية في هذه العقائد،بل الأحرى اليهودية المطعمة بالأفلاطونية الحديثة، والغنوصية والهندوسية .. وغيرها[1].

٤- **الرزامية:** أتباع رزام بن رزم، ظهروا بخراسان قالوا بالتناسخ، والحلول وانتقال الإمامة، وبتناسخ الجزء الإلهي، وكان أبو مسلم الخراساني على مذهب هؤلاء[2].

- مهلك، مهلك يا أخي فقد والله مال رأسي، وأرتج عليَّ، ما هذا الذي انتهجه هؤلاء؟ وما هذه العقائد التي لا يمكن أن يقتنع بها من عنده مسكة من عقل؟
- على رسلك يا أخي ولا تتعجل القول، ألم أقل لك منذ البداية: إن الضالين المضلين بذروا بذورهم في أرض قابلة، وإن الحاقدين كثر، والداخلين في الإسلام تقية يخفون نفاقهم بقشرة رقيقة لا يحصون، وإن الأهواء ملأت الساحات، والحنين إلى حياة الفسق في دولة الآباء والأجداد تملأ نفوس الكثيرين ممن هزموا أمام قوة الإسلام الجديدة، فلما أعطاهم ابن سبأ وغيره من المفسدين بارقة، نزلوا إلى المخاضات، وبدأوا يخوضون، متسترين أمام العامة بثوب حب آل البيت وأحقيتهم في الإمامة، مستعملين التأويل حجاباً ورداءً.
- لا أريد أن أسألك عن علاقة عقائد هؤلاء بالعقائد الأخرى، فالمنشأ واضح والعلاقة بينة، وطابع ابن سبأ يذيل آخر الورقة بخاتمه، وعيون اليهودية المطعمة بأساطير اليونان، وترهات الفرس، وخرافات الهندوك تطل من كل حرف وكل قولة من مقولات هؤلاء، ولكن ..

السؤال التاسع عشر: ما هي الآثار العملية التي تركتها الفرقة على الساحة الإسلامية؟

لقد كانت الكيسانية التي بناها وابتدعها المختار الثقفي، مثل السبئية[3] من الفرق

(١) المصدر السابق، ص١٥٢ / ١٥٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٤.

(٣) أنشد أعشى همذان في المختارية قوله:

شهدت عليكم أنكم سبائية ... وإني بكم يا شرطة الشك عارف

وإني امرؤ أحببت آل محمد ... وتابعت وحياً ضمنته المصاحف

التي هيأت ومهدت لما جاء بعدها، و كانت هي نفسها قد بنت على بناء السبئية، و كان أثرها في أثناء حياة صاحبها محدوداً، إلا أن آثارها ظهرت وامتدت ونمت في العصر التالي، إذ إنها مهدت الأرض أمام ظهور الإمامية والإسماعيلية، مع بقاء السبئية هي المصدر الأول، الذي اغترفت منه، واتكأت على عكازه كل الفرق التالية، في سلسلة ظلّت تتوالد، إلى أن وصلت إلى يوم الناس هذا. ولقد لقي المختار الثقفي في حياته تأييداً كبيراً من الناس، و ذلك لرفعه شعار الانتقام للحسين - رضي الله عنه- عندما قال وكان يسجع سجع الكهان: «أما ورب البحار والنخيل والأشجار، والمهامة القفار، والملائكة الأبرار، لأقتلن كل جبار، بكل لدن خطار، أو مهند بتار، حتى إذا أقمت عمود الدين، ورأبت شعب صدع المسلمين، وشفيت صدور المؤمنين، لم يكبر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى»[1].

وفعلاً فقد كانت الآثار العملية الحربية التي قام بها المختار كبيرة، حيث أثار النقع في العراق فترة زمنية غير قصيرة بينه وبين ولاة الأمويين، ثم بينه وبين ابن الزبير؛ و قام بقتل الكثير من قتلة الحسين - رضي الله عنه - إلى أن قتله مصعب بن الزبير، والي العراق من قبل أخيه عبد الله - رضي الله عنه -.

أما الأثر الفكري والسياسي لهذه الحركة (الكيسانية)، فقد بدأت تؤتي أكلها بعد ذهاب عصر المختار؛ إذ ظهرت الإمامية، وانشعبت فرقها حول الإمامة، التي حركت الكيسانية موضوعها، ثم ظهرت الإسماعيلية، التي اتخذت من قضية الإمامة أيضاً متكأً لأفكارها ومعتقداتها الضالة، وذهبت في هذا السبيل كل مذهب إلحادي فاسد، و أنت ترى أن الكيسانية بعد السبئية حملت كبر انتشار الأفكار الضالة، والتجرؤ على الإعلان بها، وبثها والدعوة إليها: من مثل البداء، وتقديس الأئمة، أو تأليههم من قبل بعض فروع الكيسانية، والرجعة، وتناسخ الأرواح، والتأويل الباطني. وهكذا فإنه رغم انتهاء حركة المختار بمقتله، إلا أن أفكاره ومعتقداته التي كانت امتداداً للسبئية، ظلت تعمل وتفرخ في الظلام لأسباب كثيرة، إذ ظهر الجعد بن درهم بأرائه الشاذة، عن خلق القرآن، والجهم بن صفوان القائل بالجبر، وغيلان الدمشقي القائل بالقدرية، ثم تتالت الآراء

(١) الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص ١١٢.

الشيعية الغالية من مثل: البيانية أتباع بيان التميمـي، والمغيرية أتبـاع المغـيرة بـن سـعيد، والرزامية وغيرها. وكلها ظهرت في أواخر القرن الاول، وأوائل القـرن الهجـري الثـاني، حيث حملت جميعها ما قاله المختار، وزادوا في الانحراف، وفرّعوا حتى هدموا العلاقة مـع الإسلام، وكل ذلك بتغذية من رؤوس منحرفة، ظلت تتوارث الأهداف المريبة جيلاً بعـد جيل، ما دام هناك من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله بحق وصدق.

- جزاك الله خيراً يا أخي على هذا البيان والتوضيح، وإني أستميحك العـذر في أن أسألك سؤالاً أخيراً عن هذه الفرقة.
- قل، قل وبجرأة ولا تخش لوماً.

السؤال العشرون: هل لهذه الفرقة امتدادات؟

إذا كانت فروع هذه الفرقة التي جاءت في العصر التالي، من مثـل البيانيـة والمغيريـة والرزامية .. إلخ ليست جزءاً منها، فهي بالتأكيد من امتـداداتها العقائديـة والـسياسية في القرن الثاني الهجري، ونستطيع أيضاً أن نعد القول بخلق القرآن، الذي ابتـدأه الجعـد بـن درهم في فترة مبكرة، هو من امتدادات جرأة هذه الفرقـة علـى الإعـلان بكـل شـاذ مـن الآراء والمعتقدات.

وإذا عددنا الكيسانية هم من انشغلوا بقضية الإمامة، وانتقالها في الأئمة نـستطيع أن نعتبر الإسماعليلة امتداداً لها في القرون التاليـة هـي وغـلاة الإماميـة الـشيعة. ونـستطيع القول بناءً على ذلك: شكلت الكيسانية بعد السبئية مبتدى الـشرر، الـذي تطـاير في كـل أنحاء العالم الإسلامي، وشغله بالترهات والوثنيات والكفر، حتى عـصرنا الحـالي، الـذي مازالت تلك الأفكار تعمل فيه، تحت أسمـاء الإسماعليلـة والنـصيرية والبهائيـة والبابيـة والقاديانية والغالية من الشيعة الإمامية التي تعمل جميعها في عـصرنا الحاضـر علـى إقامـة دولة الغلاة، في جهات متعددة من أرض الإسلام، وبناءً على هذا يتبين لنا مدى خطـورة تلك الأسماء، التي أصبح من المألوف لآذاننا أن تسمع عنها ولا ترتعش، أو تقـف لتفكـر و تتدبر ..! وليكن في الذهن عند الكلام عن امتداد تلك الفرقة أن أبا مـسلم الخراسـاني القائد العسكري للحركة العباسية كان من أتباع الكيـسانية، وأنـه لـيس مـن المـستبعد أن

يقوم اليوم رجل ممن يدينون بالغلو من امتدادات تلك الفرقة ليقود الجموع نحو تدمير عالم الإسلام، و ليست إيران وحدها المثال على ذلك، بل إن الإرهاصات في أماكن أخرى - حيث ينتشر أتباع تلك الأفكار - تنذر بكل شر، ومن هنا أردنا التنبيه إلى هذا الخطر.

- هل لك الآ... ن ..
- مهلك يا أخي مهلك، ألم تقل عن سؤالك السابق: إنه آخر سؤال حول الموضوع؟
- نعم، لقد قلت ذلك ولكن لا تؤاخذني فقولي سبقُ لسان، وما زال في الجعبة شيء أريد أن أسألك عنه.
- أعانني الله يا سيدي، هات ما عندك.

السؤال الحادي والعشرون: ما هو حكم الإسلام وشرعه في هذه الحركة؟

ماذا سيكون حكم الإسلام في رجل يقول بالبداء ؟ وماذا سيكون حكمه برجل يقول بالتناسخ ويلغي بذلك عقيدة البعث ؟ وماذا سيكون حكمه برجل يقول بالرجعة والتأويل ؟ وماذا .. وماذا؟

أليس الكفر البواح - والعياذ بالله - والردة عن الإسلام هما القضاء العدل في من يؤمن و يصر على الإيمان بتلك العقائد، تعالى الله علواً كبيراً عما قاله هؤلاء..؟!

ولقد كان حرق بيان التميمي وابن سعيد بتهمة الكفر من قبل والي الخليفة على الكوفة (عبد الله القسري) بسبب ردتهما وكفرهما وكفر الفرقة التي دانت لهما، وقالت بأقوالهما، وبسبب خروجهما على سلطة المسلمين بغير حق. وكان تبرؤ الإمام محمد بن الحنفية من قبلُ من المختار وإخراجه له من حومة الإسلام، كان ذلك هو الحكم لمن أعلن ارتداده بحمله لأفكار البداء والرجعة والتناسخ واتباعه لرؤوس هؤلاء ومنهم من استعمل الألاعيب ليدلل على علمه بالغيب، وأن الله مؤيده وناصره.

يقول ابن كثير في البداية والنهاية: «ولا شك أن قتل قتلة الحسين كان متحتماً، والمبادرة إليه كانت مغنماً، ولكن إذ ما قدره الله على يد المختار الكذاب، الذي صار بدعوى نزول الوحي إليه كافراً، وقد قال رسول الله - ﷺ-: (إن الله ليؤيد هذا الدين

بالرجل الفاجر). وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٩] والمختار هو الكذاب الذي قال فيه رسول الله -ﷺ- : (إنه سيكون في ثقيف كذاب ومبير) فالمختار هو الكذاب، والحجاج هو المبير»[1].

وفيما يلي بعض ما جاء في البداية والنهاية لابن كثير عن المختار، مما يبين صفة هذا الرجل وكفره[2]:

- أما المختار فكان ناصبياً يبغض علياً - رضي الله عنه - بغضاً شديداً.
- أشار على عمه والي المدائن بأن يسلم الحسين بن علي إلى معاوية يوم التجأ الحسين إليها، بعد أن خذله العراقيون في قتاله مع أهل الشام، ولهذا السبب أبغضه الشيعة.
- كان من أتباع ابن الزبير علانية ويسبه في السر.
- فرح المسلمون جميعاً بزوال دولة المختار من الكوفة؛ لأن الرجل لم يكن صادقاً في نفسه، وزعم أن الوحي يأتيه على يد جبريل فهو شبيه مسيلمة.
- حدث الإمام أحمد - رضي الله عنه - قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن حماد بن سلمة، حدثني عبد الله بن عمير، عن رفاعة بن شداد، قال: كنت أقوم على رأس المختار، فلما عرفت كذبه هممت أن أسلّ سيفي فأضرب عنقه، فذكرت حديثاً حدثناه عمر بن الحمق، قال: سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: «من أمن رجلاً على نفسه فقتله أعطي لواء غدر يوم القيامة» ورواه النسائي وابن ماجة من غير وجه. من كل ذلك نستدل: أن حكم الإسلام في الكيسانية وأتباعها، أنهم كفرة مرتدون، ويجب أن يستتابوا و إلا فحكمهم القتل، وأن الذين جاؤوا بعد المختار، وكانوا من دعاة الكيسانية، ظهر فيهم الكفر بصورة أوضح وأبين، فحق عليهم الحكم الذي ورد على المختار وأكثر .. وهذا هو الحكم في كل أتباع الفرق الذين دانوا بما دانت به هذه الفرقة في أيام الناس هذه، وهم موجودون بين

---

(١)البداية والنهاية، ابن كثير، ج٧، ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق، ج٧، ص ٢٩٢ / ٢٩٣ / ٢٩٤.

ظهرانينا، ودعوتهم إلى ضلالهم قائمة، وخطرهم داهم، وقد ناجزوا هـذه الأمـة في عصرها الحديث، ووقفوا دائماً في صف أعـدائها، ومـن هنـا يـأتي خطـر هـؤلاء، ولذلك فنحن نكتب ونتكلم عنهم، لا لإحياء ذكرى سيئة ماتت، ولكـن للتحـذير من أخطبوط ينام بلا حراك منتظراً، حتى إذا وجد الوقت المناسب مدّ أذرعه، وبدأ يلف المجتمع في دهاليز أفكاره وأذرعه، فالحذر الحذر، واليقظة اليقظـة ممـا يـدور في إيران وفي لبنان وفي العراق وسورية و غيرها، ولا تغرنكم يا أبناء جلدتنا الدعاوى الجوفاء العريضة، والصيحات الخبيثة مما ينـادي بـه هـؤلاء مـن قوميـة واشـتراكية وتقدمية و ممانعة، فهي أغطية لستر عوراتهم الباطنية، التي تحمل البوار تحت القشرة المنمقة المدعية للممانعة، وحفـظ حيـاض الأمـة، ولنقـرأ مـا بـين الـسطور دائمـاً، ونستطلع ما خلف الأكمة، فإنه خطير خطير، ومشترك مع الأمريكـان وغيرهـم في الكيد لدين الأمة.

المبحث الثالث: الإسماعيلية

في دراسة هذه الفرقة سوف نقفز قفزة بعيدة المسافة في عمر الزمان؛ لأن وقتاً طويلاً استغرقته عملية خروج الإسماعيلية من عباءة الكيسانية، وليس معنى هذا أن الفرق الغالية قد انقطعت عن العمل منذ بداية القرن الثاني الهجري إلى أن ظهرت الإسماعيلية المنظمة في أواسط القرن الثالث، ولكننا في سيرنا لدراسة هذه الفرق نختار المحطات الهامة، ونتجاوز عن المحطات الصغيرة، ذات التأثيرات المحدودة.

- لماذا أوردت هذا التقديم؟
- لأنني لا أريدك أن تظن أن عملية الهدم في الكيان الإسلامي قد توقفت كل هذا الزمن ..!
- إذن فإليك سؤالي.

السؤال الثاني والعشرون: من هم الإسماعيليون؟

- نسبة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، إذ قال هؤلاء بإمامته، وهو الابن الأكبر للإمام الصادق[1].
- وهم حلقة من السلسلة التي ابتدأت بابن سبأ.
- وثنت بالمختار الثقفي، ثم جاءت بأبي هاشم عبد الرحمن بن محمد بن الحنفية، ومن ثم ببيان بن سمعان، وبعده المغيرة بن سعيد، مروراً بالمنصور العجلي الذي رفع أئمة الشيعة إلى مصاف الآلهة. ووقوفاً عند أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي مولى بني أسد، الذي كان أباً لكل الفئات الضالة من بعده، فقد كان أستاذ المفضل الجعفي، الذي خرّج محمد بن نصير موجد النصيرية، وكان أستاذاً لإسماعيل بن جعفر الصادق وابنه محمد موجد الإسماعيلية، وكان زميلاً وأستاذاً لميمون القداح وابنه عبد الله اللذين طورا الإسماعيلية، التي انبثق منها كل من الدروز والقرامطة والحشاشين، حيث يُعد أبو الخطاب وحركته الخطابية هو

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٩١.

والإسماعيلية شيئاً واحداً في الأهداف والعقائد[1].

- حسناً لقد أجَدْتَ، ولكن:

السؤال الثالث والعشرون: أريد شيئاً من الشرح عن نشأة الفرقة وجذورها التاريخية، حتى وصلت إلى أوجها.

نعم، نعم لدي ما تريد وزيادة .. اسمع يا أخي:

- يطلق عليهم الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، حيث انقسمت الشيعة بعد الإمام جعفر إلى فرق منها: المعتدلة ومنها الغالية: كفرقة الإسماعيلية هذه. ومع أن إسماعيل مات في حياة أبيه عام ١٤٣هـ، حسب ما ورد في أكثر المراجع وأرجحها، إلا أن هذه الفرقة ادعت أن جعفراً أوصى بالإمامة لابنه إسماعيل من بعده، ولهذه الفرقة أسماء منها: الباطنية لقولهم بالظاهر والباطن، والأخذ بالتأويل، ومنها السبعية لقولهم بأدوار الإمامة وأنها سبعة، وأن محمد بن إسماعيل انتهت عنده الأدوار، وأنه هو السابع من محمد - ﷺ-، وأن أكثرهم يثبتون له النبوة، وأن ذلك يستمر في نسبه وعقبه، سبعة سبعة كأيام الأسبوع والسماوت السبع والكواكب السبعة[2].

يرجع أصل هذه الفرقة وجذرها إلى رجلين: إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن أبي زينب الأسدي مولى بني أسد زعيم الفرقة الخطابية، الملقب بأبي الخطاب. وهم يعتقدون بالإمام المستور، الذي لا شوكة له، ولذلك فإن الزمن الذي مضى على ظهور هذه الفرقة في المرة الأولى، وظهورها في المرة الثانية، الذي طال أكثر من قرن من الزمان، لا يعني أن الفرقة لم تكن موجودة، لا بل كانت مستورة، وإمامها متستراً لعدم وجود الشوكة، وكانت دعوتهم تعمل سراً على أصعدة متعددة، ولقد مر معنا في الجواب على السؤال الثاني والعشرين كيف كان أبو الخطاب أباً لكثير من الحركات الهدامة بعده، وكيف بنى هو على أفكار العبيدية من قبله، وكيف تبرأ الإمام جعفر الصادق من أبي الخطاب ومن

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص ٢٥.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٩٢، العقائد الباطنية، صابر طعيمة، ص ٥٨.

جميع أقواله وعقائده، كما تبرأ من ابنه إسماعيل الذي كان يرافق رجال الفرق الغالية من أمثال أبي الخطاب، والمفضل الجعفي، فقال في حق إسماعيل: إسماعيل ليس مني ولكنه شيطان في صورة إنسان، كما قال له وهو خارج حياً من عند الخليفة المنصور: أفعلتها يا فاسق ؟ أبشر بالنار[1]. ومما يؤكد صلة الخطابية بالإسماعيلية، أن أتباع أبي الخطاب بعد هلاكه قد انضموا إلى الإسماعيلية، على اعتبار أنهما شيء واحد، حيث كان ميمون القداح وابنه عبد الله من تلامذة أبي الخطاب، وهما في الوقت نفسه المؤسسان الرئيسان للفرقة الإسماعيلية. وبعد هلاك أبي الخطاب انتقلت قيادة الإسماعيلية إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر وميمون القداح وابنه عبد الله، وكلهم دخلوا في الستر والغياب بعد افتضاح أمرهم، ومتابعة السلطات لهم.

وإذا أردنا التحديد ووضع النقاط على الحروف، نقول: لقد انتهت قيادة الإسماعيلية، وتطورها، وبناؤها، وتنظيرها، بعد هلاك أبي الخطاب وإسماعيل بن جعفر، إلى ميمون القداح وابنه عبد الله من بعده، وذلك لأن محمد بن إسماعيل توبع وحوصر بحيث لم يسمع عنه شيء بعد ذلك، فقد ذهب إلى خوزستان، ومنها إلى جنوب بحر قزوين، ومن ثم اختفت أخباره نهائياً.

وعبد الله بن ميمون القداح هو بالذات منظر الحركة، ومطورها بملكاته العجيبة، وقدراته الهائلة على التلون والتنظير والحركة، وفي عهده امتدت الحركة وتعاظمت وأصبح لها أتباع ومريدون وجبايات.

- ولكن ..
- قبل أن تقول لكن، أريد أن أختم إجابتي على السؤال السابق بقولي: إن الحركة الإسماعيلية كانت من الدقة في التنظيم، والتخفي والظهور بوجوه مختلفة وحسب الحاجة، ما يؤكد طبيعتها الهدامة، وأهدافها البعيدة المرامي التي شغلت العالم الإسلامي، وعملت فيه فُرقة وهدماً وتمزيقاً أكثر من قرنين من الزمان، واستطاعت خلال هذا الزمن الطويل أن تبني دولاً وممالك.

---

(١) انظر: أصول الإسماعيلية، برنارد لويس، ص ٨٠، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص ٥٩.

السؤال الرابع والعشرون: ما هي العقائد الرئيسة التي جاءت بها هذه الفرقة؟

الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة الغالية، حملت نسبتها إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي كان أحد متزعميها، حيث أضله ابن الخطاب كما رأينا، وتبرأ منه أبوه الإمام جعفر في حياته، كما مر معنا سابقاً. وأحد ألقاب هذه الفرقة لقب الباطنية[1]، ومنه نعرف إحدى عقائد هذه الفرقة، وهو القول بالتأويل، وأن للقرآن ظاهراً وباطناً، ومن لقبهم السبعية نفهم فكرة أخرى من أفكارهم وعقائدهم، وهي اعتقادهم

بأدوار الإمامة وأنها سبعة، بدأت بمحمد - ﷺ- وانتهت بمحمد بن إسماعيل بن جعفر، وأن للأول النبوة التي تتعاقب في ذريته.

- أما عقيدتهم في الإله، فهي تقوم على تلفيق، يحاول التوفيق بين عقيدة الإسلام في الإله، وعقائد الفلاسفة فيه[2]. وهذا التلفيق الواهي الذي بنوه على أساس ضال، يقوم أصلاً على نفي صفات الله، وتجريده من كل ما يوصف به، فلا يقولون قادراً أو موجوداً أو عالماً أو كاملاً أو حتى ذاتاً؛ لأن مجرد القول بالذات، يقتضي بالتبعية صفات، وهم ينفون الصفات، ويشرحون هذه الصفات بقولهم: إن الله عالم، لكونه أعطى العلم، لا لكون أن العلم قائم فيه، وإنه قادر لكونه أعطى القدرة ووهبها، لا بمعنى أن القدرة قائمة فيه، وهكذا بقية الصفات[3].

إذن فالله في عقيدتهم أكبر من أن يدركه العقل، أو أن يصل إلى معرفة ذاته، وبذلك فهم يصفون من يثبت له الصفات بالشرك ..! فهو تعالى عندهم لا يقال عنه: حي قادر عاقل عالم كامل تام فاعل؛ لأنه هو مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل[4].

وهم يقولون: إن الصفات الواردة في القرآن هي إشارة إلى حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفلية، وأن الله تعالى لم يبدع الكون مباشرة من هذه الصفات، بل

(١) انظر: جواب السؤال، ص٢٣.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ٩٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٤) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، نقلاً عن كنز الولد للحامدي الباطني اليمني أحد دعاة الإسماعيلية، ص ٩٤.

أبدع الكاف، واخترع النون، ومن الحرفين أقام الله العالم العلوي والسفلي، أي أنه استعان بالحرفين من أجل الخلق، فهو إذن أبدع العقل الأول، وتوحيده يقتضي نفي الصفات، ومعرفة الحدود، وإثبات الصفات شرك؛ لأن الصفات تليق بمبدعاته (العالم العلوي) ومخلوقاته (العالم السفلي).

والعقل الأول الذي أبدعه الله أو أفاض به، حمل الصفات كلها، فهو الحق والحقيقة، وهو الوجود الأول، وهو الوحدة والواحد، وهو الأزل، وهو الأزلي، وهو العقل الأول والمعقول الأول، وهو العلم والعالم الأول، وهو القدرة وهو القادر الأول، وهو الحياة وهو الحي الأول(1).

وهذا العقل عندهم هو المقصود بالآية الكريمة: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١] فهو القلم، وهذا القلم هو الخالق، وهو الذي خلق النفس الكلية المقصودة من الذي رمز إليه القرآن باللوح المحفوظ، والقلم يسمى السابق، والنفس تسمى عندهم التالي، وبواسطة العقل السابق، والنفس الكلية التالية وجدت جميع المبدعات العلوية والسفلية.

والعقل الأول عندهم يسمى الحجاب أو المحل أو الصلة(2).

- وتعاملوا في عقائدهم بلعبة الحروف والكلمات وأعدادها وتركيباتها، فقالوا: إنه ما من فريضة وسنة وحكم من الأحكام الشرعية من بيع وإجارة وهبة ونكاح وطلاق وجراح وقصاص ودية، إلا وله وزان من العالم (عدد في مقابلة عدد، وحكم في مقابلة حكم). والتركيبات في الحروف والكلمات على وزان التركيبات في الصور والأجسام، ولكل حرف وزان في العالم، وطبيعة يخصها، وتأثير من حيث تلك الخاصية، وعن هذا صاروا إلى لعبة الكلمات ومقابلتها بالأحرف وأعدادها، وعمل موازنات، وعمدوا إلى آيات القرآن فاستخرجوا لها من تلك الموازنات العددية للأحرف، ومقابلتها بأعداد التركيبات، ووصلها بما يقابلها في العالم، مما هو قريب من السحر أو الكهنوت. ودعوا إلى إمام في كل زمان، يعرف موازنات هذه العلوم،

---

(١) واحة العقل، الكرماني الإسماعيلي، ص ١٨٩.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص ٨٧.

والألعاب الحرفية والعددية، ويهتدي إلى مدارجها ومواضعاتها[1].

وبالاختصار، فإن فكرتهم عن الإله قائمة على فكرة الفيض الغنوصية اليونانية اليهودية، الذين يقولون بالعقل الأول الذي هو فيض وإبداع.

- أما فكرتهم عن الأنبياء فتقوم على دائرة غير مغلقة من الأنبياء، ويرأسهم سبعة ناطقين، وبين كل اثنين ناطقين سبعة صامتين، يوازيهم طبقة أدنى منهم، مرتبين على أساس العدد سبعة، أو الاثني عشر. وتعمل كل مجموعة سباعية من الأنبياء الصامتين على تدعيم عمل الناطق الذي سبقها، والتمهيد للناطق الجديد الذي يخلفه، في حلقة لا تنتهي، وهذا يعني أن محمداً عليه الصلاة والسلام ليس خاتم الأنبياء كما هو في عقيدة الإسلام، بل هو حلقة في سلسلة الناطقين، ينسخه ناطق آخر، وهذا الناطق هو الذي يمثل العقل الذي صدر عن الله، فالعقل عندهم هو مدبر الكون، ومرسل الرسل والأنبياء، والوحي هو ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبله العقل من أمر باريه، وهذا كله تحكمه نظرية الفيض، حيث إن النبي شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية[2].

أما تأييدهم لعقائدهم تلك فيقوم على التأويل والظاهر والباطن، الذي قدمنا عنه الشرح في مواضع عديدة.

- وأما عقيدتهم في البعث، فتقوم على اساس التناسخ، المبني على نظرية الدور، التي هي من أكبر وأهم عقائد الإسماعيليين، حيث يؤمنون - كما أسلفنا- بأن للعالم دورات متعاقبة، وفي كل دور نبي ناطق ووصي، وأئمة ستة، فإذا جاء السابع، افتتح دورة جديدة. وعلى هذا الزعم: فالأنبياء والأئمة خلقوا من نور العقل الكلي، وهذا النور يتسلل بالأنبياء، والأئمة في كل الأدوار، فهم أي الأنبياء والأئمة هم هم، ولكن تختلف الأجسام والأسماء، أما الروح فهي واحدة متنقلة، وبناءً على ذلك فهم يبطلون البعث والعقاب والثواب، ويعدونه آلام الروح، من حيث تناسخها في الأجسام المتتالية، والثواب هو اللذة التي يأخذها الإسماعيلي

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص ١٩٤ / ١٩٥.

(٢) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص ١٠٦.

بالحصول على العلوم ومراتبها[1].

هذه مجمل عقائدهم، تبدو للناظر أنها نسخ شامل لأحكام الإسلام وعقائده، فهم قد عدّوا أن النبي السابع محمد بن إسماعيل، قد جاء بشريعة ناسخة لشريعة محمد عليه الصلاة والسلام، متبر ما هم فيه وخاسر، حمانا الله من مثل هذه الترهات والوثنيات.

السؤال الخامس والعشرون: من أين اقتبس هؤلاء هذا البناء العقائدي؟

اعلم أن هؤلاء وغيرهم من الباطنية أناس تستروا بالإسلام، ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تشهد على رفضهم للإسلام، ومجافاتهم لعقائده، وأنهم قصدوا من وراء تلك العقائد تعطيل الصانع، وإبطال النبوة، وإنكار البعث، وإبطال العبادات، والعمل بالشهوات واللذات لكسب الناس، ولكنهم في البداية و لكي لا ينفر الناس منهم يتسترون بالدين، وبالاعتراف بالله و بالرسل، إلا أنهم شيئاً فشيئاً وكلما تعمق تابعهم بهم قالوا له: إن كل ذلك ظاهر وراءه سرائر لا يعلمها إلا من تعمق ووصل[2].

ولقد بحث هؤلاء طويلاً، ودرسوا، ونقبوا في عقائد المجوس والمزدكية و الثنوية ثم ملاحدة الفلاسفة، الذين اقتبسوا وثنيات اليونان، وحاولوا دسها في الإسلام، ثم أرسوا قواعدهم على خليط من هذه الوثنيات الماحقة، ودسوا أنفسهم مع فئات من الروافض ممن يقبلون المحالات، ويصدقون الأكاذيب، التي يطلقها كل من يؤيدهم بالرأي في التحزن على آل البيت[3]، وراحوا يبثون من خلال هذه الفئات أكاذيبهم وترهاتهم ووثنياتهم، أملاً في تحويل التيار إلى مجراهم، لكنهم خسؤوا وذموا في الدنيا والآخرة، ولحقهم من المصائر الخاسرة العاثرة في دنياهم الكثير الكثير، بعد أن قتلوا ونهبوا وحكموا بالهوى والشهوات واللذات. أما جذور عقائدهم فإني سأعمل على ردها واحدة واحدة إلى أصولها، ومسقط رأسها، وإليك هي:

---

(١) المرجع السابق، ص ١٢٦ / ١٢٧، نقلاً عن كتاب الإسماعيلي عارف تامر (أربع رسائل إسماعيلية).

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٦.

قدمنا سابقاً أن الإسماعيلية امتداد للخطابية، وهذا ما أكده لنا القمـي والنـوبختي في كتابيهما المقالات والفرق للأول، وفرق الشيعة للثاني[1] وهما من مـؤرخي الفـرق عنـد الشيعة، وهو ما أكده برنارد لويس في كتابه (أصول الإسماعيلية). ولقد أسلفنا القـول أن الخطابيين بعد موت زعيمهم أبي الخطاب اتجهوا اتجاهين: اتجاه تابع القول بإمامة محمد بن إسماعيل وهؤلاء تزعمهم ميمون القداح وابنه عبد الله من بعده، اللـذان أسـسا الطائفـة الإسماعيلية، التي أنبتت الدروز والحشاشين والقرامطة، واتجـاه تزعمـه المفـضل الجعفـي تلميذ أبي الخطاب الذي أظهر الدعوة إلى موسى الكاظم، ومن هـؤلاء نبتـت النـصيرية، وهذا ما يؤكد خطورة أصوله الباطنية، وأنها سلسلة مستمرة وممتـدة، كـل واحـدة تـسلم للأخرى، وإن بدا أن هناك اختلافاً في بعض الظاهر .

وحتى نعيد كل عقيدة من عقائد الإسماعيلية- إحدى جناحي الخطابية الخطـيرة - إلى أصوله ننقل تلخيصاً لعقائد هؤلاء، ذكره أبو حامد الطوسي فهو مفيد في هذا المجال:

«وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسـلام فمـن مـذهبهم القـول بـإلهين قـديمين، لا أول لوجودهما من حيـث الزمـان، إلا أن أحـدهما علـة لوجـود الثـاني، وقـالوا: الـسابق لا يوصف بوجود ولا عدم، ولا هو موجود ولا معدوم، ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف، وحدث عن السابق الثاني وهو أول مبـدع، ثـم حـديث النفس الكلية، وعندهم أن النبي عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه مـن الـسابق بواسطة الثاني قوة قدسية صافية، وزعمـوا أن جبريـل عليـه الـسلام عبـارة عـن العقـل الفائض عليه، لا أنه شخص، واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر مـن إمـام معـصوم قـائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر، مساوٍ للنبي عليه السلام في العصمة، وأنكـروا المعـاد، وقالوا معنى المعاد: عـود الـشيء إلى أصـله، وتعـود الـنفس إلى أصـلها، وأمـا التكليـف فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة، واستباحة المحظـورات، ويقـرون بأنـه لا بـد للإنـسان مـن التكليف، فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف»، وقـد صـرفوا النـاس عـن المعاني الظاهرة إلى معان باطنة مزخرفة مخرقة[2] .

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص ٥٨

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ص١٠٧.

وعقيـدة الإبـداع الناشـئة عـن الإلـه الثـاني عنـدهم هـي نفـس عقيـدة الفـيض الأفلاطونية، لكنهم غيروا عن عمد كلمة الفيض بالإبداع، غير أن الجـوهر واحـد، وأمـا عقيدة ربط كل عالم علوي بما يقابله من عالم سفلي، وربـط كـل ذلـك بالأعـداد والعـدد سبعة بالذات فهو مأخوذ من العقيدة الفيثاغورسية اليونانيـة، الـتي جعلـت كـل الأعـداد أصولاً لعقيدتها، ولقد وصل الإسماعيليون في عملية التوفيق بينهم وبين العقائد الأخرى والتلفيق الفوضوي إلى حد محاولة التوفيق بين شعار الإسلام (الشهادة) وشعار النصرانية (الصليب)، فقال السجستاني أحـد أئمـتهم: (إن الـشهادة مبنيـة علـى النفـي والإثبـات فالابتداء بالنفي والانتهاء إلى الاثبات، وكـذلك الـصليب خـشبتان خـشبة ثابتـة لـذاتها، وخشبة أخرى ليس لها ثبات إلا بثبات الأخرى، والشهادة أربع كلمات كـذلك الـصليب له أربعة أطراف ... والشهادة سبعة فصول، وكذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات، والزوايا الأربع والنهايات الـثلاث دليـل علـى الأئمـة الـسبعة في أدوارهـم، كمـا دلـت الفصول السبعة في الـشهادة علـى أئمـة دور ناطقنـا عليـه الـسلام ...)[1] إلى آخـر هـذه الترهات، والمقارنات واللعب بالألفاظ والأرقام، ممـا يجـرك جـراً، إلى الاعتقـاد بـالتلفيق، الذي يهدف إما إلى إثبات العقيدة التي تنهي الإسـلام، أو إلى فقـدان العقيـدة نهائيـاً، وفي كلتا الحالتين يحصل مطلوب هذه الطائفة.

وأما عقيدتهم في التناسـخ، فتقـول: بـأن النـور الـذي في أول نـبي تسلـسل في كـل الإنبياء، و بناء على ذلك أنكـروا البعـث والجنـة النـار، و هـذه عقيـدة معروفـة أصـولها وجذورها، وأنها كما بينا في أماكن سابقة من هذا الكتـاب تلفيـق مـن العقائـد اليهوديـة والوثنيات اليونانية، وخرافات المجوس وغيرها من الوثنيات.

وأما عقائدهم في الأنبياء والأئمة، فهي مأخوذة من عقائد المجوس في تأليه وتقـديس الأكاسرة وعصمتهم. وهكذا فإن جميـع عقائـد هـذه الفرقـة إن هـي إلا محاولـة للتلفيـق خاسرة بائرة، تظهر لأول وهلة كأنها محاولة لتنزيه الخالق أعظم تنزيه، إلا أن مجرد اطـلاع الباحث على التفاصيل في هذه العقيدة، يوصله إلى قناعة لا تـشوبها شـائبة مـن شـك أو ريب، بـأن عقـولاً شـيطانية عكفـت علـى نـسج هـذه الـشبكة العنكبوتيـة مـن العقائـد

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص٩٤.

والتصرفات والأعمال التي يصدق عليها وصف الواصف: إن عقلاً بارعاً عظيم الذكاء أنتج بصورة شيطانية هيكلاً لعقيدة وتنظيماً محكماً يهدم الإسلام من أول حرف فيه إلى آخر حرف.

السؤال السادس والعشرون: ولكن ما هو مبتغاهم من هذا الهيكل التلفيقي كله؟

لن أتوسع في الإجابة، وسوف ألخص لك الهدف مستخلصاً من بعض الأقوال: (انتهى الأمر بالإسماعيلية إلى طمس معالم الإسلام، وانحلال عقائده انحلالاً تاماً)[1].

(ولا تبقي تعاليم الإسماعيلية في أعلى مراتبها من الأصول الإيمانية الواجبة في الديانة الإسلامية إلا هيكلاً خاوياً وبناءً متداعياً)[2].

وهذه صورة من وصية بعث بها عبيد الله القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي تقول: (إني أوصيك بتشكيك الناس في القرآن والتوارة والإنجيل والزبور، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع، وإلى إبطال الميعاد والنشور والبعث والملائكة في السماء والجن في الأرض، وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضتهم، كقول عيسى بن مريم لليهود لا أرفع شريعة موسى، ثم رفعها بتحريم الأحد بدل السبت، وإباحة العمل يوم السبت، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة، حين سألوه فقال: قل الروح من أمر ربي، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن عليها برهان سوى المخرقة، وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء، وليس له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه، وينكحها من أجنبي، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته وابنته، وما وجه ذلك إلا أن صاحبهم محمد حرم ذلك عليهم، وخوفهم بغائب لا يعقل، وهو الإله الذي يزعمونه، وأخبرهم بما لا يكون أبداً من البعث والحساب والجنة والنار)[3].

وهذا النص يلخص عقيدة هؤلاء جميعاً، كما أنه يبين الأهداف من هذه العقائد،

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، (١٩٨٤)، د. عرفان عبد الحميد، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٧٣، نقلاً عن: العقيدة والشريعة، كولدزيهر، ص٣٣٨.

(٢) فضائح الباطنية، الغزالي، ص١٤٦.

(٣) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد، ص٧٤

وهي تخريب عقائد كل أصحاب الأديان السماوية، ليصل الناس إلى إحدى حالتين: إما أن يؤمنوا بخرافاتهم، وفي هذه الحالة يكون الناس أتباعاً، ويكون زعماء هذه العقيدة حكاماً وهو المبتغى عندهم، وإما أن يترك الناس الأديان جميعاً، فيضع المجتمع في فوضى يسيطرون من خلالها على مقدرات الأمور، وهو المتبغى كما أسلفنا. إلا أن فألهم خاب وخسر، وسقطت الأقنعة بالنهاية، وانحسر المد الهدام، وهذا ما دعا الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى القول: (كان أول من أشهر معول الهدم على نحو شامل رجل لعله أعظم هدام، وأذكى متآمر عرفه التاريخ، ذلك الرجل هو عبد الله بن ميمون القداح، وهو ابن فقيه ملحد، من جنوب فارس هو ميمون به ديصان، وكان ابن ديصان هذا إمام جماعة من الملاحدة، يزيفون الأحاديث، وينشرون في العامة مبادئ الإنكار والهدم والإباحة، ويظهرون في نفس الوقت تشيعاً لآل البيت، حجباً لحقيقة مقاصدهم، ونشأ ابنه عبد الله منذ حداثته في جو المبادئ الحرة والتعاليم الفلسفية والمادية، وتفقه في جميع الأديان، وكان شديد الإلحاد والإنكار، غير أنه ادعى اعتناق مبادئ الشيعة الإسماعيلية، وزعم أنه وقف على الأسرار الروحية، والعلوم الخفية التي يقول الإسماعيلية: إن إمامهم إسماعيل علمها لابنه محمد المكتوم، فذاعت دعوته في جنوب فارس، والتف حوله الإسماعيلية، ولم يلبث أن قبض على ناصية الحركة، ولم تكن دعوته إلى إمامة إسماعيل إلا قناعاً يستتر وراءه)[1].

أما غايته الحقيقية فقد بينها (دوزي) بقوله: أن ينشئ حزباً كبيراً منظماً يرفع في الوقت المناسب، إن لم يكن هو فعلى الأقل أبناءه على العرش)[2].

ويقول المقريزي شارحاً أهداف الإسماعيلية: (وقد وضع - أي عبد الله بن ميمون القداح - سبع دعوات، يتدرج الإنسان فيها، حتى ينحل عن الأديان كلها، ويصير معطلاً إباحياً، لا يرجو ثواباً، ولا يخاف عقاباً) وهكذا تتلخص أهداف هذه الدعوة الهدامة بأمرين:

١. هدم عقيدة الإسلام وإخراج الناس منها.

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبد الله عنان، ص ٣١ / ٣٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٣٢.

٢. جمع الناس حول عقيدتهم وزعمائها من أجل الوصول إلى الحكم بأفكار الإلحاد انتقاماً ممن أطاح بدولة الفرس.

السؤال السابع والعشرون: كيف تحركت هذه الفرقة في المجتمع الإسلامي؟

تحركت هذه الفرقة بتنظيم سري محكم كما أسلفنا، إذ يتدرج المنتسب لهذا التنظيم في سبع مراتب.

- بدأ عبد الله بن ميمون القداح الدعوة في جنوب فارس عام ٢٦٠هـ أواخر القرن التاسع الميلادي، فالتفت الإسماعيلية حوله بعد موت أبي الخطاب، زعيم الخطابية التي هي جذر الإسماعيلية، ثم بعث بالدعاة المبشرين إلى جميع أنحاء الدولة الإسلامية. أما وسائلهم في استمالة الناس إلى صفهم، فقد استعملوا في ذلك أساليب شيطانية، اعتمدوا فيها على كل مواطن الضعف في الإنسان، فأظهرت التقوى للورعين، والحرية حتى الاستهتار لغير المبالين، والفلسفة للنفوس الكبيرة، والآمال الصوفية للمتعصبين، والعجائب للعامة، كذلك منح اليهود مسيحاً، والمسيحيين مختاراً، والمسلمين مهدياً. وأخيراً قدم لاهوتاً فلسفياً لأتباع الوثنية الفارسية والسورية[1]. وبعد دخول المنتسب إلى الحظيرة بعد اصطياده، يتم نقله في المراتب حسب تقدمه في فهم واعتناق ما يلقن من أفكار في المرتبة التي يكون فيها، وقد كانت هذه المراتب التي اخترعها عبد الله بن ميمون سبعاً، ثم تطورت في أيام دولتهم العبيدية في المغرب إلى تسع.

أما مراتب الدعوة، فتقابل مراتب العقول في العالم الأعلى التي قالوا بها:

١. الناطق ويقابل الفلك الأعلى، والعقل الأول أو المبدع الأول وله رتبة التنزيل.
٢. الأساس ويقابل العقل الثاني أو الموجود الثاني وله رتبة التأويل، ويقابل الفلك الثاني.
٣. الإمام ويقابل العقل الثالث وفلك زحل وله رتبة الأمر.
٤. الباب ويقابل العقل الرابع الذي يقابل فلك المشتري، وله رتبة فصل الخطاب.
٥. الحجة ويقابل العقل الخامس الذي يقابل فلك المريخ، وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً.

---

(١) القرامطة، ميكال ين دي خويه، ص١٢.

٦. داعي البلاغ ويقابل العقل السادس وفلك الشمس، وله رتبة الاحتجاج.
٧. الداعي المطلق ويقابل العقل السابع وفلك الزهرة، وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.
٨. الداعي المحدود ويقابل العقل الثامن وفلك عطارد، وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة.
٩. المأذون المطلق ويقابل العقل التاسع والقمر، وله رتبة أخذ العهد والميثاق.
١٠. المأذون المحدود ويقابل العقل العاشر ومادون فلك القمر، وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة، ويسمى أيضاً المكاسر أو المكالب.(١) وهناك مراتب أخرى للدعاة أولاها المستجيب.

السؤال الثامن والعشرون: هل لك أن تذكر لي بعض تأويلاتهم الباطنية؟

نعم، زعموا زوراً وكذباً أن النبي - ﷺ- قال: (أنا صاحب التزيل وعليٌّ صاحب التأويل، ولذلك فهم يزعمون أن التأويل تسلسل في الإمام علي، ثم إلى الأئمة الآخرين، وهؤلاء وحدهم الذين يحق لهم التأويل، وهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧].

كما زعموا أن علياً - رضي الله عنه - قال: (ما نزلت آية من القرآن إلا علمت كيف نزلت، وأين نزلت، وفي أي شيء نزلت، سلوني قبل أن تفقدوني عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة). ثم قال: (إن ها هنا لعلماً جماً) وأشار إلى صدره.

ويزعمون أن لديهم كتاباً اسمه (الجفر)، وضع أصوله علي- رضي الله عنه - وينسب إلى جعفر الصادق، يحتوي على كل العلوم الغيبية والباطنية. لذا فهم أوجبوا العمل بالباطن والظاهر، وكفروا من لم يؤمن بالباطن، فقالوا: (من عمل بالباطن والظاهر فهو منّا، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فالكلب خير منه وليس منّا)(٢).

أما الآن فإلى بعض التأويلات: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص١٠٢ / ١٠٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٣٠.

[البقرة: ٢٥٥]، الكرسي فسروه أنه في العالم الروحاني تاليه أي الثاني الذي أقامه لهداية أهل عالم الإبداع، وسعهم رحمة وإفادة، من هنا كان عندهم إلهين: الأول والثاني، وكرسيه في العالم الديني، هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وإمام، وسع من في ضمنه من سماوات الدين وأرضه، وكرسيه في العالم الحسي، النفس الفلكية والحياة المحركة لها، التي وسعت كل ما في الطبيعة تجربة ونقلاً لكل شيء)[1] ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وجهت وجهي للعقل العاشر والمدبر الظاهر[2].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، يفسرونها على أن المقصود بالرسول هنا، هو القائم المنتظر، الرسول السابع بزعمهم، الذي سوف يأتي، وينسخ جميع الشرائع، بما فيها الشريعة المحمدية، ومن هنا دخلت البهائية والقاديانية، واعتمدت على هذا في إرساء رسالة جديدة على حد زعمهم. ومن هنا تظهر خطورة هذه العقائد الباطنية في تجديد محاربة الإسلام في كل عصر. وإذا أردنا أن نمضي في هذه التأويلات فلن ننتهي إلا بمجلدات، فهم قد جعلوا لكل آية وكل حديث ظاهراً وباطناً، لذا فإنني أكتفي بما أوردت، وقد أظهرنا بما في هذا النهج من خطر مستمر على عقائد الإسلام، خصوصاً وأن تلك الباطنية تتمظهر في كل زمن بأسماء جديدة وبصيغ مستحدثة، يغتر بها الكثيرون، لدرجة إدراجها تحت سقف الحداثة، والفهم المتقدم للقرآن والسنة.

السؤال التاسع والعشرون: ما هي وجوه الشبه بين الإسماعيلية وبعض الحركات الهدامة؟

إذا صحّ أن ميمون بن ديصان فارسي يهودي ،فإن ذلك وبعد مقابلة بسيطة بين مخطط عمل عبد الله بن ميمون الذي سماه (بالإسماعيلية) وبين مخطط عمل الماسونية

---

(١) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

يجعلنا نقول: إن الروح واحدة، والهوى واحد، والغاية واحدة في كلتا الحركتين: الدعوة السرية، والمراتب المتدرجة، وأسلوب التشكيك في الأديان والعقائد، واصطياد المريدين، ثم هدم كل ما هو خير، واستباحة الحرمات، وادعاء الحرية والمساواة، كل ذلك موجود في الدعوتين بشكل يدعو إلى الدهشة، من تقارب الأسلوب والمخطط والغايات.

وهذا ما حدا باليماني إلى القول: (وكان هذا الملعون - يعني عبد الله بن ميمون - يعتقد اليهودية، ويظهر الإسلام، وكان من أحبار اليهود، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب)[1].

كما أن ابن القيم قال عنه: (ثم خرج المهدي الملحد عبد الله بن ميمون القداح، وكان جده يهودياً من بيت مجوسي)[2].

حتى قضية إظهار الإسلام وإخفاء اليهودية التي استعملها ماسون اليهود في العصر الحاضر وُجدت عند عبد الله بن ميمون هذا، وطريقة الاختلاف الوحيدة بين الدعوتين هي أن الإسماعيلية؛ لأنها نشأت في أحضان الدعوة الشيعية الإسلامية، اضطرت خلافاً للماسونية إلى الاعتماد على آيات القرآن والأحاديث النبوية لتخريج أفكارها الباطنية السرية، أما الرموز والطلاسم والضياع في الأرقام، والمثل والممثول والمقابلات والاختفاء وراء الغموض والغمغمة والتستر والسعي إلى مراكز السلطة العليا، فهي هي عند الدعوتين وهي متماثلة.

السؤال الثلاثون: إلى أين وصلت دعوة الإسماعيلية؟

- يقول ابن القيم: (انتسب ابن ميمون بالكذب والزور، إلى آل البيت، وادعى أنه المهدي المنتظر، ومَلَكَ، وتَغَلّبَ، واستفحل أمره، إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون، الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم).

وتلك هي دولة العبيدية التي أقامتها في المغرب ذرية ابن ميمون، وعلى وجه

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، ص٢٩، نقلاً عن كتاب: كشف أسرار الباطنية.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، ص٣٠، نقلاً عن المنار المنيف، لابن القيم، ص١٥٤.

الخصوص حفيد عبد الله بن ميمون، المدعو عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن ميمون بن القداح، الذي كان في سلمية، وبث الدعاة في اليمن والمغرب، وعندما استطاع داعيته في المغرب أبو عبد الله الشيعي أن يحقق الانتصارات هناك بمساعدة قبائل كتامة المغربية، بعث إليه يخبره بما حقق ويدعوه إليه، حيث لبى الدعوة مع ابنه أبي القاسم، وبعد حروب وسجن، استطاع عبيد الله دخول القيروان وإسقاط دولة الأغالبة، وتلقب بالمهدي، وأصبح إماماً، وبذلك قامت دولة العبيدين الإسماعيلية عام ٢٩٧هـ، ثم امتدت الدولة العبيدية الإسماعيلية إلى كل المغرب، وإلى مصر، حيث افتتحها جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله العبيدي الفاطمي، كما سميت دولتهم بالدولة الفاطمية على ادعاء أنهم من آل بيت فاطمة - رضي الله عنها-، وذلك عام ٣٥٨هـ، وبعدها قام المعز ببناء القاهرة، ونقل مقر ملكه من القيروان إليها. وبعد أن ترسخت أركان دولتهم في المغرب ومصر والشام، بعد حروب وغزوات، مالوا إلى دعوة الهدم، وكان أنشطهم في هذه الدعوة الحاكم بأمر الله الذي تسلم الحكم بعد والده المعز لدين الله عام ٣٨٦هـ، فانهارت صروح النظام في عهده، وانحلت الأخلاق، وانحطت قواعد المجتمع المصري، حيث استأنف الحاكم الدعوة الإسماعيلية السرية، على خطا ابن ميمون، وافتتح مدرسة (دار الحكمة)، وجعلها على مراتب ابن ميمون، لكنه زادها فأصبحت تسع مراتب بدلاً من سبعة، حيث يصل المتعلم في المدرسة المرتبة التاسعة التي يتعلم فيها أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة، وأنه يجب ألا يتبع منها إلا ما هو لازم لحفظ النظام بين الدهماء والعامة.

بينما هو تعلم في المرتبة الثامنة نقض كل صفات الألوهية والنبوة، وفي المرتبة السابعة تعاليم الثنوية، وفي المرتبة السادسة يتعلم نقض كل أركان الإسلام، ونقض كل الأديان، وأنها جميعاً يجب أن تخضع لشريعة العقل والعلم، يستشهد لذلك بنظريات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس، وهكذا .. ها هي الإسماعيلية ودولتهم الملقبة بالفاطمية، وها هي عقائدها وأفكارها ودور تعليمها.

ولما قام سنة ١٠١٦م إسماعيل الدرزي وهو تركي، يدعو في أحد مساجد القاهرة إلى ألوهية الحاكم بأمر الله وعبادته، اتبعه أناس كثيرون، وبذلك نشأت طائفة جديدة هي الدروز كانت وليدة دار الحكمة.

السؤال الواحد والثلاثون: هل في الجعبة بقية عن هذا الطائفة؟

نعم، لم ينته المطاف بهؤلاء عند حد قيام الدولة وانهيارها، بل إنهم تـابعوا نـشاطهم سراً، بعد أن ظلوا مدة قرن ونصف عامل رعب للدولة الإسلامية، والمجتمع المسلم، ولقد ورثهم في ترويع العالم الإسـلامي طائفتـان، انـشقتا عـنهم: هـم القرامطـة الإسماعيليـة، والحشاشون الإسماعيلية، وهؤلاء ترأسهم وتولى كبر دعوتهم عدد من الرؤوس، أبرزهم الحسن بن علي الصباح، الذي تسمى بشيخ الجبل و ترأس فرقة الحشاشين و تـابع معهـم عملية الترويع والقتل والاغتيال والنهب، وأقاموا دولاً في مناطق الخليج العربي وفـارس والشام، حيث انطلقوا منها يهـدمون في المجتمـع الإسـلامي، وينقـضون أركـان الإسـلام والإيمان، وكانت دولتهم في الخلـيح برئاسـة الداعيـة الإسمـاعيلي القرمطـي أبـي سـعيد الجنابي، و جاء من بعده ابنه أبو الطاهر الجنابي الذي أقام مجزرة للحجاج عام ٣١٧هـ في مكة، وسرق الحجر، وأخذه إلى الأحساء، ليحول الحجيج إلى هناك، وكـان مقـر ملكـه في البحرين، ومن هناك فرض الأتاوات على سائر الأنحاء المجاورة، حتى أن الخليفة في بغداد دفع له مقابل الكف عن الهجوم وعن ترويع المدينة المنورة.

ويُعَد الحسن بن علي الصباح هو المنظم الثاني للحركة الإسماعيليـة، وهـو واضـع برنامجها السري الجديد، حتى أصـبح لهـا امتـداد وشـعب وفـروع في جميـع أنحـاء فـارس والعراق والشام، وهو فارسي خراساني، كان صديقاً للشاعر عمر الخيـام، ونظـام الملـك وزير السلطان ملك شاه[1]. وكان قدوته في كل ذلـك ابـن ميمـون، وعلـى مثالـه جعـل المراتب سبعاً بدل التسعة، التي وضعتها دار الحكمة. وعلى خلاف ابن ميمون اعتمد هذا على القوة المادية والبطش والإرهاب. وكان شعار عالَميْ الأسـرار مـنهم: (أن لا حقيقـة في هذا الوجود وكل أمر مباح)، في حين أنهم يتزلفون للعامة بالإيمان والـورع لجـرهم إلى تنظيمهم، و بواسطة ذلك استطاعوا حشد الطاقات البشرية خلفهـم بـشكل هائـل، فقـد استطاعوا استعمال تلك الطاقات كأدوات صماء، هدموا بهـا أمـن الإسـلام والمـسلمين. وكانت وسائل هذه الجمعية السرية الهدامة القتل والاغتيال ،ملتجئين إلى القلاع الحصينة مثل قلعة (شاه در) في فـارس، ومثلـها قلعـة (آلمـوت) الـتي اتخـذها الحـسن مقـراً،

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبد الله عنان، ص٤٥.

وشكلوا الفرق الفدائية الانتحارية، الذين سموا بالحشاشين، وقد اشتهر هؤلاء بالشدة والبأس والقسوة، حيث أثاروا الرعب في الجيوش السلجوقية، لما قاموا به من اغتيال لأمراء وقادة تلك الجيوش، بعد أن تسللوا إلى داخلها، وأصبحوا جزءاً منها .ولقد ارتد سلاح الفدائية والاغتيال إلى نحور أصحابه، بحيث أصبح زعماؤهم يُقتلون بأيدي المقربين منهم. وبسبب ذلك تفرقت فرقهم في الأقطار، وأصبحوا مجموعات وشراذم يستعملها الأمراء في كل مكان للقضاء على خصومهم، وذلك بعد أن دوخوا العالم الإسلامي زمناً طويلاً.

السؤال الثاني والثلاثون: ما هي الآثار التي ترتبت على أعمالهم؟

لقد كانت الدعوة الإسماعيلية واحدة من الدعوات الهدامة، التي بدأت بابن سبأ، و استهدفت تقويض عرى الإسلام، وهدم وحدته السياسية، وإقامة نظام ملحد على أنقاض النظام الإيماني، فهل تحقق لها ذلك؟

نقول لقد حققت هذه الدعوة كثيراً من أهدافها، وكانت آثارها على العالم الإسلامي كبيرة، فهي:

١. استطاعت بث الأفكار الإلحادية بين الجماهير.
٢. قوضت كثيراً من دعائم مجتمع الإيمان الأخلاقية، وذلك بالإباحية الهائلة التي كانت تبثها.
٣. فككت عرى الوحدة السياسية للعالم الإسلامي إلى دول.
٤. أذهبت أمن هذا المجتمع وروعت أفراده.
٥. أضعفت كيان الدولة وساعدت في إطماع المعتدين فيها.

(هذا هو تارخ الثورة على الإسلام، وهي ثورة أشهرت عليه منذ نشأته، تارة في الجهر، وتارة في الخفاء، غير أنها كانت في جميع أطوارها، ترمي إلى هدم تعاليم الإسلام الأولى، وتحريفها بما يلائم مطامع الخارجين، توصلاً إلى نيل الملك في النهاية، وقد فازت هذه الثورة بغاياتها أيما فوز، فمزقت وحدة الإسلام منذ البداية، وشطرت جبهته الموحدة إلى دول عدة، و أثرت في تعاليمه و عقائده في كثير من العصور والدول، وأقامت فوق أنقاض هذه التعاليم مجتمعات جديدة، تستتر مع ذلك بمبادئ الإسلام، وتشق طريقها إلى

السلطان باسمه، وهي لا تكاد تحتفظ بشيء من أصوله وتعاليمه. فقد كانت مبادئ ابن ميمون على ما رأينا مادية محضة، عريقة في الإنكار والإلحاد، تستند إلى تعاليم الوثنية واليهودية والمسيحية، وبالأخص إلى الفلسفة اليونانية، وهذه المبادئ المادية كانت عماد الثورة على الإسلام، فهي التي بعثت بمجتمع القرامطة، وكانت مهداً لقيام دار الحكمة الفاطمية، ثم لقيام الإسماعيلية الحشاشين...)[1].

السؤال الثالث والثلاثون: ما الذي بقي لهذه الطائفة اليوم؟

لقد كان تأثير أفكار هذه الطائفة عميقاً في المجتمع الإسلامي، خصوصاً في النواحي السياسية و الاجتماعية والاقتصادية و العقائدية، فمعول الهدم الذي أعملته كان عميق الأثر في جسد هذا العالم و روحه، فقد وجدنا آثاراً ورذاذاً من تلك المفاهيم التي حاولت تلك الطائفة بثها إلى يوم الناس هذا، ففضلاً عن وجود

الطائفة باسمها مازال مستمراً في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، رغم تضاؤل تأثيرها وانحسار مدّها بشكل كبير، فإن كتاباً من كتب تلك الفرقة الذي هو (الجفر) ما يزال يعسكر في أذهان الكثيرين من أبناء المسلمين، ويفاجئونك بين الفينة والأخرى بالقول: يقول الجفر كذا، ويفسر الجفر كذا، ويروي كذا .

هذا بالإضافة إلى دفاع كثير من أنصاف المثقفين، ومدعي التقدمية والتقدم عن شيوعية هذه الفرقة، سواء الشيوعية الاقتصادية، أم الشيوعية النسائية، أم غيرها. وبين الفينة والفينة تطالع في الصحف مقالات وكلمات في امتداح الحركة الإسماعيلية و حركة القرامطة، مما يثير الغثيان ويدعو إلى التقزز.

هذا بالإضافة إلى كثير من الكتّاب من أصحاب العقيدة ذاتها، الذين استعملوا براعة أقلامهم، لينبروا في الدفاع عن جماعتهم وعقيدتهم، مستخدمين العلوم الحديثة، والأساليب المتقدمة في ذلك، من أمثال عارف تامر وغيره من الكتاب والأدباء، الذين يدعون بدعوات غربية، تنقض عرى الإسلام، وهم يتمسحون بنصوصه، لكنهم في الوقت نفسه يتعكزون على (ولكن)، (إلا أن)، (والروح الأصلية غير الظاهر) إلى آخر ما

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبد الله عنان، ص٥٥.

هنالك من عبارات التقويض الباطنية، ولا يقولن أحد: إن خطر هذه الفرق قد ذهب؛ لأنه لم يبق منهم إلا شراذم. ولنستمع إلى عارف تامر يزين لأبناء العصر أفكار هؤلاء الملاحدة القتلة، دعاة الإباحية، والشيوعية في النساء، وغير ذلك من المفاسد والمبادئ، ولنحكم بعد ذلك:

١. إنه يقول: (وإني لا أفرق بين الحركات الثلاث: الإسماعيلية، والقرمطية، والفاطمية، فكلها باعتقادي حركة واحدة، نبعت من نبع واحد، وانحدرت من أصل واحد)[١].

وهذا ما ذهبنا إليه سابقاً وأيده كل من «دي سا سي، ودوزي، وهامر، وكاترير، وغويارد، وبلوشه، ودي خويه، وماسينيون، وبرنارد لويس».

٢. بعد أن عرفنا أن هؤلاء كلهم فرقة واحدة ذات نبع واحد ننتقل إلى تزيين تامر لأفكار هؤلاء أمام أبناء أمتنا: (إن الحركة الإسماعيلية - القرامطية، دعوة ثورية اشتراكية عالمية، استندت إلى أسس اجتماعية واقتصادية، ومبادئ فلسفية ونظم معينة، فكان من أهدافها القضاء على استغلال الإنسان للإنسان، ونزع الأملاك العقارية الفردية الواسعة، ومصادرة الإيرادات الطائلة لمصلحة الدولة، وفرض ضرائب معقولة متدرجة في الضخامة، وإلغاء قانون ومبدأ الوراثة)[٢].

وفي مكان آخر يقول: (لأن الاستعباد السياسي والأخلاقي والفكري، الذي ساد الشعوب في العصر الأخير للدولة العباسية أساسه نظام الملكية الفردية، لذلك كان من مبادئ الإسماعيلية - القرمطية إلغاء الملكية الفردية)[٣].

يؤخذ من هذين النصين الفهم الآتي:

- أن الإسماعيلية القرمطية هي دعوة غير دعوة الإسلام تماماً، ويظهر ذلك من (أنها دعوة ثورية اشتراكية)، (ألغت الملكية الفردية)، (استندت إلى أسس اجتماعية واقتصادية ومبادئ فلسفية) .

---

(١) القرامطة، عارف تامر، ص١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص٨٦.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢.

- وهو يحاول بكلماته (ثورية اشتراكية) أن يحبب هذه الدعوة للناس يوم كانت الثورية الاشتراكية تستهوي قلوب الكثيرين خاصة وأنه أضاف إلى الاشتراكية فيها: أنها تحاول إلغاء الملكية الفردية التي هي أساس الاستعباد. و لو أن (عارف تامر) كتب كتابه هذه الأيام، لعدل عن تحبيب الناس بدعوته الإسماعيلية القرمطية بواسطة إلصاقها بالثورية والاشتراكية، بعد أن استهلكت هاتان النزعتان، وأصبحتا من الدعوات المرفوضة، حتى في معقلهما الرئيسي، الاتحاد السوفييتي.
- لقد نسج عارف تامركتابه كله على هذا المنوال من التزيين بصورة فقدت كل موضوعية، وإلا فليأت لنا بمثال على ما ادعاه لهذه الطائفة من العدالة والنظام، وإلغاء نظام الوراثة في الدول التي أقامها هؤلاء الدعوة مثل دولة الفاطميين، ودولة القرامطة في البحرين والخليج و دولة الحشاشين الإسماعيلية في فارس والشام التي برز فيها الحسن بن الصباح الإسماعيلي، وكلها قامت على نظام الوراثة والشعوذة والقتل والنهب والسلب والدعوة إلى الإباحية والشذوذ. وإلا فليقرأ محاضر التاريخ عن أبي سعيد الجنابي وابنه أبي الطاهر في البحرين، وليرجع إلى أسرار قلعة (آلموت) في فارس، وقلاع الحشاشين في الشام، وليقل لنا بماذا يعود بصره وسمعه وذاكرته، وليطلعنا على برامج دار الحكمة في القاهرة، وأحكام الحاكم بأمر الله (الهزلية) الساقطة، ثم فليدبج لنا بعد ذلك ما يشاء من زينة وإغراء، ولا أدري فلعل غيره من الكتّاب الداعين إلى هاتيك المذاهب الهدامة، يأتوننا بما هو عجب وغضب. أعاذنا الله من كل قول زلل وكل فهم مائل ..!

خلاصة القول: إنه مازال في جعبة الباطنية سهام، وإنها لم تضع السلاح، إلا للدخول في مراحل من الستر، ولننظر إلى مواطن انتشار هذه الطائفة في سورية والهند وباكستان وإفريقيا، ولنع نشاط الآغا خان العارم في إفريقيا وباكستان والهند، ولننظر بعين فاحصة إلى ما تقيمه من صروح (علمية) ضخمة في مدن باكستان والهند، لا يدخلها إلا كل من هو مريب، ولنشهد دعم الحكومات المشبوهة لنشاط هؤلاء من البهرة والأغاخانية، ولنتعظ ولنحذر ولاننام على آذاننا كما يقول المثل المصري، ولنفهم لماذا يخاطب رجل إسماعيلي مثل عارف تامر أناس العصر قائلاً: (إن الدولة الفاطمية التي

خطط لها الإسماعيليون وهم في سلمية كان عصرها من أزهى العصور وأزهرها، وهي أعظم دول الإسلام ملكاً، وأكثرها أمناً، وأغناها ثروة، وأحرصها على العلم والثقافة)[1].

وهو لم يستشهد على كلامه هذا بثبت تاريخي واحد، إذ لا يوجد مؤرخ نزيه واحد يقول مثل كلامه هذا، ولا بد هنا من أن نسأل: من أين لدولة الفاطميين أن تكون أعظم دول الإسلام و هي تعلم في دار الحكمة في القاهرة هدم الإسلام، وكيف تكون أحرص هذه الدول على العلم والثقافة، وهي التي كان عصرها ووجودها برهانان على انتشار الخرافة والتخلف والانحدار والتمزق في دولة الإسلام، إذ قام بناؤها على السحر والشعوذة، والتستر العقيدي، وتعليم أفكار الإلحاد وهدم البناء الشامخ لدولة الإسلام وشرذمة وهرطقة ذلك البناء. ولعل ما يساعد هؤلاء الإسماعيليين على نفي فسادهم وخروجهم على الإسلام، هو انقسام أفكارهم إلى ظاهر وباطن، فهم بالظاهر يواجهون المسلمين، ويدعون أنهم منهم، وفي الباطن يدينون ويتعبدون بباطنيتهم، التي يخرج كل معتقد بها من الملة نهائياً كما بيّنّا.

السؤال الرابع والثلاثون: وضح بشيء من الاختصار مواقفهم تجاه الهجمات على بلاد الإسلام (صليبية وتتارية)؟

- لقد ساعدت سياسة الطعن من الخلف التي نفذها الفاطميون الحشاشون على توطيد دعم الإمارات الصليبية، التي أقامت الأحلاف معهم ضد الخلافة العباسية والسلاجقة الترك، الذين كانوا في التحام ومواجهة مع القوى الصليبية[2].

ولقد أصبح الحشاشون الإسماعيليون في وقت من الأوقات خنجراً مسموماً يمتد إلى ظهر نور الدين وصلاح الدين وغيرهما من القادة المسلمين المحاربين للصليبيين، وذلك من خلال تحالفهم معهم، فنفذوا عمليات اغتيال كثيرة ضد القادة والأمراء والزعماء ليعيقوهم عن مواصلة قتال جيوش الصليبية.

(١) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن نسيمات، م٢، ص٣٣.

وكذلك فعل هؤلاء مع المسلمين أثناء زحف جيوش التتار على العراق والشام، فتحالفوا معهم، مما اضطر قادة المسلمين إلى الزحف عليهم وقتالهم، ومما اضطر شيخ الإسلام ابن تيمية لأصدار فتواه ضد الباطنية وهي الفتوى المشهورة.

وهذا «علي بن وفا الكردي زعيم الحشاشين» يتحالف مع الصليبيين، ويهاجم نور الدين عام ١١٤٨م، بالقرب من أنطاكية، من أجل أن يعيق نور الدين عن متابعة فلول الصليبية، بعد أن انتصر عليهم، وألحق الهزيمة بهم، بل إن الحشاشين حاولوا اغتياله في تلك الأثناء، إذ أرسل زعيمهم الجديد رشيد الدين سنان إلى الصليبيين، يعرض عليهم إجراء تحالف وثيق لمقاتلة نور الدين، مشيراً إليهم من طرف خفي بأنه يفكر مع قومه باعتناق النصرانية. هذا وقد حاول هؤلاء اغتيال صلاح الدين الأيوبي عدة مرات، بعد أن أصبح صلاح الدين المقاتل الأول للصليبيين.

- هذا ولا ننسى أن الإسماعيلية وغيرهم من فرق الباطنية، التي هي استمرار للعقائد والمناهج نفسها، لم تتوان عن معاونة المستعمرين الجدد من إنكليز وغيرهم، في سبيل إحكام قبضتهم على البلدان الإسلامية، التي كانت فريسة لقواهم. ففي الهند وفي سوريا وفي إفريقيا، وجد الإنكليز في الفرق الباطنية خير عون على مسلمي البلاد، وإقناعهم في الركون إلى هيمنة المستعمرين، مقابل فتح السبل أمامهم لنشر مذاهبهم الهدامة[1].

السؤال الخامس والثلاثون: بماذا نختم القول حول هذا البحث؟

أريد أن أقول: إنه لا بد أن يكون لدى المسلمين اليوم وفي كل يوم الوعي اللازم لإدراك ما يدور حولهم من أحداث، وأن يعيدوها إلى جذورها، وأن لا يقتنعوا بظاهر ما يقال وما يطلق من تفسيرات حول الأحداث، وأنها ذات هدف اقتصادي أواستعماري أو سياسي وحسب.

صحيح أن الظاهر هو كذلك، ولكننا إذا دققنا النظر فيما يجري منها فوق الساحة الفلسطينية واللبنانية والعراقية، فإننا نرى أن القوى المتحالفة من أجل تعميق الهدم والتمزيق، ومن أجل مزيد من الفوضى والخسارة، هي القديمة نفسها بثوب جديد و هي:

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، ج٢، ص١٨٩.

الباطنية، الصهيونية، الصليبية، و إن حاولت بعض جماعات من الباطنية أن تظهر بمظهر مخالف لحقيقتهم. وهو حلف ثلاثي قديم، قامت واستندت إليه كل الحركات الباطنية الهدامة في التاريخ، وهذا ما حاولنا أن نوضحه في الصفحات السابقة؛ فالإسماعيلية مثلاً وهي حركة باطنية، اعتمدت على الأفكار والعقائد اليهودية والنصرانية واليونانية والوثنية، ومن ثم كان مؤسس الفكر الباطني الأول هو اليهودي ابن سبأ، مدعماً عقائده بالفكرالغنوصي والأفلاطوني والثنوي معتمداً على الغوغائية والحيلة والكيد واللف والدوران، في إيصال أفكاره، وانتقل الفكر والوسيلة إلى الكيسانية والخطابية، ومن ثم إلى الإسماعيلية، التي تحالفت - كما رأينا في وقت من الأوقات - مع الصليبية والتتار، من أجل نجاح عملية الهدم للإسلام ودولته.

فهناك تلازم دائم بين هذه القوى في السعي إلى هدم قوة الإسلام، وعملية تمزيق أرضه وشعوبه، ونهب ثروته، وإفقار المسلمين، و دون أن يفهم المسلمون غايات ووسائل هذه المعادلة غير المقدسة، ويتصرفون على أساس ذلك الفهم - حكاماً ومحكومين- فستبقى عملية الهدم والتمزيق والبوار محيطة بأمتنا، آخذة بخناقها، متخفية خلف أثواب وشعارات ولافتات خادعة مزيفة، وذلك على طريقة الظاهر والباطن.

وإني لأختم الجواب عن هذا السؤال بربط الحاضر بالماضي بهذه الكلمات: (إن البابية والبهائية و الأحمدية التي لعبت أقذر دور في التخريب، لم تكن إلا هذه الباطنية الجديدة التي أخذت من الباطنية القديمة تمردها على الإسلام، وأضافت إليه ما وصل إليه العلم الحديث من فنون التآمر وضروب التمرد ووسائله و أدواته.

إن المستعمرين أغرتهم التجربة القديمة، فحاولوا محاولاتهم الآثمة، في القضاء على هذا الدين، عن طريق البابية والبهائية والقاديانية ...)[1].

إنها مؤامرات تأخذ الواحدة منها بعنق الأخرى، تستتر وراءها أيد خبيثة، لها أهداف بعيدة المدى، في السيطرة على بلاد الإسلام والمسلمين، وهي تدير المعركة من خلال صور، تُهوّن على المسلم المصاب، وتسهل عليه ابتلاع المقالب، وتزين له حمل الذل والهوان، فهم يعطونه الجرعة الكافية التي تعجبه من المسكنات فتخدره، ليكون في غياب

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٢٥٤.

تام، يعملون من خلاله متشبهين في ذلك بالضباع، حيث تأكل الفريسة والفريسة تقهقه، بعد أن تتخدر بالرائحة والخوف..!

ولكننا نقول: إن الباطل مهزوم بإذن الله، وإن الفجر لآت، وآياته تتلألأ من خلال الظلام، وكما انحسرت موجة الباطنية في القديم، بعد أن فعلت الأفاعيل، فلا بد أنها منهزمة بإذن الله في عصرنا، ما دمنا نتسلح بالوعي والتقى والعلم.

فلنضع النقاط على الحروف، ولنتعلم أن تلك الجزر المتناثرة من الباطنية، المنتشرة على أرض الوطن الإسلامي، إن هي إلا قلاع كامنة في الظاهر، تتفاعل في الباطن والسر، وتتحرك حركة أميبية، حتى إذا وجدت لها منفذاً في لحظة من اللحظات، انقضت مدعمة بكل القوى المتربصة بأوطان المسلمين وخيراتهم، ومتسلحة بكل سلاح خفي معسول، مستعملة المصطلحات العصرية الملائمة، لتخفي الأهداف الباطنة، ولتمرر بسهولة غاياتها و غايات من خلفها، ولنتعظ من المعارك الدائرة اليوم فوق أرض الإسلام والمسلمين في العراق وأفغانستان، فهي خير برهان على أن عمل الفرق الضالة هناك مستمر في محاولاته للتحالف مع الأعداء من أجل تدمير كيان المسلمين. فإلى مزيد من الوعي والحذر ولتكن الأعين مسلطة على تلك البقع الباطنية، ولا تغرّنا أنها كامنة، فالحركة الخفية لها تعمل جاهدة على ستر السر، وتغطية العمل. وقد راحت اليوم - كما أشرنا آنفاً - تبرز للعلن، فهي تعمل بجد في العراق وإيران وسوريا ولبنان وغيرها من بلاد المسلمين.

المبحث الرابع: بقية فرق الإسماعيلية / القرامطة والدروز

مقدمة:

فيما يتعلق بهاتين الطائفتين فإنني أرجو أن لا تدخلني بأسئلة تفصيلية كما فعلت معي بشأن الفرق الأخرى، بل أرجو أن تكتفي بطلب بيان وجوه الخلاف مع الفرقة الأم، التي خرجت منها هاتان الطائفتان، وهي الإسماعيلية؛ لأن هاتين الطائفتين تلتقيان إلى حد كبير معها في معظم الأمور.

- سمعاً وطاعة، فأنا لا أبتغي إرهاقك، ولكنني أسعى إلى الفهم، ولنبدأ.

السؤال السادس والثلاثون: من هم القرامطة؟ من هم الدروز؟

هما فرقتان خرجتا من عباءة الإسماعيلية؛ الأولى سميت باسمها نسبة إلى حمدان قرمط، الذي حمل أفكار داعية الإسماعيلية في العراق، الملقب (ذكرويه)، الذي أمر الناس بخمسين صلاة، وفرض عليهم أتاوة (ديناراً واحداً على الفرد)، ادّعى أنها للإمام المستتر، وبعد أن سجنه حاكم المنطقة، فرّ من هناك بمساعدة جارية الحاكم، فازداد الناس تعلقاً به، وقالوا: إنه قد رفع، ثم لمّا لوحق مرة ثانية اختفى، وفرّ إلى الشام، وذلك عام ٢٧٨هـ. ولقد أوردصاحب الملل والنحل في أسماء الإسماعيلية ما يشير إلى أن القرامطة هم الإسماعيلية، وجزء منها: (فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة المزدكية)[1].

وهناك نسبة إجماع على أن القرامطة فرع من الإسماعيلية، حتى إن عارف تامر أحد كتاب الإسماعيلية في هذا العصر، يقرن في كتابه (القرامطة) دائماً بالقول: الإسماعيلية _ القرمطية؛ ليدلل على أنها حركة واحدة.

أما الطائفة الدرزية: فقد سميت كذلك نسبة إلى إسماعيل الدرزي عام ١٠١٦م، وهو أحد أتباع الحاكم بأمر الله المنضمين إلى مدرسة (دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله)، وقد قام هذا بالدعوة إلى ألوهية الحاكم بأمر الله، ثم فرّ إلى الشام، وهناك دعا بدعوته تلك، بين القبائل الإسماعيلية، فقبلوا دعوته، وبذلك نشأ المذهب الدرزي،

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٩٢.

القائم على ادعاء الألوهية للحاكم بأمر الله، وقد نظم وزير الحاكم بأمر الله الفارسي حمزة بن علي رسوم عقيدة هؤلاء ومراتبها الخارجة من صلب الإسماعيلية.

السؤال السابع والثلاثون: ما هي عقائد القرامطة؟

لا تختلف عقائد هؤلاء كثيراً عن عقائد الإسماعيلية، لذا فإنني لن أعيد التفصيل وسأكتفي بخلاصة تقول:

إنهم في الاصل دعاة إسماعيليون في العراق، انشقوا عن الإمام في الشام، بعد أن تلمسوا القوة في الأتباع، وإمكانية الوصول إلى الهدف. وإن كان البعض يقول: إن القرمطية هي ذراع ضارب للإسماعيلية، استعملتها للقيام بأحد أهدافها، وهو القتل وإثارة الفوضى والهدم والتقويض.

وعقائدهم في الإله هي عقائد الإسماعيلية: في نظرية الفيض من العقل الكلي إلى النفس الكلية أو التالي، وعنهما وجدت كل الموجودات، فهم كالإسماعيلية يؤمنون بإلهين السابق (العقل الكلي)، والتالي (النفس الكلية) الآتية من السابق.

وهم يؤمنون أن النبي شخص فاضت عليه القدسية، فانتقل من العقل السابق إلى التالي إلى النبي، وأن القرآن تعبير محمد - ﷺ-، وأنهم ينتظرون القائم في الأرض، ويقصدون محمد بن إسماعيل، الذي ينسخ الرسالة المحمدية. وهم ينكرون القيامة والبعث كالإسماعيليين، ويقولون: وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها، وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب، فهم نسخة طبق الأصل عن العقائد الإسماعيلية.

أما وجه الاختلاف بينهم وبين الإسماعيلية فهو قائم في التطبيق؛ إذ إن القرامطة أقاموا تلك المبادئ الهدامة والشرائع الفاسدة، والإباحية العلنية في دولتهم، وحياتهم كحقائق عملية تسير على الأرض، بينما لم تتح للإسماعيليين في دولتهم الفاطمية ومن قبلها العبيدية في المغرب، إلا تطبيقات قليلة لتلك المبادئ، وذلك خوفاً من انقلاب أهل مصر و الشام والمغرب عليهم، إلا أنهم أقاموا تلك المبادئ في حياتهم هم، وحياة أتباعهم المؤمنين بعقائدهم.

السؤال الثامن والثلاثون: وما هي عقائد الدروز؟

- يعُدون الحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمي) إلهاً، فهو الصورة الناسوتية الأخيرة المجسمة لله.
- وهم يعتقدون أن الصورة الناسوتية للإله المعبود ظهرت في أدوار سبعة كما هي الأدوار عند الإسماعيلية، وهو واحد لا يتغير في كل دور، فهو القائم، وهو المعز (المعز لدين الله الفاطمي)، وهو العزيز (ابن المعز)، وهو الحاكم (الحاكم بأمر الله)، جل ذكره يظهر لنا في أي صورة شاء كيف شاء[1].
- ويقولون: إن الله ظهر في عشرمقامات ناسوتية، وأوجبوا الإيمان بهذه المقامات، وهي مقام العلي الأعلى، لم يكن قبله شيء، ثم البار وظهر في أواخر الدنيا، ثم آدم الجزي، وأما مقام أبي زكريا، وعلياً والمعل، كان بإمامة مستورة في دور محمد بن إسماعيل، ثم بعد سعيد المهدي، ظهر البار سبحانه في مقام القائم، ، والمنصور والمعز والعزيز، وذلك في الخلافة الظاهرة والإمامة الباطنة، وأما مقام الحاكم فظهر في المنازل الثلاثة المذكورة، ثم تجرد بالوحدانية، وكشف توحيده مدة من السنين[2] وتقوم عقيدة الألوهية عندهم أساساً على عبادة الحاكم بأمر الله، كآخر ناسوت احتجب به الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وفيما يلي نص الميثاق أو العهد الذي يربط به (حمزة بن علي الدرزي) كل من دخل بدعوة الدروز:

(توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، أقر فلان بن فلان إقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه في صحة من عقله وبدنه، وجواز أمره، طائعاً غير مكره، ولا مجبر أنه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والأديان والاعتقادات كلها، على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص٢٢٤، نقلاً عن رسالة من رسائلهم (رسالة السيرة المستقيمة).

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٥، من مخطوطة فيها عقائدهم عنوانها: ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد.

جل ذكره، والطاعة هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً، مضى أو حضر أو ينتظر، وأنه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه مولانا الحاكم جل ذكره، ورضي بجميع أحكامه له وعليه، غير معترض ولا منكر لشيء من أفعاله ساءه ذلك أم سرّه)[1] وأنت تلاحظ أن عقيدتهم في الإله لا تختلف عن عقيدة الإسماعيلية الأم، إلا في إعطاء القائم صفة تقديسية كبيرة من الألوهية، فبدل أن يكون هو الناقل لعلم السابق والتالي، يكون هو المحتجب وراءه الله.

أما عقيدتهم في البعث فهي على الشكل الآتي:

هم يؤمنون بالتقمص، وتناسخ الأرواح بين البشر، وبناء على ذلك يعتقدون أن العالم خلق دفعة واحدة، وأن البشر خلقوا جميعاً معاً، فهم لا يزيدون ولا ينقصون، والعذاب عندهم هو انتقال من جسد أعلى إلى أدنى، والنعيم عكس ذلك، وهم لا يقبلون أحداً في دينهم، ويعدون أن باب الدعوة مغلق، ولذلك عندما يموت أحدهم ينتقل في جسد شخص آخر منهم.

ويوم الحساب والبعث هو اليوم الذي تكون فيه نهاية تنقل الأرواح وتطويرها في الأجساد؛ إذ عندها ينتصر دينهم على كل الأديان الأخرى، التي يعدونها مشركة. وفي ذلك اليوم يتم ظهور المعبود الذي هو الحاكم بأمر الله.

هذا وإن الخلاف بين عقيدة الدروز والإسماعيلية الأم، يتجلى في نقطة فارقة جاء بها حمزة الدرزي ودعاته لتلائم مآربهم، هذه النقطة الفارقة تتلخص بأن الإسماعيليين قالوا بعالم علوي، وممثول له من العالم الجسدي، وهم النطقاء والأوصياء والأئمة. فجاء الدروز ليقولوا: إنه ليس هناك مثل وممثول، بل إن الحدود العلوية هي هي الحدود السفلية، وذلك ليتلاءم هذا مع قولهم بألوهية القائم الذي هو الحاكم، الذي هو من العالم السفلي الممثول في العقيدة الإسماعيلية؛ لذا جاء التالي في ترتيب الدروز في المرتبة الخامسة من الحدود، بينما هو في المرتبة الثانية عند الإسماعيلية[2].

(١) المرجع السابق، ص٢٢٨، عن مخطوطة ميثاق ولي الزمان .

(٢) المرجع السابق، ص (٢٣٩ - ٢٥٦).

السؤال التاسع والثلاثون: هل لك أن تذكر لنا شيئاً عن ترتيبات الدروز المذهبية؟
- سمعاًو طاعة ..

لقد استمد نظام الدروز المذهبي من نظام الإسماعيليين، ولكن بتطبيق مختلف، وقاعدة واحدة، فلكل ناطق في مذهبهم معاون هو الأساس الذي يتلقى الوحي منه، وينشر تعاليمه، ويقوم مقامه بعد موته، ويشرح معاني تعاليمه لأتباعه، ويكون هو الإمام يتسلسل بعده ستة أئمة، فيكتمل بذلك دور السبعة، ليظهر ناطق جديد،ويكون بذلك تجلٍ جديد لله بهذا الناطق الذي هو حجاب يتجسد في صورته الله[1]. (تعالى الله علواً كبيراً عن هذا الهراء).

وهم يعدون أن أساس محمد بن إسماعيل، هو عبد الله بن ميمون القداح، يليه ابنه أحمد، ومن بعده الخلفاء الفاطميون، حيث يكتمل دور السبعة بوالد الحاكم بأمر الله، ليأتي الحاكم كناطق جديد يتجسد فيه معنى الألوهية.

خلاصة القول: إن ترتيباتهم تقوم على اعتبار أن الإله الذي لا صفات له، قد ولد الناطق الذي هو بمثابة (العقل الكلي) عند الإسماعيلية، وهذ االناطق (العقل الكلي) خلق معاونه (النفس الكلية). وهو الأساس. وأما الإمام والحجة الذي يكون بعد الأساس هو المكلف بإعطاء الأدلة على رسالة الناطق، ثم من بعده الداعي، فهؤلاء يوازون تجليات النفس الكلية. و من ترتيبات عقائدهم إيمانهم بالحدود الخمسة، التي أبدعها معبودهم من نوره؛ إذ ظهروا مع هذا المعبود في جميع تجسداته، و آخرها ظهورهم مع الحاكم بأمر الله، فهم الروح الحقيقي الذي يظهر في كل عصر، وإن أخذوا أسماء مختلفة، وتقمصوا شخصيات مختلفة على مر العصور.

وألقاب هذه الحدود عندهم هي:

- **الحد الأول:** (العقل الكلي)، ويعنون به حمزة بن علي داعية الحاكم الأول، وهو الذي خلق باقي الحدود، وله أسماء عديدة عندهم، مثل ذومعة، والآمر قائم

---

(١) القرامطة، ميكال دي خويه، ص١٣٦ وما بعدها. نقلاً عن: دروز لدي سا سي، دروز، ص١٠٤ وما بعدها، وص (٢٢٦ - ٢٥٢)، وص٨٥ .

الزمان، والإرادة، والإمام الأعظم، وهادي المستجيبين.

- **الحد الثاني**: النفس الكلية التي أوجدها العقل الكلي، ويعنون به صهر حمزة بن علي، وهو إبراهيم إسماعيل بن محمد التميمي، وله أسماء منها: ذو مصة، والمشيئة، وإدريس زمانه، وهرمس الهرامسة، والحجة الصفية الرضية، والشيخ المجتبى.
- **الحد الثالث**: الكلمة وهو سفير القدرة، وفخر الموحدين، والشيخ الرضي وعماد المستجيبين، ويعنون به (أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي).
- **الحد الرابع**: وهو السابق، وهو الجناح الأيمن، ونظام المستجيبين، وعز الموحدين وهو أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري .
- **الحد الخامس**: وهو التالي والأخير، وهو الجناح الأيسر، ولسان المؤمنين، وسند الموحدين، ومعدن العلوم، والناصح لكافة الخلق أجمعين، وهو بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف.

وهم قد جعلوا لمرتبة العقل الكلي سبعين حجة تتم بهم مرتبة التوحيد، ومن أجل ذلك فهم قد تأولوا الآية القرآنية: ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [**الحاقة**: ٣٢]، ويوزعون هؤلاء على الشكل الآتي:

النفس الكلية لها ١٢ حجة في جميع جزائر الأرض، و ٧ دعاة للأقاليم. الكلمة لها ١٢ حجة و٧ دعاة. والسابق له ١٢ حجة فقط، والتالي له ١٢ حجة فقط، والداعي المطلق له مأذون واحد ومكالبان أو مكاسران[1].

ولهم في ترتيب هؤلاء الخمسة، ووضع مقاماتهم كلام مضحك، لا يستطيع من يقرؤه إلا أن يقرّ بأن من آمن بهذه العقائد لا بد وأن يكون قد بيّت نية سيئة ضد الإسلام والمسلمين، ولا بد أن يكون في قلبه حقد على دولة الإسلام والمسلمين، أو أن يكون فاقد العقل، لأن مجرد الاطلاع عليها يثير في النفس السخرية والهزء من كلام رتب بركاكة وسوقية غير محدودتين، و لا حظ لهما من عقل ..! لذا فإننا نكتفي بما أوردنا عن هذه

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص٢٥٤ وما بعدها .

الترتيبات، معرضين عن مناقشتها؛ لأنها لا تصمد لأي نقاش، إلا أننا نبدي ملاحظة هامة في هذا المجال، وهي تنطبق على كل فروع الإسماعيلية والباطنية، هذه الملاحظة هي: أنه لا يختلطن الأمر على المسلم الحق، عندما يسمع من هؤلاء أقوال توهم بأنهم موحدون، من مثل الله، والرسول، وصلوات الله عليه، وتلفظهم بالآيات القرآنية، فهم لا يريدون من هذه الألفاظ إلا ما يعنونه في عقيدتهم، فالرسول عندهم هو القائم وهو حمزة، وأن الإله والمولى هو الحاكم، وأن الآيات التي يذكرونها يكون لها عندهم تأويلات باطنية ما أنزل الله بها من سلطان، إلى آخر ما هنالك.

وما يزال معتقد الدروز في حمزة، و أنه هو العقل الكلي، وفي ألوهية الحاكم مستمراً إلى يومنا هذا، ومن أراد الاستزادة والتحقق فليرجع إلى كتبهم التي منها كتاب الدكتور سامي مكارم بعنوان (أضواء على مسلك التوحيد)، ولينظر فيه وفي مقدمته التي كتبها كمال جنبلاط.

السؤال الأربعون: ما الذي استعاض به حمزة عن أركان الإسلام؟

- سؤال في مكانه، و القول فيه ما يأتي:

إن من أسماء حمزة عند الدروز (ناسخ الشرائع)، و(مبيد الأديان)، و(هادم القبلة)[1]، ولكي يبرهن على أنه جاء بدين جديد، فقد نسخ أركان الإسلام، وجاء بسبعة خصال بديلة:

١. سدق اللسان: هو بدل الصلاة، وهم يلفظون صدق بالسين بدل الصاد، وذلك لمطابقة حساب الجمل عندهم، وهذا الحساب عبارة عن أحجية مضحكة: فالسين =٦٠، والدال =٤، والقاف =١٠٠، والمجموع: ١٦٤ مجموع الحدود عند الدروز. فحد الإمامة ٩٩ حداً، أي داعياً. والجناح الأيمن (٣٠) داعية، والجناح الأيسر (٣٠) حداً أو داعية، ثم ٤ حدود علوية، فيكون المجموع (١٦٣) حداً، وتتم الحدود بقائم الزمان حمزة بن علي[2].

(١) المرجع السابق، ص٢٧٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٧.

٢. حفظ الإخوان والأخ هنا من آمن بالعقيدة الدرزية، وهذه عوضاً عن الزكاة.
٣. ترك ما كان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبادة العدم والبهتان (أي كل عبادة لغير الحاكم بأمر الله) وهذه الخصلة جعلوها بديلة عن الصوم.
٤. البراءة من الأبالسة والطغيان (والمقصود بهم عندهم الأنبياء)، وهي بديلة عن الحج.
٥. التوحيد للمولى في كل عصر وزمان (أي الحاكم)، وهي بديلة عن الشهادتين.
٦. الرضا بفعله كيفما كان (أي الحاكم)، وهي بديلة عن الجهاد.
٧. التسليم لأمره في السر والحدثان (أي لأمر الحاكم)، وهي بديلة عن الولاية[١].

وقد كتب حمزة بن علي رسالة كبرى لنقض أركان الإسلام، حتى بمعناها الأسماعيلي الباطني، واسمه (النقض الخفي).

هذا وقد كتب جنبلاط قرآناً سار فيه على مذهب حمزة، من هدم أركان الإسلام، و عدِّ المسلمين وعبادتهم شرك يستعاذ منه، وهو يقول فيه:

(لقد ضل الذين جحدوا الحكمة واتبعوا فرية صحف اكتتبوها، فهي قبلة آبائهم يتلونها بكرة وعشياً، وقالوا هذا من عند الله المعبود)[٢].

ويضيف في مكان آخر: (وقال الذين كفروا منكم إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وعليه وجدنا آباءنا، قل لو كنتم على الهدى لآمنتم به، ولكنكم لا تعلمون غير ما تهواه أنفسكم، وأنتم تجهلون، نحن أعلم بما في أيديكم، ونحن المنزلون، لقد ضل هؤلاء الذين يريدون أن يحكموا بالقرآن، ويتخذوه سبيلاً...)[٣].

السؤال الواحد الأربعون: هل هناك ترتيبات في المجتمع الدرزي؟

نعم، فهم يقسمون مجتمعهم إلى روحاني وجثماني؛ فالروحاني بيده أسرار الطائفة، و هم على ثلاثة أقسام: رؤساء، وعقلاء، وأجاويد.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧٨، نقلاً عن مخطوط: (ذكر ما يجب أن يعرفه الموحد ويعتقد به).
(٢) المصحف المنفرد بذاته، كمال جنبلاط، ص ٢٤١ / ٢٤٢.
(٣) المرجع السابق، ١٥٤/ ١٥٥.

والجثماني الذي يبحث في الدنيويات وهـم إمـا أمـراء أو جهـال. والروحـانيون أو (العقال) بلهجتهم ثلاث درجات:

- **المتنزهون**: وهم أعلى طبقة في الطائفة روحانياً.
- **الشراح**: وهؤلاء يحق لهم الاطلاع على ما كتبه التنوخي من شيوخهم.
- **الأجاويد**: وهم آخر طبقة في الروحانين، ويفهمون في دينهم نسبة تزيد قليلاً عمـا يفقهه الجهال، وفي كل بلد يوجـد فيهـا دروز يوجـد رئـيس للطائفـة يُـدْعَى شـيخ العقل[1].

وكلمة أخيرة تتعلق بشأن الطائفتين الدرزية والقرمطية في عصرنا، وأثرها وأهدافها: إن القرمطية غير موجودة بهيكليتها التنظيمية والأتباع، وإن كانت موجودة كفكـر عملـي ينتمي إلى الإسماعيلية كما ذكر الكاتب الإسماعيلي (عارف تامر)، وتنبع خطورة هـؤلاء على الإسلام والمسلمين في عصرنا من نفس الخطورة التي أوردناهـا بـشأن الإسماعيليـة، وينطبق هذا على فئة الدروز أيضاً في عصرنا. ولهم نفوذ دنيوي سياسي في كل من سورية ولبنان وفلسطين، وهم يستخدمون هذا النفوذ لتحقيق أهدافهم في الهدم.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٨٥ وما بعدها.

المبحث الخامس: البابية والبهائية

لقد وضعتني في صورة جلية عن فرق تاريخية وبعض تجلياتها المعاصرة وأخطارها المحدقة، فشكراً جزيلاً لك، جزاك الله خيراً. ولكن هل من فرق حديثة يمكن أن تفيدني عنها شيئاً ؟

- نعم، نعم وأنا جاهز للإجابة على لأسئلتك.

السؤال الثاني والأربعون: قل لي: ما هي البابية؟

البابية دعوى هدامة حديثة، منسوبة إلى شخص يدعى (علي محمد رضا الشيرازي)، ادّعى الانتساب إلى أهل البيت، ولد في شيراز ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، وكان تحت كفالة خاله الميرزا (علي الشيرازي)؛ إذ توفي والده في صغره، فدفعه خاله دون أن يدري إلى أحد شيوخ (الرشتية) الشيخية المسمى الشيخ عايد، وبذلك وقع في الفخ الهدّام[١].

وقد جاءت كلمة الباب من ادعاء هذا الرجل بعد وفاة أستاذه الرشتي عام ١٨٤٣م أنه الباب إلى الإمام المنتظر المستور، فسمي بعد ذلك بالباب، وسميت دعوته (البابية)[٢].

السؤال الثالث والأربعون: إلى أي شيء كان يدعو هذا الباب؟

تتلخص دعوة الباب بما يأتي:

- ادعاؤه بأنه المهدي المنتظر.
- وأنه الوسيلة للوصول إلى الله (الباب) أوّل حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) بأنه هو عليٌّ المقصود.
- وادّعى النبوة وأنه أُوحِيَ إليه (بالبيان العربي) الذي سماه كتاب الله .
- وبناءً على كتابه هذا ادّعى نسخ الشرائع السابقة.
- ومن جملة معتقداته إنكار البعث والاعتقاد بالتناسخ.
- ومن وسائله في الدعوة الاعتماد على النساء، لتزداد دعوته انتشاراً.

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦٠.

ولقد انضمت إليه (قرة العين) ابنة الملا محمد صالح مع أبيها، وكانت جميلة جداً، فأخذت تتنقل سافرة الوجه وتدعو للباب، فافتتن بها كثيرون.

السؤال الرابع والأربعون: ما هي مرجعيات الشيرازي في عقيدته؟

لم يبدأ الباب - كما يحلو له أن يسمي نفسه - من الصفر، إنما أقام دعوته على ركام من الباطنية، التي بدأت عملها منذ أن أصبح للإسلام دولة قوية مهابة. فإذا عدنا إلى عقائده واحدة واحدة، وجدنا أن هذه العقائد ذات أصول إسماعيلية أو نصيرية أو سبئية أو .. أو ..

- فأما ادعاؤه أنه المهدي المنتظر، فارجع إلى الإسماعيلية، لترى أن الفاطميين ادعوها لعبيد الله مؤسس الدولة العبيدية الفاطمية الإسماعيلية.
- وأما ادعاؤه أنه الباب والوسيلة إلى الوصول، فارجع إلى الإسماعيلية والنصيرية، لترى أن الدعوتين استعملتا هذه اللفظة إشارة إلى القائم في الأولى أو إلى الأساس الذي عنده أسرار الدين والدعوة، وإشارة إلى الباب أي سلمان الفارسي عند الثانية، حيث عهد إليه بأسرار الدعوة وسيرها بعد الرسول - ﷺ-.
- وأما ادعاؤه النبوة والوحي، فهذه دعوى كان منها الكثير عند الباطنية، فهذا بيان بن سمعان صاحب الدعوة البيانية الباطنية ادّعى النبوة، والقرامطة ادعوا نبوة محمد بن إسماعيل، والكيسانية ادعت نبوة علي وأولاده من بعده، وهكذا.
- وأما ادعاؤه أن الجزء الإلهي حل فيه، فقد سبقته إليه السبئية والبيانية والإسماعيلية والصوفية الحلولية وغيرها.
- وأما إنكار البعث والتناسخ والحلول، فهذا قاسم مشترك بين جميع الفرق الباطنية في التاريخ، أخذت منه كل فرقة بنصيب، كما يقول صاحب الملل والنحل، فلم تخل طائفة من طوائف الباطنية من قول بهذا.
- أما نسخ الشريعة، فقد أسسه على جذور كثير من الفرق الباطنية، مثل: السبئية، والإسماعيلية، والقرامطة كما أوضحنا سابقاً.

وكل هذه العقائد مستقاة من الوثنيات المجوسية والهندية واليونانية، كما أنها تحمل

جذوراً نصرانية ويهودية. المهم عند هذه الفرق الهدامة هو تلفيق عقيدة، غاية ما تريد منها نسخ الإسلام، وإبطال عقائده، وتقويض دولته، وذلـك ليعيـدوا دولـتهم القديمـة الظالمـة الجائرة، التي أقـام الإسـلام عدلـه وصـفاءه علىأنقاضـها. وإذن فهـي أحقـاد وثـارات، وضلال وأطماع.

السؤال الخامس والأربعون: ولكن كيف بدأ هذا الهدام دعوته ونمّاها؟

يلاحـظ في تـاريخ الحركـات الهدامـة، وهويـات القـائمين عليهـا، أن الـشعوبيين وبالذات بعض المجوس، الذين لم يخالط الإسلام قلوبهم وأفئدتهم، كـانوا هـم مـن حملـوا كبر هذه الدعوات ونشرها وبثها؛ فالإسماعيلية والقرمطية والبابكيـة والخرميـة والمقنعيـة وحركة أبي مسلم كلها مع غيرها نـشأت وترعرعـت في أحـضان مـن أظهـروا الإسـلام وأخفوا المجوسية الوثنيـة، ووجـدت في أرض خراسـان وفـارس مرتعـاً خـصباً للانتـشار والتأثير.

جاء الشيرازي (علي محمد رضـا) إلى العـالم عـام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، و قـد تـوفي والده وهو صغير، فكفله خاله (الميرزا علـي الـشيرازي)، عهـد بـه إلى الـشيخ عايـد مـن تلامذة (الرشتي)، وكاظم الرشتي هذا من تلامذة الشيخ أحمد الإحـسائي، زعـيم الـدعوة (الشيخية)، التي خرجت عن الملـة؛ لادعـاء شـيخها الإحـسائي حلـول الله فيـه، ونـسخ الشريعة، والتناسخ، وإنكار البعث وغيرها من الدواهي والهرطقات.

لكن الميرزا علي محمـد رضـا الـشيرازي لم يظهـر الميـل إلى الـتعلم في هـذه الفـترة، فأشركه خاله في تجارته، فبرع فيها، ثم اشـتغل بعمـل خـاص بـه، ثـم عـاد إلى الدراسـة، فاشتغل بفن تسخير الأرواح الأسطوري، وبعلم الرياضيات والفلسفة، ثـم أرسـله خالـه إلى كربلاء والنجف وهو في العشرين من عمـره، وهنـاك التقـى بكـاظم الرشـتي، الـذي أعطاه سره، وعينه خلفاً له، لما رأى من استجابته وحماسته لأفكاره، وأفهمه أنه هو المهدي المنتظر.

أعلن عن دعوته عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، أي بعد خمس سنوات من تتلمـذه علـى كاظم الرشتي، صاحب أحمد الإحسائي المارق، وكان ذلك في شيراز، وظل يتنقل بدعوتـه

بين السر والعلن، مثيراً الفتن بتأييد من الإنكليز، محاولاً تحقيق فُرقة المسلمين، إلى أن أفتى علماء المسلمين بقتله، بسبب كفره وارتداده عن الإسلام لادعائه النبوة وإصراره على نسخ الشريعة الإسلامية، وقد نفذ فيه الإعدام الشاه ناصر الدين يوم الإثنين ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م[1].

السؤال السادس والأربعون: وماذا عن اليد الدافعة الخفية وراء هذا الجنون؟

كتب «كنياز دالجوركي» مترجم السفارة الروسية في إيران، الذي كان يتخذ له اسماً إسلامياً هو الشيخ عيسى النكراني، ويحضر مجالس الرشتي أستاذ الباب بهذا الاسم، كتب في مذكراته التي نشرتها صحيفة الشرق الروسية، عام ١٩٢٤م، يقول: إنه كان يبحث عن الطامحين الضالين في العقائد الإسلامية، داخل مجالس الرشتي، وذلك لضرب المسلمين، بتفريق كلمتهم وخلخلة صفهم. وتابَع دالجوركي قوله في مذكراته:

(رأيت في المجلس الميرزا علي محمد الشيرازي، فتبسمت له، وصممت على أن أجعله ذلك المهدي المزعوم، ومنذ ذلك اليوم - بدأت كلما أجد الفرصة والخلوة - أرسخ في ذهنه أنه هو الذي سيكون القائم، ويومياً كنت أخاطبه: يا صاحب الأمر، ويا صاحب الزمان، فكان في أول الأمر يترفع ويتأفف من القول، ويستنكر، ولكنه لم يلبث إلا القليل حتى كان يبدي السرور والفرح من هذه المخاطبات...)[2].

كما كانت لأيدي تلامذة الشيخية، الذين يحضرون جلسات الرشتي الشيخي، أكبر الأثر في دفع هذا الجاهل المجنون إلى إعلان دينه الجديد (البابية)، ومن هؤلاء وعلى رأسهم: «زرين تاج» بنت الملا صالح القزويني، التي كانت شابة فائقة الجمال، متوهجة الحيوية والذكاء، فصيحة آسرة، نادرة الجرأة، وكانت مقيمة بكربلاء، منتظرة ظهور الموعود، وقد لقبها الرشتي (بقرة العين)، فتعلقت بالشيرازي وتعلق بها بدوره.

فكان لها اليد الطولى في إظهاره، والدعوة إلى نسخ الشريعة الإسلامية، مع بقية

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٥٧ / ٥٨.

(٢) قراءة في وثائق البهائية، عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ص٣٦/ ٣٧، نقلاً عن كتاب البابية لإحسان إلهي ظهير، ص٥٨-١٧٣.

تلامذة الشيخية، مثل «الملا حسين البشروئي» الذي لقبه الباب «باب الباب»؛ لأنه أول من آمن به باباً لقائم الزمان المنتظر، و«الملا محمد علي الزيجاني» الملقب بالحجة، و«الملا حسين اليزدي» كاتب الباب، و«الملا محمد علي البار فروشي القدوسي»، وفي مؤتمر بادشت قرب معتقل الباب في قلعة (ماه كوه) انتصرت قرة العين في إعلان ديانة جديدة تنسخ الشريعة الإسلامية؛ فقد وافق جميع المؤتمرين بمن فيهم القدوسي بعد تردد على القرار، ثم رفعه المؤتمرون إلى الباب في سجنه، فما وسعه إلا الموافقة عليه، ثم عكف على صياغة الديانة الجديدة، حيث خرج بكتاب أسْمَوه (البيان الفارسي)، الذي عدّوه القرآن الجديد لهم.

ومما يشير إلى اليد الدافعة الغريبة لهذا المهووس، وقوف الروس والإنكليز معه، أثناء محاكمته أمام مجلس من العلماء، لينقذوه من الإعدام، إلا أن وساطاتهم لم تفلح، إلا في تأخير الحكم والتنفيذ، الذي خلّص المسلمين من مجرم أفّاك يوم السابع والعشرين من شعبان ١٢٦٦هـ، الثامن من تموز (يوليو) ١٨٥٠م. وكان عمره آنذاك إحدى وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوماً على الأرجح[(١)].

السؤال السابع والأربعون: هل من مقتطفات تعمق القناعة بخرافة هذا الدين، ومحاولاته الفاشلة لهدم الإسلام؟

كان (البيان العربي) الذي كتبه الباب في قلعة جهريق بمدينة تبريز في أثناء سجنه في أيامه الأخيرة، هو أهم كتاب لهذا المارق، رتبه كما رتب كتابه (البيان الفارسي) على تسعة عشر واحداً، في كل واحد تسعة عشر باباً، لم يكمل منه قبل إعدامه إلا أحد عشر باباً، كما لم يكمل من البيان الفارسي سوى الأحاد الثمانية الأولى، وعشرة أبواب من الواحد التاسع، وترك إكمالها لوصيه الذي يظهر من بعده.

جاء في البيان العربي وفي مستهله: «بسم الله الأمنع الأقدس» إنني أنا الله لا إله إلا أنا، وإن ما دوني خلقي، قل أنْ يا خلقي فاعبدون، قد خلقتك، ورزقتك، وأمتك، وأحببتك، وجعلتك مظهر نفسي لتتلون من عندي آياتي ولتدعون كل من خلقته إلى ديني

---

(١) قراءة في وثائق البهائية، عائشة عبد الرحمن، ص٣٧ وما بعدها.

هذا صراط عز منيع وخلقت كل شيء لك وجعلتك من لدنا سلطاناً على العالمين .

«بسم الله الأمنع الأقدس» إنني أنا الله لا إلـه إلا أنـا الأغيـث الأغيـث، قـد نزلـت البيان، وجعلته حجة من لدنا على العالمين فيه ما لم يكن له كفو ذلك آيـات الله قـل كـل عنها يعجزون ... فيه ما لم يكن له شبه ذلك ما كنا فيه لمفسرون ذلك الألف بـين البـاءين - باب - أنتم بالباب تدركون فيه ما لم يكن له قرين ذلك جوهر العلم والحكمة أنتم بـه تجيبون ...)[1].

وهـا هـو في كتابـه البيـان يقـول: (ذات حـروف سـبع ع ل ي م ح م د أي «علـي محمد») (أنا قيوم الأسماء مضى من ظهوري ما مضى، وصرت حتـى يمحـص الكـل ولا يبقى إلا وجهي، واعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة فإنه لا يري فيّ إلا الله)[2].

ونكتفي بهذه المقتبسات من الهرطقات والكفر، وحسبنا أن ناقل الكفر ليس بكـافر، ونعوذ بالله من الزلل والخطل، وتعالى الله علواً كبيراً عما يدعيه الظالمون ..!

السؤال الثامن والأربعون: ما هي الآثار التي تركتها هذه الخرافات البابية؟

لم تنته الحركة البابية عند إعدام مدعيها الباب (علي محمد)، بل إن نتائجهـا وآثارهـا انتقلت امتداداتها ومخلفاتها، إلى حركة تولدت عـن البابيـة، بواسـطة تـابع مـن أتباعهـا، وتلميذ من تلاميذ الميرزا علي محمد هو «الميرزا حسين علي المازيداراني» الملقـب بالبهـاء، حيث سميت الحركة الجديدة بالبهائية، التي هي ابنة حقيقية للبابية، كما كانت البابية ابنـة حقيقة للشيخية الضالة، التي بدأها أحمد الإحسائي، واستلمها مـن بعـده كـاظم الرشـتي، الذي كان أستاذ الميرزا علي.

إن الآثار التي تركتها وابرزتهـا البابيـة في المجتمـع الإسـلامي في إيـران، تتعلـق أولاً وأخيراً بثلاث نقاط، يكمن فيها دائماً سر تتابع قيام هـذه الحركـات الهدامـة فـوق أرض المسلمين، بدءاً بالسبئية في العقود الأولى لقيام دولة الإسلام، ومروراً بالبيانية والكيـسانية والخطابية ، ووقوفاً عند الإسماعيليـة والقرمطيـة والنـصيرية، وانتهـاءً بالبابيـة والبهائيـة

(١) المرجع السابق، ص٤٩ وما بعدها.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٦٣، نقلاً عن كتاب: البيان، ص١٠.

والقاديانية والماسونية.

هذه النقاط الثلاث هي:

١. وجود الطامحين لهدم الإسلام من المغامرين ذوي الأهواء والعلل.

٢. اليد الغريبة الدافعة ذات المطامع.

٣. الحقد الدفين على الإسلام ودولته وعقيدته وشريعته.

وإن المعركة التي تدور اليوم حول كتاب المرتد المارق سلمان رشدي (آيات شيطانية)، ومنتجات نسرين البنغالية الضالة، وسخافات الصومالية الهولندية المارقة، لتذكرنا بدقة بالمعارك التي دارت سابقاً، وهي تخبرنا بوضوح عن اليد الدافعة للبابية والبهائية وغيرها من فرق الضلال، وتنبئ عن الحقد الدفين الذي تمتلئ به صدور الصليبية الحديثة على الإسلام وأهله، وهي تقول لنا بملء فيها: إن الحروب الصليبية لم تنته كما قال اللنبي في القدس ذات يوم، بل إن أوارها في اضطرام، وهذا هو البرهان:

- انظر، فإن داعية البابية الميرزا علي، ابن الشيخية، ومُوَرِّث البهائية، هو ابن هجين (لكيناز دالغوركي) الدبلوماسي الروسي في طهران، الذي اشتهر باسم الشيخ عيسى، كما أوردنا سابقاً، وأثبتناه من خلال مذكراته. وقد رعت المخابرات الروسية هذا الضال، وغذته، ودافعت عنه لدى الشاه عندما وقع المارق في شر أعماله.
- واليهودية العالمية أوعزت إلى يهود إيران بالانضمام إلى هذه الحركة بصورة جماعية، وهكذا كان؛ فقد دخل في طهران (١٥٠) يهودياً في الحركة البابية، وفي همذان دخل (١٠٠) يهودي، وفي كاشان (٥٠)، و في كلباكيان (٨٥)، وغيرها وغيرها[(١)].
- وانتبه، فإن دوائر الاستعمار الغربي قد ملأت الدنيا ضجيجاً، في الدفاع عن هذه الحركة وعدتها حركة تحررية، منقذة للمسلمين من تعصبهم، وذرف دعاة الصليبية الغربية الدموع الكثيرة، يوم أن نال هذا الدعي المارق جزاءه العادل، وعدوا الحكم

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص١٢٧، نقلاً عن كتاب: (مطالع الأنوار)، الحاشية، ص٥٣٤.

العادل الذي صدر بحقه مأساة إنسانية مروعة، أدانـوا بهـا - في زعمهـم - بربريـة الإسلام، وتعصب المسلمين، تماماً كما يقول إعلامهم اليوم عن احتجاج المـسلمين على كلمات الكفر والبذاءة والانحطاط التي نطق بها كاتب آيات شيطانية، ومثيلتاه نسرين والصومالية، الذين اسـتوحوا كلامهـم مـن روث الـشياطين، يلطخـون بـه صفحات سوداء أصلاً، ويمرغون بنجسه واجهـات الغـرب الحاقـد علـى الإسـلام ونبيه الكريم - ﷺ -، ومثلما يفعل الغربيون اليوم بالنسبة للنطيحة المتردية سـلمان رشدي، من ترويج ونشر وتوزيع لبذاءاته وسوءاته، فعلوا الشيء نفسه للباب، مـن أجل ترويج بضاعته الدنسة؛ فقـد شـارك الـصحفيون والكتـاب في حملـة الترويـج والنيل من الإسلام مثلما فعل (اللورد كروزون) في كتابه: إيران والمسألة الإيرانيـة، و(استيلن كاربنتر) في كتابه: الدين المقـارن، و(بـراون) في كتابـه: التـاريخ الجديـد، و(فاميري) في كتابه: الأكاديمية .. إلى آخـر القائمـة مـن الكتّـاب الحاقـدين الـذين يخبئون غليان صدورهم وراء حفنة مزجاة من ابتسامات ونعومة يعدونها حضارية، وهي إنما سحنة النفاق والمنافقين، وعقول التخلف المشحونة بكل أحقاد التاريخ[1]. وارجع إذا شئت إلى ضجة الدفاع عن الرسام الـصحفي الـدانماركي التافـه، الـذي حاول دون جدوى المس بصورة الرسـول الحبيـب محمـد ﷺ، برسـوماته الحاقـدة، لتعلم مدى دقة كلامنا.

بناء على ما تقدم نستطيع القول الآن وباختصار: إن ما أريـد للبابيـة أن تفعلـه قـد فعلته، فشتّتت بـدعوتها المجتمـع الإيرانـي، ومزقـت مقاومتـه لحركـة الـروس القياصـرة، المتقدمة نحو استقطاع بعض الأرض الإسلامية في القفقـاس، وفعـلاً فقـد حـصل ذلـك، والإيرانيون مشغولون بهذا الوباء الذي جاءتهم به البابية.

وهم بذلك حققوا للأيدي الدافعة هدفين: الأول تمزيق المجتمـع والتلبـيس عليـه في عقيدته، وتحقيق الانتصار عليه في أرض المعركة. والثاني: شـفاء قلـوبهم، وإطفـاء نارهـا الملتهبة غيظاً على هذا الدين وأهله. وأما الضال المـضل فقـد نـال جـزاءه العـادل، علـى

(١) المرجع السابق، ص١٢٨ / ١٢٩.

الرغم من أن ضلالته لم ينته مفعولها، بل وجدت ورثة يحملون الضلال من بعده.

السؤال التاسع والأربعون: هل لك أن تذكر لنا بعض أوجه التهافت في دعوة الباب وتصرفاته العملية؟

- نعم، سوف أذكر لك شيئاً من ذلك.

- فرض على البنت الزواج الإجباري في سن (١١) سنة.
- على الأرمل الزواج بعد تسعين يوماً، والأرملة بعد خمسة وتسعين يوماً.
- يراجع الرجل زوجته في حال الطلاق (١٩) مرة، بناءً على تقديس العدد (١٩) في عقيدتهم، ذلك التقديس للأعداد المأخوذة عن الفيتاغورثية.
- من غريب أقواله في كتابه «مفتاح باب الأبواب»: (تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ، تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ، تبارك الله من بدء مبتدئ بديء، تبارك الله من فخر مفتخر فخير، تبارك الله من قهر مقهر قهير، إلخ ما هنالك من ركاكة وتفاهة وكفر[1].
- قسم السنة إلى (١٩) شهراً، والشهر (١٩) يوماً، أيضاً بناء على تقديس هذا العدد، مع مخالفة ذلك لكل الشرائع والتقسيمات العلمية الحديثة.
- وقوعه في كتابه البيان بالأخطاء اللغوية والنحوية الفاحشة، إضافة إلى الركاكة والأسلوب العامي الضعيف من مثل:

قال الميرزا على الشيرازي في مفتاح باب الأبواب: (وأنزل عليكم **آياتاً بيناة** فيها هدى وبشراً للذين هم بالله ثم بأسمائه مؤمنون)[2].

ثم يقول: (أيحسب الناس أن كنا عن الخلق بعيداً كلا يوم نكشف الساق عن ساقهم **ينظرون الناس إلى الرحمن وذكره في الأرض المحشر قريباً** فيقولون: يا ليتنا لم نتخذ دون الباب سبيلاً من الرجال على الحق **غير الحق مآباً**[3].

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص١٣٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٣٩.

ولو أننا أردنا الاقتباس من تفاهاتـه المتهافتـة الـساقطة، لطـال بنـا المقـام، وامتـدت الصفحات، ولكننا نكتفي بهذا القدر؛ خوفاً على حس القارئ وشعوره وذوقه.

السؤال الخمسون: وماذا عن البهائية؟

إنها بنت البابية، وتجليات الشيخية، الـتي هـي ضـلالات الـشيخ أحمـد الإحـسائي، قامت ونمت وامتدت على يد تلميذ الباب الشيرازي، وأحـد أتباعـه حـسين المازنـدراني، الذي لقب نفسه بالبهاء، ومن هنا جاء اسـم البهائيـة، وكـان هـذا البهـاء أحـد المـتهمين بمحاولة اغتيال ناصر الدين شاه ملك إيران؛ انتقاماً من إعدام الباب، لكنه فرَّ والتجـأ إلى السفارة الروسية، وحماه هناك «د الغوركي» الملقب بالشيخ عيسى، وكان وقتها مفوضاً في السفارة. فقد جاء في نقطة الكاف ما نصه: (لو ما كان سفير الروس والإنكليز، ولم يشفعا لبهاء الله أمام الحكومة الإيرانية، لخلا التاريخ من ذكر ذلك الشخص العظيم)[1].

هذه هي البهائية دعوة البهاء حسين المازندراني تابع الباب.

السؤال الواحد الخمسون: هل من تعريف مختصر للبهاء؟

- نعم، وبكل سرور.

هو الميرزا حسين بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري من فارس، ومن مذهب الشيعة الإمامية سابقاً، تربى وترعرع مع بقية إخوته السبعة في طهران، حيث كان والدهم مأموراً للمالية، وكان حسين هذا على صلة بالصوفية، ولما ظهر الباب مال إليـه، واتبعـه، وأصبح من دعاته النشيطين، مع (زرين تاج)، التي وقعت في حبه، وكانت تطيعـه في كـل شيء.

تنقل كثيراً يدعو للدين الجديـد، ثـم عـاد إلى طهـران، وبعـد المـؤامرة علـى الملـك الإيراني، أودع السجن، ثم كانت السفارتان الروسية والإنكليزية شفيعتين له في طهـران، فأخرج من السجن، ونفي إلى بغداد في أول محرم١٢٦٩هـ، ثم نفي إلى أدرنة باتفـاق بـين

(١) قراءة في وثائق البهائية، عائشة عبدالرحمن، ص٥٨، نقلاً عن كتاب: نقطة الكاف للكاشاني البـابي، ص٢٣٣

حكومة إيران والسلطة العثمانية سنة ١٢٨٠هـ .

وبعد أن دبّ الخلاف بينه وبين أخيه الميرزا يحيى الملقب (صبح أزل) خليفة البـاب، تقرر نفيهما، (صبح أزل) إلى قبرص، و الملا حسين إلى (عكا) مع أتباعه .

كان الملا حسين أكثر ثقافة واطلاعاً وعلماً من الباب، كما أنـه كـان مـاكراً مخـاتلاً، يعمل بالتقية، وهذا ما جعله ينتصر في معركته مع أخيـه خليفـة البـاب المعـين، وهـذا مـا جعله يختفي عن أحداث مؤتمر (بدشت)، مؤثراً الدفع (لرزين تاج) أو قـرة العـين سـراً، وهذا ما جعل الصوفية يثقون به .

وكان يتبع في طريقة تعامله مع الناس أساليب يظن أنها تمكـن لـه عنـدهم، فهـو لا يقابل إلا أناساً معدودين، وكان دخولهم وخروجهم عليه بمراسيم حركية وكلامية، تـضع الشخص في أوضاع نفسية معينة، إذ يضع الملا حسين على وجهـه برقعـاً، حتـى يـستطيع الناس النظر إليه، على الرغم من أن أتباعه يوصون الداخلين بعدم النظر إليه[1] .

السؤال الثاني والخمسون: ما الجديد في دين البهاء؟

مما يلفت نظر المتأمـل في تـاريخ الفـرق الهدامـة، ذلـك التـشابه الكـبير في عقائـدها ووسائلها وأهدافها، فمن العقائد الفاسـدة الـتي لا تتجـدد إلا في الـشكل، إلى الـسرية في الوسائل، إلى هـدم شـرائع الإسـلام وأحكامـه وأركانـه كغايـات وأهـداف، تجعـل هـذه الطوائف الضالة تظهر أمام الباحث كأنها سلسلة تأخذ حلقاتهـا بعـضها بعنـاق الـبعض الآخر، لا تكاد تفلت حلقة من تلك الحلقات من هذه السلسلة، إلا لتعود سـريعاً، فكـل وارد يمتح من ذلك البئر الآسن مزاجه وفكره وخط سيره.

والبهائية كواحدة من هذه الحلقات الدنسة، في تلك السلسلة الجهنمية لم تبتعـد عـن تلك الحمأة النتنة؛ حيث إن عقائدها تتلخص بما يأتي:

١. الأساس فيها: الإيمان بأن الله قد تجلى في البهاء (الميرزا حـسين المازنـدراني)، فـالله الذي يعبده المسلمون لا وجـود لـه الآن – كمـا يقولـون – إلا بظهـوره في مظهـر

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد ، ص١٤٩.

البهاء، وهو بظهوره هذا قد بلغ الكمال الأعلى[1].

٢. ليس لهذا الإله أي أسماء أو صفات أو أفعال، إلا ما يكون من صفات وأفعال أو أسماء الذي ظهر فيه وهو البهاء[2].

٣. الإيمان بأن دين البهاء نسخ الشريعة الإسلامية؛ لأنه لم تعد تلك الأحكام مناسبة لاحتياجات الإنسان في جميع أنحاء العالم[3].

٤. الأخذ بالتأويل للنصوص بشكل يصل إلى تكذيب القرآن، مما لم تصل إليه الفرق الباطنية السابقة هكذا صراحة وبوقاحة[4].

٥. الإيمان (بالأقدس) كتاباً من عند الله، وهو كتاب البهائيين الأول، كتبه البهاء حسين نفسه[5].

٦. يؤمنون بالتناسخ، وينكرون البعث، فالثواب والعقاب لا يكونان إلا للأرواح، التي تنتقل من جسد إلى جسد[6].

٧. وهم متقلبون بالنسبة للبهاء، فتارة يقولون بمسيحيته، وأن البهاء هو المسيح، وتارة بألوهيته، وتارة بالأقانيم الثلاثة: (البهاء رئيساً، وابنه عباس الملقب بعض الله الأعظم، والباب وأنهم هم المعبر عنهم في الإنجيل بالأب والابن والروح القدس، وفي القرآن ببسم الله الرحمن الرحيم[7].

هذا مجمل ما يعتقده البهائيون، وإنك لتجزم أن كل واحدة من هذه المعتقدات كافية لإخراج هؤلاء من ملة الإسلام.

---

(١) البهائية، محب الدين الخطيب، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص١٦٥ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق،، ص١٦٥ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق، ص١٦٥ وما بعدها.

(٦) المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، (١٩٨٥)، د. عبد الرحمن عميرة، (ط٣)، دار الجيل، بيروت، ص٢٧٤.

(٧) المرجع السابق، ص٢٧٤.

السؤال الثالث والخمسون: ما هي المرجعيات التي تشكل جذور هذه الفرقة وتمدها بنسغ الوجود؟

لعلك تستطيع - بناء على ما سبق من أقوال وبيان - إعادة كل هذه السخافات والخرافات، إلى أصولها ومرتكزاتها، كما أنني لا أكون واهماً إذا قلت لك: إن الروح المسيحية واليهودية بارزة جداً في توجيه ووجود هذه الفرقة، وتنامي أتباعها، ورعاية مسيرتها، ودفعها نحو أهدافها في التخريب، ولا يغيب عن البال ذلك التواصل الباطني، بين عقائد هؤلاء في إنكار البعث والتناسخ، وادعاء النبوة، ثم الألوهية، وعقائد كل من الإسماعيلية والنصيرية، والقرامطة والسبئية، وغيرها مما يشي بأن تلك الفرق تعمل اليوم من خلال مستجدات شكلية، وأنها ماضية في مخططاتها علم الناس أم لم يعملوا، وليظل السُّذج من أمتنا يخفون رؤوسهم في رمال وهم (المواطنة)..!! تلك الوصفة الجاهزة لإبعاد الإسلام عن روح المجتمعات الإسلامية، بحجة أن الدين يعوق حريات المجتمع؛ فهو يفرق الناس إلى مذاهب وطوائف، وهي وصفة - كما ترى - من وصفات بعث الوهن وطمس الهوية، فرضت علينا من قبل المتنفذين فينا، الذين راحوا يَعدّون كل ما يُوردُه الغرب إلينا هو التقدم وهو الصالح للعصر، كما أنه لا يمكن نسيان دور الدفع من الخلف، ومن وراء الستار، من قبل الدول الطامعة في إسقاط دين الإسلام، كونه العقبة الكأداء في طريق تسللهم ومطامعهم، وهيمنتهم التي تستعمل أمثال هؤلاء الموجودين بين ظهرانينا مخالب تمزق نسيج مجتمعاتنا، فتوهنها لتكون مهيأة لقبول الغازين الطامعين.

السؤال الرابع والخمسون: ما هي أهداف البهائية والدافعين لها من الخلف؟

يمكن تلخيص أهداف وجود هذه الطائفة بما يأتي:

١. إن المطامح الشخصية للميرزا حسين المازندراني، في الرياسة والوجاهة والسيادة، والخلافات التي وقعت بينه وبين أخيه (صبح أزل)، توضح بجلاء تطلعات هذا الرجل ومطامحه، كما أن موقفه في مؤتمر البابيين في (بدشت)، وسعيه في الخفاء لتحقيق أهدافه، يلقي ضوءاً ساطعاً على أسلوبه الماكر، وإخفائه لآمالٍ ومطامحَ أبعد من حدود ما سيحققه المؤتمر، فهو في سبيل أن يبقي على سمعته واحترامه،

كان يبث إلى (قرة العين) المطيعة المحبة له أفكاره في الخفاء، وتقوم قـرة العـين بمالها من تأثير طاغ بإيصال هذه الأفكـار إلى أتبـاع البابيـة المـؤتمرين، بينمـا كانـت هـذه الأفكار في واقع الحال خطيرة، وليست لصالح رؤساء البابيـة وزعمائهـا. والـنص الآتي يبين بوضوح تطلعاته البعيدة، وهو يخاطب أخاه: (أنصف يا أخي، هل كنت ذا بيان عند أمواج بحر بياني، وهل كنت ذا نداء لدى صرير قلمي، وهـل كنـت ذا قدرة عند ظهورات قدرتي)[1].

٢. الحقد الدفين على الإسلام الذي ظل يعتمل في قلوب كثير ممن لم يلامس الإسـلام قلوبهم، فظلوا يتوارثونه جيلاً بعد جيل إلى يوم النـاس هـذا، فهـم يظهـرون هـذا الحقد في كل عصر بصورة مـن صـور الانتقـام والثـأر. وكـان البهـاء واحـداً مـن الأشخاص الذين ورثوا هذا الحقد، وصورة من صور الثأر والانتقام مـن الإسـلام وأهله، ونفثةً من صدور مأزومة، منذ وجد الإسلام، و قامت لـه دولـة، فخرجـت إحدى النفثات في العصر الحديث، على صورة البهاء الشوهاء.

٣. ولن ننسى في مجال تعداد الأهداف، حركة الدفع الـتي تختفـي وراء نفثـات الحقـد، تحركها أطماع نفوس وقوى ودول، ولا أدل على ذلك من دفاع روسـيا القيـصرية الحاقدة على الإسلام، الطامعة بالمياه الدافئة، عن هذا الجرذ؛ حيث تـدخل الـصدر الأعظم، في يوم من الأيام، بدفع من السفارتين الروسـية والبريطانيـة لـدى الـشاه، ليعفو عن هذا الجرذ - الذي لقب نفسه بالبهاء - وأخيه (صبح أزل)، وذلك بعـد إعدام الباب[2].

ولا ننـسى في هـذا المجـال الـصهيونية العالميـة، ودعمهـا حتـى اللحظـة للبهائيـة، واحتضانها لها، وتهيئة الأجواء لنمائها، وقد ذكر ذلك المستشرق (جولد زيهـر) في كتـاب العقيدة والشريعة، وربط بين البهائية واليهودية بقوله: (حاول اليهود بكل وسـيلة تثبيـت مركز المرزا حسين، وبلغ الأمر بهـم أن استخلـصوا مـن دفـائن العهـد القـديم وتنبـؤات

---

(١) حقيقة البابيـة والبهائيـة، محسن عبدالحميـد، ص١٥٢، نقـلاً عـن: نبـذة مـن إشـراقات بهـاء الله، ص١٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٨.

أسفاره ما ينبئ بظهور بهاء الله وابنه عباس)[1]. والبهائية الآن تعيش بين ظهراني دولة يهود في فلسطين المحتلة، ومركزهم فوق جبل الكرمل شاهد على عناية يهود بهم، لماذا؟! وجواب لماذا هذه يتبين من خلال إقبال يهود إيران على الدخول في هذه الحركة الضالة أفواجاً بترتيب مسبق.

السؤال الخامس والخمسون: هل لك أن تستعرض شيئاً من نصوص كتب البهاء؟

حالاً، وبلا تردد:

- - من الأقدس: زعم البهاء - وبئس ما زعم - أن كتابه هذا (الأقدس) تضمن أحكاماً نزلت من عند الله، تعالى الله عن لغو هذا المارق علواً كبيراً.

كما ادّعى أن أحكامه هذه نسخت جميع الأحكام السابقة، ونحن الآن بصدد إيراد مقتطفات من ذلك الكتاب، ليطلع القارئ بنفسه على فضائحه وسخافاته وافتراءاته.

- «من يقرأ آية من آياتي خير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين»[2].
- «أحرقوا الحجبات بنار حبي، والسبحات بهذا الاسم الذي به سخرنا العالمين، وارفعن البيتين في المقامين والمقامات، التي فيها استقر عرش ربكم الرحمن كذلك يأمركم مولى العارفين»[3]، (وهو يقصد نفسه).
- «الدار المسكونة، والألبسة المخصوصة للذرية من الذكران دون الإناث، والوارث إنه لهو المعطي الفياض»[4]: أي الميرزا.
- وهو يدعو إلى وقف الجهاد وتحمل الظلم، وقبول الذلة لأنه بذلك يظهر العدل، ويلوح العز الإلهي.

«قل بما حمل الظلم العدول فيما سواه، وبما قبل الذلة لاح عز الله بين العالمين، حرم

---

(١) المرجع السابق، ص١٣٤.

(٢) حقيقة البابية والبهائية، د. محسن عبد الحميد، ص١٧٠، نقلاً عن كتاب: الأقدس، ص١٢٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٦٧، نقلاً عن كتاب: الأقدس، ص١٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٦٧، نقلاً عن كتاب: الأقدس، ص١١١.

عليكم حمل آلات الحرب إلا حين الضرورة، وأحل لكم لبس الحرير»[1].

- وهذا ابنه عبد البهاء عباس ينقل عن أبيه قوله في منع استعمال السلاح:

«إنه نهى عن استعمال هذه الوسائل بالكلية في نشر دعوة الحق، حتى ولو كان ذلك من قبيل الدفاع عن النفس؛ لأنه محا آية السيف، ونسخ حكم الجهاد، وقال لأن تُقتلوا خير من أن تَقتلوا»[2]، (لاحظ أن ذلك يشكل هدفاً من أهداف المستعمرين).

- وها هو ينادي الناس إلى الإيمان بأنه لا يموت، وإنما يغيب ويبقى يراقب الأرض من عليائه: «يا أهل الأرض: إذا غربت شمس جمالي، وسُترت سماء هيكلي لا تضطربوا، أنا معكم في كل الأحوال وننصركم بالحق إنا كنا قادرين»[3]، (وهذه تخريجة مضحكة لموته وغيابه).

- وها هو يدعو الملوك وأهل الأرض إلى الإيمان به، كما أنه يبشر بأن الصهاينة آمنوا به، وأن لهم الأرض التي بدأ منها الظهور (فلسطين) فاستمع لتعلم سراً من أسرار وجود هذه الدعوة الهدامة قال في الأقدس، (ص١٩٥ - ١٩٩):

(هذا يوم فاز الكليم بأنوار القديم - يعني يوم إعلان نفسه - وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور، قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور، والروح ينادي به الملكوت: هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور، هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه، وصاح الصهيون: قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب. يا معشر الملوك قد نزل الناموس الأكبر في المنظر الأنور، وظهر كل أمر مستتر من لدن مالك القدر الذي أتت به الساعة وانشق القمر، وفصل كل أمر محتوم، يا معشر الملوك أنتم المماليك قد ظهر المالك بأحسن الطراز، ويدعوكم إلى نفسه المهيمن القيوم، إياكم أن يمنعكم الغرور، عن مشرق الظهور، أو تحجبكم الدنيا عن فاطر السماء، قوموا على خدمة المقصود الذي خلقكم بكلمة من عنده، وجعلكم مظاهر

---

(١) المرجع السابق، ص٩٤/ ٩٥ نقلاً عن كتاب: الأقدس، ص٣٩١.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥، نقلاً عن كتاب: بهاء الله والعصر الجديد لعبد البهاء عباس، ص١٦١/١٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص٩٣ ، نقلاً عن كتاب: الأقدس، ص٩٥.

القدرة لما كان وما يكون)[1].

في هذا النص جلاء لكثير من عقائد هذا الدجال كما أن فيه بياناً لأهدافه ومقاصده، وتوضيحاً لمن يدفعه ويتبنى هذه الدعوات من وراء ستار.

- فهو يدعي الألوهية حين يقول: (ظهر المالك بأحسن الطراز).
- كما ادعى تكليم الله عندما قال: (فاز الكليم).
- وهو يلمح إلى الطور (موسى) يطوف حول مطلع الظهور، (في عكا)، يعني نفسه، ويعني النفاق ليهود بأنه وموسى عليه السلام دعوة واحدة.
- ثم يستشهد باعتراف اليهود واحتضانهم له على صحة دعوته (وصاح الصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو المكتوب)، و في هذا ما يدلك على من يدفعه، كما أن فيه اعترافاً منه باحتلال الصهاينة لفلسطين.
- ثم يظهر طموحه وأهدافه عندما يقول: (يا معشر الملوك أنتم المماليك، قد ظهر المالك بأحسن الطراز ويدعوكم إلى نفسه المهيمن القيوم).

ها هو يدعو الناس إلى إرجاع الأمور إليه، في حال حياته، وإلى كتابه الأقدس في حال موته[2]. واعذرني أخي القارئ فإني ناقل و حسب.

(إذا اختلفتم في أمر فارجعوه إلى الله، ما دامت الشمس مشرقة في أفق هذا السماء (يعني نفسه)، وإذا غربت – بموته – ارجعوا إلى ما نزل من عنده إنه يكفي العالمين (يعني الأقدس)، قل يا قوم لا يأخذكم الاضطراب إذا غاب ملكوت ظهوري، وسكنت أمواج بحر بياني، إن في ظهوري لحكمة، وفي غيبتي حكمة أخرى، ما اطلع بها إلا الله الفرد الخبير، ونراكم في أفقي الأبهى، وننصر من قام على نصرة أمري، بجنود من الملأ الأعلى، وقبيل من الملائكة المقربين).

فهو يحضر أذهان أتباعه للأجابة عن موته، وعن التساؤلات التي قد تكون، فيفسر حاله، بأنها غيبة، وليس موتاً، وأن فيها حكمة كما أن في حضوره حكمة..!

وإنني أكتفي بهذا القدر من الاقتباس خوفاً على القارئ والسامع من الغثيان والملل.

---

(١) قراءة في وثائق البهائية، عائشة عبد الرحمن، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤، نقلاً عن كتاب: الأقدس ص (١٣١/ ١٣٣).

السؤال السادس والخمسون: كيف كانت وسائله وأساليبه في حركته الضالة؟

بعد شفاعة الروس والإنكليز به، إثر محاولة اغتيال الشاه، التي قام بها الميرزا حسين، انتقاماً لإعدام الباب، نفاه الشاه إلى بغداد، ثم تمّ اتفاق بين حكومة الشاه وحكومة الباب العالي، لنفيه إلى إستنبول، ومن هناك إلى أدرنة، وكان معه أخوه (صبح أزل) خليفة الباب، وهناك اشتد الخلاف بينه وبين أخيه، إذ كان يطمح (الملا حسين البهاء) بالخلافة لنفسه، لينفرد بالدين وحده، ولما فاحت روائح ذلك الخلاف، واشتدت، نفاهما الأتراك: البهاء إلى عكا، وصبح أزل إلى قبرص، ومن عكا بدأ البهاء بالانفراد نهائياً بدين البابية، حيث عدّ نفسه المظهر الجديد، والروح الذي نسخ كل ما سبق من أديان، بما فيها من البابية.

وقد اتبع البهاء في دعوته الوسائل والأساليب الآتية:

١- انتهى البهاء بالتدرج في دعوته، من ادعاء المهدية، ثم النبوة الخاصة، ثم النبوة العامة، ثم الألوهية، ثم إلغاء الأديان جميعاً، والدعوة إلى دين عالمي جديد، يضم الناس جميعاً، ويجمعهم على الإخاء والمساواة، فهم بذلك وضعوا أيديهم بأيدي الماسونية، ابنة الصهيونية العالمية، بعد أن عملت الحركتان على إلغاء الجهاد - كما رأينا ذلك في نصوص البهائية آنفاً - وأرختا بالتأريخ نفسه، الذي يعُد عام ١٨٤٤ عام انتهاء أزمة الأمم، وبدء دور سيادة يهود على العالم كله[1].

٢- ومن وسائلهم الدعوة إلى بعض التعاليم والفضائل الإسلامية، للتغطية على أفكارهم الحقيقية، من مثل غض البصر، الوحدة والاتحاد، والعمل لصالح أهل الأرض جميعاً، آخذين ذلك من دعوتهم إلى وحدة الأديان في دين واحد.

٣- ومن وسائلهم التي يغررون بها العامة، دعوتهم إلى أن السبب في اختلاف الناس، وفشو البغضاء بينهم، وقيام الحروب، هو هذه الأديان، إذن فلنخرج منها إلى دين جديد، هو دين الميرزا حسين (الملقب بالبهاء) على المذهب الذي ينسب إلى ابن

---

(١) المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، (١٩٨٦)، محمد الحسن، (ط١)، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ص٣٠٨.

العربي - إن صح النسب- فهو يقول:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة وصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني[1]

وهذا كله مأخوذ من فكرة وحدة الوجود الصوفية، المنقولة عن فلاسفة اليونان وملطية قبل الميلاد.

٤- ومن وسائلهم التي يغررون بها الناس الكارهين للحروب، الدعوة إلى السلام العام، إذ أن الميرزا حسين البهاء في عقيدتهم هو المسيح، الذي يأتي ليحكم بالعدل، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويسود السلام. وهذا ابنه العباس يقول في كتابه (بهاء الله والعصر الجديد):

(سوف تتبدل الإنسانية في هذا الدور المجيد، وتلبس خلع الجمال والسلام، وتزول المنازعات والمخاصمات، ويتبدل القتل والقتال بالوئام والسلام، والصداقة والاتحاد، وتظهر بين الملل والأقوام، والبلدان روح المحبة والصداقة، وترتفع خيمة السلام العام في قطب الإمكان)[2].

٥- ومن وسائلهم التدليس على الناس بالدعوة إلى لغة عامة مشتركة للعالم أجمع، إلى جانب اللهجات المحلية.

٦- ومن وسائلهم في التغرير الدعوة إلى جمعية الأمم، والتحكيم الدولي، واللجوء إلى حل النزاعات عن طريق الحوار بدل الحرب.

٧- ومن وسائلهم التي سادت أهل هذا العصر دعوتهم إلى مساواة الرجل بالمرأة، والاختلاط والسفور، وحرية المرأة بلا حدود وبلا شرائع، ومحاولتهم أن يلبسوا ذلك كله بثوب شرعي، وكل ذلك يقررونه حرباً للإسلام وعقائده، وشرائعه التي

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٢١٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٢.

دَعَوا إلى نسخها، (ونفاقاً للغرب كي يدعمهم و يفرد عليهم ثوب حمايته).

أما أساليبهم في الدعوة فهي الأساليب الباطنية نفسها التي رأيناها في الفرق الباطنية القديمة.

١- فهم يأتون كل واحد من أحب الأشياء إلى نفسه على طريقة الإسماعيلية مخفين حقيقتهم، وحقيقة شرائعهم الزائغة الضالة، فهم مع المسلم المتمسك مسلمون يصلون في المسجد معه، ومع المسيحي يطرون المسيح ويخشعون أمام الصليب، ومع اليهود يقرؤون التوراة والوصايا العشر، ومع الهنود يقدسون البقر، ومع المجوس يقدسون النار، ومع الشيوعي شيوعيون، ومع الرأسمالي رأسماليون، فهم مؤمنون وكفار ومنافقون في الوقت نفسه[1].

٢- ومن أساليبهم التي يقتضيها الأسلوب الآنف الذكر السرية، وإخفاء العقائد الحقيقية على الناس، لذا فقد اغترّ بهم في البداية كثير من الناس، ومن بينهم كثير من كبار المفكرين الإسلاميين، كالشيخ محمد عبده، ومحمد إقبال، وشكيب أرسلان، إلى أن ظهرت كتبهم وفضحت عقائدهم على لسان بعضهم بعد أن تناقلت أقوالهم وسائل الإعلام.

والخلاصة: إن أساليبهم في الدعوة هي أساليب الباطنية؛ لأنهم امتداد لها، وفرع من تلك الشجرة الدنسة، الممتدة جذورها في التاريخ، القائمة على الهدم والتقويض لكل ما هو خير؛ لأنها ما قامت إلا على أساس الحقد والثأر والتعصب المقيت لما كان عليه الضالون الأولون. ولئن استطاع هؤلاء - بأساليب الخداع والمكر والمراوغة والتستر والدخول على البسطاء من منافذ محببة - أن يحشدوا عدداً لا بأس به من الأتباع بداية، إلا أن الله لهم بالمرصاد، إذ كشف أمرهم فأصبحوا منبوذين في كثير من البلدان الإسلامية، وعاد كثير من أتباعهم وتابوا. ولا بد هنا من التنويه بتكرار ما قلناه سابقاً من أن هذه الفرق هي صيغ جديدة بلافتات براقة لكل الفرق التاريخية، فالعقائد نفسها، والأهداف ذاتها، والخدمة المقدمة للأعداء متطورة، ومن هنا يتجلى شرها وشرورها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٢٧ / ٢٢٨

السؤال السابع والخمسون: لا أريد أن أطيل الأسئلة عليك، فقد أصبح أمر هؤلاء واضحاً، وزيفهم وضلالهم ظاهراً لكل ذي عينين، لكنني أود لو أنك بينت لي إن كان لهؤلاء صلات وعلاقات مريبة، فإن أنت فعلت ذلك فمن عندك و من فضلك، ودَعَوْنا لك بالتوفيق؟

نعم .. نعم، و حباً وكرامة، فإن عندي ما تريد، وإليك بعضه.

١. مع الإنكليز و الروس:

لقد وضحت شيئاً عن هذه الصلة المريبة عندما تطرقت إلى تدخل الروس والإنكليز لإنقاذ البهاء من سجن الشاه في إيران.

كما وضحت حين الكلام عن ألقاب مؤسس هذا الدين الأول، الذي كان البهاء أحد أتباعه كيف أن هذا الرجل (الميرزا علي الشيرازي) الملقب بالباب كان وليد دسائس مترجم السفارة الروسية في إيران، المدعو (كيناز د الغوركي)، الذي كان جاسوساً للروس، يؤدي مهمة هي محاولة تقويض المجتمع الإيراني، وإشغاله بنفسه ليخلو لهم الجو في الهيمنة على القفقاس، والوصول إلى المياه الدافئة، فوجد ضالته بهذا التائه الأحمق، فدفعه لادعاء الألوهية، لينشغل المجتمع الإيراني بتفاهاته وزيغه، وقد بينا حينها اليد الإنكليزية الداعمة له بغية توظيفه في الهيمنة على إيران وبترولها، وإذن فكلتا القوتين دعمت صاحب الدين الجديد، و إن كان لكل واحدة منهما (هدف) خاص بها.

٢. مع اليهودية العالمية:

في النصوص التي أوردناها من كتاب الميرزا حسين البهاء (الأقدس)، تبين لنا كيف أنه يدعو إلى اليهودية وعودتها إلى فلسطين، وهذا ابنه وخليفته عبد البهاء عباس يقول: (وفي زمان ذلك العصر الممتاز، وفي تلك الدورة، سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة، وتكون فلسطين وطناً لهم)[1].

---

(١) المفاوضات، عبد البهاء، ص٥٩.

ذكرت دائرة معارف القرن العشرين أن أحد دعاة البهائية[1] فسّر نصاً من نصوص التوراة الذي يقول: (جاء الرب من سيناء، وأشرق على ساعير، وتلألأ جبل فاران)، فسره بما يأتي: (تدل هذه الآية دلالة واضحة على أنه لا بد أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات، ويظهر حتى يكمل بني إسرائيل وينتهي أمرهم إلى الرب الجليل، فيجمع شتيتهم من أقصى البلاد، ويدفع عنهم كل العباد، ويسكنهم الأرض المقدسة، ويرجع موازينهم القديمة)[2].

لقد احتضن الكيان الصهيوني المغتصب لفلسطين العربية الإسلامية دعوة البهائية، وأمدها مادياً ومعنوياً، وعقد لها مؤتمراً بهائياً عالمياً في القدس، بعد اغتصاب فلسطين، و كان ذلك المؤتمر عام ١٩٦٨م، ومما قيل فيه: (إن الحركتين اليهودية والبهائية، متممتان لبعضهما البعض، وتجتمعان في أكثر النقاط).

ولقد استقبل البهائيون الإنكليز عند دخولهم حيفا في الحرب العالمية الأولى استقبال الفاتحين، وأعلنوا الولاء التام لهم، مما حدا بالقائد الإنكليزي أن يخلع على عبد البهاء عباس أرفع النياشين، ونتيجة لضغوط الصهيونية العالمية والماسونية، فقد اعترفت الأمم المتحدة بالبهائية كمذهب عالمي[3].

إن التشابه الكبير بين أفكار الماسونية والبهائية والذي جئنا على ذكره آنفاً يدلك على النبع الواحد لهما.

وبعد أن ثبت في مصر وفي العراق بأن المحافل البهائية تقوم بالتجسس لدولة يهود، صدر في مصر عام ١٩٦٠م قرار بحل هذه المحافل، ومحاكمة بعض أتباعها وكذلك فعلت العراق. كما أن مكتب مقاطعة إسرائيل قرر إدراج اسم البهائية في القائمة السوداء؛ لثبوت صلة هذه الطائفة بالصهيونية. (وقد أكد ذلك في مصر مؤخراً برفض عدِّ البهائية ديناً يمت للإسلام بصلة).

كما أن مؤتمر المنظمات الإسلامية عام ١٣٩٣هـ، الذي مثل (١٥٠) مؤسسةً

---

(١) هذا الداعية هو أبو الفضائل الجرفادقاني.

(٢)دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ج١٤، ص٣٧٧.

(٣) المذاهب والأفكار المعاصرة، محمد الحسن، ص٢٠٧ / ٢٠٨.

إسلاميةً، وكان انعقاده في مكة المكرمة عدّ البهائية منظمة صهيونية غير إسلامية[1].

وتتوالى القرارات في العالم الإسلامي بعدّ هؤلاء البهائيين حركة غير إسلامية، و أنها تدين لليهودية العالمية؛ فقد تقرر ذلك في كل من: باكستان وإيران.

وها هم أتباع هذه الملة المارقة، ينتخبون (ميسوف) الصهيوني الأمريكي، ليكون زعيماً روحياً لجميع أفراد الطائفة في العالم، وذلك ليدللوا على صلتهم الوثيقة باليهودية العالمية[2].

وها هم علماء الأزهر ممثلين في جبهتهم يصدرون بياناً يقولون فيه: (ولقد تزلف البهائيون إلى اليهود، ومالؤوهم على العرب والمسلمين، وبشروهم بأن فلسطين ستكون وطناً قومياً لهم، وقال طاغيتهم عبد البهاء عباس: إنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود، ويجمعهم على نواميس موسى عليه والسلام، الذي يؤمنون به جميعاً، ومعنى ذلك أنه يريد تهويد المسلمين والنصارى، وجعل اليهودية هي الدين السائد في الأرض، وبذلك يكون السلطان في العالم كله لليهود وحدهم[3].

وها هو عبد البهاء نفسه يقول في أحد نوادي لندن مخاطباً الإنكليز: (إن مغناطيس حبكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة).

ويضيف: (إني عرفت الأمة الإنكليزية والذين قابلتهم هم أنفس طيبة يشتغلون للسلام والاتحاد).

ويقول: (أصبحت المدنية الغربية متقدمة عن الشرقية، وأصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين)[4].

وليس الذي تثيره حقيقة البهائية التاريخية كبيراً، بقدر ما تثيره الأفكار التي طرحوها وروجوا لها، حتى خدع بها العديدون، وراحوا يروجون لها، سواء أكان هؤلاء منتمون إلى هذه الفئة الضالة أم غير منتمين؛ فالدعوة إلى حرية المرأة المطلَقة، والدعوة إلى الحرية

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٨ / ٢٠٩.

(٢) البهائية والقاديانية، محمد حسن الأعظمي، ص٦٢.

(٣) حقيقة البابية والبهائية، محسن عبدالحميد، ص٢٣٨.

(٤) المرجع السابق، ص٢٤١ / ٢٤٢، نقلاً عن الخطابات من كتاب البهائية تاريخها وعقيدتها.

الشخصية في السلوك دون ضابط ولا رقيب، والدعوة إلى وحدة الأديان، وغير ذلك من الأفكار التي يحملها الكثيرون من رجال ونساء أمتنا الذين يدّعون التنوير، فهم يُعوّمون هذه الأفكار في واجهات الوسائل الدعائية والإعلامية، تحت شعارات براقة من مثل التقدم والتحضر والتنوير، ونبذ التقاليد البالية، وهي شعارات كما ترون مزخرفة ومبهرجة، وإن كانت تفوح بين جنباتها روائح الزيف والأهداف المشبوهة، التي يحملها الكثيرون ممن تلوثت نفوسهم بحمأة الجنس وفكر التضليل. ولا بد أنك لاحظت أوجه الشبه الكبيرة بين هذه الشعارات، وما رفعته البهائية والماسونية من لافتات. ومن قبل كانت الفرق الضالة تحمل مثل هذه الشعارات، ولكن بثوب قديم ملائم لمجتمعات ذلك الزمان.

وإذن، فالأمر جلل، ولا يمكن الاستهانة به، فيترك لعالم النسيان. إن عدونا يعمل ليل نهار، وعلى جميع المحاور، من أجل أن تسقط هذه الأمة في خضم نبذ القيم والانضباط، ومن أجل أن تقع في شباك الأفاكين من الدعاة على أبواب جهنم، وإلا فما الذي يدفع شخصاً ليتسمى باسم عربي إسلامي هو (فؤاد محمود إسماعيل)، في حين أنه إنكليزي الجنسية، يحترف التصوير، ويتزعم خلية من خلايا البهائية في مصر، ويقيم شبكة علاقات مع البهائيين خارج مصر[1]. هل يحدث ذلك صدفة دون مرجعيات وأهداف وخطط، أم أن وراء الأكمة ما وراءها من مبادرات، ومناورات، ودعوات لتمزيق الأمة، وتحطيم جدار المقاومة فيها، هذا الجدار المتمثل بالإسلام، وقيمه ومعتقداته.

لقد استخدم الإنكليز (عبد البهاء) وأتباعه أثناء اجتياحهم فلسطين والأردن كوسيلة ساعدت في القتال عملياً، كما ساعدت على قبول الناس للأمر الواقع، وذلك ببث أفكار التخذيل والقعود، من مثل النصوص التي أوردناها، وهي ثابتة عن البهاء وابنه.

وها هم الصهيونيون والغربيون اليوم، يستعملون كثيراً من الكتّاب والمفكرين، من الذين صنعوا لهم قامات من أجل بث الأفكار نفسها، ونقلها بشكل أو بآخر إلى أسماع

---

(١) جريدة الأخبار القاهرة ١٦/ ٣ / ١٩٧٢م.

الناس وأبصارهم، فهم يركزون عليها ليل نهار وبكل الوسائل، من أجل أن تصبح غذاءً، وجزءاً لا يتجزأ من عقولهم وتركيبة نفوسهم، وسواء أعلم هؤلاء بحقيقة ما يُدعون إليه وتأثيره، أم لم يعلموا، فإن النفخ ماض، ولكن الله غالب على أمره، ولن يترك دينه وحاملي عقيدته نهباً لعبيد الأفكار الضالة.

المبحث السادس: القاديانية

السؤال الثامن والخمسون: من أين أتى هذا الاسم؟

جاءت هذه النسبة من اسم قرية (قاديان) في البنجاب (باكستان) مسقط رأس مؤسس الحركة الميرزا غلام أحمد ١٨٣٩م، حيث نشأ وترعرع ودعا إلى نحلته في هذه القرية، لذا سماها المسلمون (القاديانية) أما أتباعه فيسمونها (الأحمدية) نسبة إلى اسم مؤسس الحركة (غلام أحمد)[1].

السؤال التاسع والخمسون: من هو الميرزا أحمد القادياني؟ عرّفنا به جزاك الله خيراً .
- حالاً.

هو غلام أحمد بن مرتضى بن عطاء محمد القادياني، نسبة إلى قاديان، القرية الباكستانية البنجابية، والده من الذين لهم ارتباطات مع الإنجليز في الهند، إذ يقول غلام أحمد بلسانه: (إن والدي الميرزا غلام مرتضى كان من الذين شرّفهم حاكم المقاطعة بتخصيص مقعد لهم في قصره خلال المناسبات الرسمية، وكان والدي من الموالين المخلصين للحكومة الإنكليزية)[2].

ولد غلام أحمد في مدينة (قاديان) الباكستانية، ضمن مقاطعة البنجاب عام ١٨٣٩م، وأصل أسرته - كما ذكر هو - من سمرقند، ثم ارتحلت إلى قاديان في الهند واستوطنت فيها[3].

تعلم اللغة العربية في العاشرة من عمره، وقبل ذلك كان يقرأ القرآن، وبعض الكتب الفارسية، ثم لما كان في سن السابعة عشرة تلقى علوماً في النحو و المنطق والفلسفة، وبعدها درس بعض كتب الطب على أبيه، وكان له حبٌّ ومَيْلٌ للاطلاع على

---

(١)القاديانية، أبو الأعلى المودودي، ص١٩. والمذاهب والأفكار المعاصرة، محمد الحسن، ص٣١١.

(٢) أضواء على الحركات الهدامة، الندوي، والمودودي، ومحمد الخضرحسين، ص٥٩ ، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. محمد الخطيب، ص٣٧٥.

(٣) المرجعان السابقان، الصفحات نفسها.

كتب العلوم الدينية، فأكثر من مطالعتها بلا معلم. وبالخلاصة فإن ثقافته العامة جيدة[(١)].

اشتغل بوظيفة كاتب في المحكمة الابتدائية الإنكليزية في مدينة سيالكوت براتب بسيط عندما كان عمره (٢٥) عاماً، ما بين عام (١٨٦٤ – ١٨٦٨) ومن هنا جاء تعلمه للإنكليزية.

ادّعى النبوة، وأنه يتلقى من الله الإلهام عام ١٨٧٦، بعد موت والده، وكان مصاباً بأمراض كثيرة، منها: الهستريا، والقطرب، والماليخوليا، وهي نوع من القطرب، الذي هو نوع من الجنون، يديم الهم، ويغير السحنة، ويجعل صاحبه يهيم ليلاً. وذكر هو أيضاً أنه كان مصاباً بالسل في حياة والده، كما كان مصاباً بدوار دائم، وسلس البول المزمن، كما أنه كان معروفاً بضعف الأعصاب وسوء الذاكرة، وكل ذلك باعترافه عن نفسه، وقد وافته المنية في ٢٦ أيار ١٩٠٨م[(٢)].

السؤال الستون: إلى ماذا دعا الميرزا غلام أحمد القادياني؟

خلاصة القول فيما دعا إليه هذا المارق نسوقها في القائمة الآتية:

١- مراحل ادعائه النبوة:

أ- من ١٨٨٠م – ١٨٨٨م كان داعية إلى الإسلام مدافعاً عنه في الظاهر، وعلى طريقة الباطنيين كان يخفي خبثه، لذا كان المسلمون حذرين من أقواله وكتاباته، خوفاً من أن تكون مبطنة بعقائد منافية لدين الإسلام، وكان يكتفي حتى ذلك التاريخ بالادعاء أنه أفضل أولياء الأمة، وكان عندما يُكتشف شيء من بواطنه، يسرع إلى تأويل أقواله[(٣)]، وقد ادّعى قبل ذلك، أي منذ عام ١٨٧٦م أنه ملهم من الله.

ب- وفي كانون الأول ١٨٨٨م، دعا المسلمين إلى إعطائه البيعة، وفي بداية ١٨٨٩م، بدأ يأخذها منهم، على أنه: **مجدد العصر، وملهم من الله، وأنه مماثل للمسيح**[(٤)].

---

(١) أضواء على الحركات الهدامة، رسالة محمد الخضر حسين تحت بعنوان: طائفة القاديانية.

(٢) القاديانية، أبو الأعلى المودودي، (ص١٦ – ٢٠).

(٣) المرجع السابق، ص٢٢، نقلاً عن سيرة المهدي لابنه بشير الدين أحمد، ج ١، ص١٤ / ٣١ / ٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص٢٢.

ج- ومنذ عام ١٨٩١ بدأ يدعي أنه المسيح والمهدي، فقال: «تواتر عليّ الإلهام بأنك أنت المسيح الموعود»[1]. ثم في عام ١٩٠٠م، أصبح أتباعه يلقبونه بالنبي، ويعاملونه على هذا الأساس، إلا أنه اكتفى بتأييد أقوالهم، وتأويلها على أنها نبوة جزئية غير كاملة، ولم يقل هو بلسانه أنه نبي كامل. وبعد ١٩٠١م، ادّعى النبوة الكاملة، ولم يعد يذكر النبوة الجزئية، ثم في عام ١٩٠٤م ادّعى أنه (كرشن) معبود هندوكي[2].

وبناء على ما تقدم، فإن أخطر ما قال به القاديانيون: نبوة ميرزا غلام أحمد، بحيث دخل هذا الدجال مع قائمة الأدعياء من مثل مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث بن سويد النصرانية، وعبهلة بن كعب بن غوث المشهور بالأسود العنسي، وبيان بن سمعان التميمي صاحب الفرقة البيانية الضالة، والمغيرة بن سعيد العجلي، وغيرهم من الكذابين المارقين الذين أهلكهم الله، وآلت أكاذيبهم إلى مزابل التاريخ، وهم محشورون مع إبليس وفرقته يوم الدين والله أعلم.

وأما الفكرة الأخرى الخطرة، التي ركز عليها القاديانيون، وكانت في الأساس سبباً لوجودهم ودعوتهم، هي نسخ الجهاد بمعناه القتالي، وتأويله بالإقناع والحوار.

السؤال الواحد والستون: كيف شرح القاديانيون عقيدتهم، وكيف تحركوا من أجلها؟

إن سلسلة الضلال طويلة، فهذا فرعون يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨] وهذا النمرود يقول: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وإبليس اللعين نشيط في عملية الإغواء وإيقاع الناس في شر أفكارهم، والاغترار بادعاء العظمة، وطرح الأفكار الإبليسية، وإضفاء هالة من القداسة عليها، أو إحاطتها بمجموعة من الشعارات البراقة؛ من مثل: التقدمية، والحضارية، والعصرية «الحداثية»، وهي الشعارات الي امتلأت بها أيامنا الحاضرة. وبطبيعة الحال فإن لكل مقام مقال، ولكل زمان ما يناسبه من لبوس وشكليات، ولكن تبقى المضامين واحدة، تختفي

(١) المرجع السابق، ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص٢٤.

وراء شعار معين في العصر الماضي يناسب ذلك العصر، وهي تلبس لبوساً مناسباً لعصرنا الحاضر التائه، الذي يزدحم بأسواق الأفكار التائهة.

ويوم قامت الفرقة القاديانية كانت المجتمعات الإسلامية ما تزال تضع الـدين في أول قائمة الاهتمام، لذا فإن الفرقة لبست لبوس القداسة، وتأولت تأويلات لا تخرج عن هذا اللبوس، من أجل إقناع البسطاء السذج بأفكارها ومعتقداتها.

فمن أجل تأويل ادعائه النبوة، شرح الميرزا الفكرة، وعرضها على مراحـل، وذلـك لكي يخفف من غضب الناس، و استهجانهم إذا ادعاها دفعة واحدة، فقـال: (نحـن أيـضاً نلعن مدعي النبوة، ونقول بلا إله إلا الله، محمد رسـول الله، ونـؤمن بختم نبـوة محمـد - ﷺ-، ولا نقول بوحي النبوة، ولكن نقول بوحي الولاية، الـذي يتلقـاه الأوليـاء في ظـل النبوة المحمدية)[1].

هكذا كانت البداية مخففة، ولكنها ممهدة، تـدخل علـى الأسمـاع والأذهـان بتـؤدة، وتتسرب إلى النفوس تسللاً، دون أن تحدث ضجة وضوضاء، وهي الطريقـة نفـسها الـتي سار عليها الباطنيون، على مدى تسلسلهم في التاريخ كله.

- ثم خطا خطوة أخرى حذرة، فقال: (بعد أن بيّن أنه لا يجوز أن يأتي نبي جديـد أو قديم بعد محمد ﷺ: (والقرآن مانع من ظهور مثـل هـؤلاء الأنبيـاء، ولكـن الله إذا شاء خاطب أحداً بكلمة النبي أو الرسول، بمقتضى المعاني المجازية)[2].
- وانتقل بعد ذلك إلى الادعاء بأن الله يكلمه: (وإني ما قلت للناس سوى ما كتبـت في كتبي أي أني مُحدَث، وأن الله يكلمني كما يكلم المحدثين)[3]، ثـم شـرح معنـى المحدث، فقال: (والمحدث من المرسلين أحد أفراد الأمة ونبي بصفة ناقصة)[4].
- وأخيراً تلفظ بها وادعاها حينما قال: (ثم نزل علـي وحـي الله كـالمطر فيمـا بعـد،

(١) القاديانية، أبو الأعلى المودودي، ص٢٧، نقلاً عن نشرة للميرزا غلام أحمد جاءت في كتـاب تبليـغ الرسالة، ج٦، ص٣٠٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨، نقلاً عن السراج المنير للميرزا غلام أحمد، ص٣٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩، نقلاً عن حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد، حمامة البشرى، ص٩٦.

(٤) المرجع السابق، ص٢٩، نقلاً عن إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد، إزالة الأوهام، ص٥٦٩.

وخاطبني بالنبي مخاطبة صريحة، ولكني نبي من جهة، وأُمّيٌّ من جهة أخرى)[1].

(وأنا بموجب الآية: «وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم»، خاتم النبيين نفسه على وجه التجسد، والله تعالى قد سماني بمحمد وأحمد في البراهين الأحمدية قبل عشرين سنة، وما جعلني إلا جسد محمد ﷺ نفسه)[2].

(والله تعالى قد خصني لأنال في هذه الأمة اسم النبي، ولا يستحق أن ينال هذا الاسم أحد غيري)[3].

ولقد ذهبت القاديانية إلى التأويل، ليوفقوا بين ختم النبوة بالرسول الكريم محمد - ﷺ-، وبين ادعاء هذا المارق بأنه نبي، فقالوا بأن المقصود بالختم أن لا يأتي نبي من غير الأمة الإسلامية.

- وقالوا بأن المقصود بالختم: الخاتم الذي تطبع فيه أية نبوة جديدة، وليس نهاية النبوات، أي أن أي نبوة جديدة يجب أن تُمهر بخاتم نبوة محمد - ﷺ -.

- وبما أنه ادعى أنه المسيح، وبما أن الرسول ﷺ بشر بعودة المسيح عليه السلام، إذن فهو نبي بما أنه المسيح، وليس في ذلك مخالفة لنص ختم النبوة.

ثم كان من محاولاتهم التلفيقية قولهم: إن الميرزا ليس نبياً جديداً، و إنما هو صورة محمد ﷺ، فهو يتجسد فيه، ونبوته ممتدة إلى محمد ﷺ، وليست نبوة جديدة، تطالها مخالفة النص، إلى غير ذلك من الترهات والخرافات المتهافتة.

وقد رتب الميرزا غلام أحمد بناءً على كل ذلك: أنه وأتباعه أمة مستقلة، هو نبيهم، وكتبه وأقواله (كتابهم) المنزّل، وهو صاحب الشريعة والأمر والنهي، كما رتب على عدم الإيمان به بداية عقوبة إلى حد ما، ثم أصبحوا يقولون عمن ينكر دعوى الميرزا غلام أحمد: إنه ضال منحرف عن جادة الصواب، وليس عديم الإيمان، ثم استقر أمرهم في هذا الموضوع على عَدّ كل رجل لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفاً لك هو عاصٍ

---

(١) المرجع السابق، ص٣١، نقلاً عن حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد، حقيقة الوحي، ص١٤٩.

(٢) القاديانية أبو الأعلى المودودي ، ص (٣٣ - ٤٥)، نقلاً عن كتب القاديانية نفسها مثل: تبليغ الرسالة على هامش إزالة الأوهام.

(٣) القاديانية، أبو الأعلى المودودي، ص٣٢ ، نقلاً عن إزالة الخطأ لميرزا غلام أحمد، إزالة الخطأ.

لله والرسول، وهو من أصحاب النار)، (وكل المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون من دائرة الإسلام، ولو كانوا لم يسمعوا بالمسيح الموعود)[1].

ولقد ألف ميرزا غلام أحمد كتاباً، أضفى عليه القداسة، وعدّه كتاب الملة الذي أوحي إليه من عند الله، فهو ينسخ القرآن، إذ قال: إنه ليس من قرآن سوى القرآن الذي جاء به المسيح الموعود[2] يعني نفسه، وهذا الكتاب هو (الكتاب المبين) مؤلف من عشرين جزءاً كل إلهام من الإلهامات المدعاة آية.

أما عرضهم وشرحهم لعقيدتهم في الجهاد، فقد كانت على شكل تعاليم، تنسخ هذا الركن، وتلغيه من عقيدة المسلم، وذلك ما أراده الإنكليز الذين وجدوا أن وسائل الاقناع المنطقية الحوارية مع الناس بالامتناع عن مقاتلتهم، ومناجزتهم غير مجدية، فلجؤوا إلى الميرزا غلام أحمد ليجمع الناس حول عقيدة جديدة تفرق كلمة المسلمين، وتذهب بهم بعيداً عن معاني الجهاد ورفض الذل والطغيان، ولا أريد أن أطيل في نقل النصوص من كتب هؤلاء للبرهنة على هذا الاتجاه عندهم، فهو واضح وواضح جداً في كتبهم ومقالاتهم وتفاسيرهم وشروحهم، ويكفي أن أنقل نصاً واحداً قاله (غلام أحمد) في كتابه (ترياق القلوب ص١٥)، لتعرف إلى أي مدى سيطرت فكرة (نسخ الجهاد) على عقائد هؤلاء الضالين.

قال الميرزا غلام أحمد في كتابه المذكور آنفاً: (لقد سلخت قسماً كبيراً من عمري في تأييد الحكومة الإنكليزية ومساعدتها، ولقد كتبت في منع الجهاد ووجوب طاعة الإنكليز من الكتب والرسائل ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة، ولقد نشرت هذه الكتب في البلاد العربية، ومصر والشام والهند وكابل).

ومن أجل التوضيح والتأكيد سوف أنقل نصين آخرين في هذا الاتجاه:

١- (من ديني الذي أنا أبديه للناس مرة بعد أخرى أن الإسلام منقسم إلى قسمين: الأول: نطيع الله تعالى، والثاني: أن نطيع الحكومة، التي بسطت الأمن، وأظلتنا

(١) المرجع السابق، ص٣٢، نقلاً عن: حقيقة الوحي، للميرزا غلام أحمد، حقيقة الوحي، ص٣٩١.

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة، محمد الحسن، ص٣١٣، نقلاً عن :جريدة الفضل عدد ١٥ تموز ١٩٢٤.

بظلها، حمتنا من أيدي الظالمين، وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية)[1].

٢- (وإني لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من أتباعي بقدر ما يقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس، فإن مجرد الإيمان بي كالمسيح والمهدي هو إنكار للجهاد)[2].

السؤال الثاني والستون: هل لك أن تذكرنا بأهداف هذه الحملة الباطنية الجديدة؟

- حباً وكرامة.

إنني كما قلت في مبحث سابق، فإن قيام حركة ونحلة جديدة ذات أهداف هدّامة، لا بد أن يتوفر لها الشخص القابل للتبعية، الطامح إلى الظهور والزعامة، ولا بد من اليد الخفية الدافعة صاحبة الأطماع والمآرب المريبة، فإذا وضح لنا هذان العنصران، استطعنا معرفة الأهداف التي قامت هذه الحركة من أجلها.

١- أما الطموح والتطلع إلى الزعامة والرياسة، فقد وجدت في شخص الميرزا غلام أحمد، وإن نظرة نلقيها على بعض النصوص الواردة في كتاباته لكفيلة بأن تظهر لنا أهدافه وطموحاته فلنستمع إلى بعضها ونتأمل:

- (ذكرت مراراً أن هذا الكلام الذي أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين، كالقرآن والتوراة، وأنا نبي ظلي وبروزي من أنبياء الله، وتجب على كل مسلم إطاعتي، وكل من بلغته دعوتي فلم يُحكمني، ولم يؤمن بأني المسيح الموعود، ولم يؤمن بأن الوحي الذي ينزل علي من الله مسؤول ومحاسب من السماء)[3].

- لقد أعطيت نصيباً من جميع الحوادث والصفات التي كانت لجميع الأنبياء، سواء أكانوا من بني إسرائيل أم من بني إسماعيل، وما من نبي إلا وأوتيت قسطاً من أحواله)[4].

هل لاحظت التطلع والطموح الشاذ: (وتجب على كل مسلم إطاعتي)، ومن لم

---

(١) القاديانية، أبو الأعلى المودودي، ص٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص٩٦.

(٣) العقائد الباطنية، د. صابر طعيمة، ص٣٨٧ / ٣٨٨، نقلاً عن: تحفة الندوة، ص٤.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩١، نقلاً عن: من كمالات إسلام، ص٨٩.

يحكمني محاسب من السماء وما من نبي إلا أوتيت قسطاً من أحواله ..!

إذن فهو كما قال أستاذنا الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي في رسالته (القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام):

(وكان طموحاً إلى أن يؤسس ديانة جديدة، ويكون له أتباع ومؤمنون، ويكون له مجد واسم في التاريخ مثل ما كان للنبي ﷺ).

٢- وأما العنصر الثاني الذي هو اليد الخفية صاحبة المطامع، فقد توفر ذلك بعد احتلال الإنكليز لشبه القارة الهندية، وإزالة دولة الإسلام منها، و لمّا عانت الدولة المستعمرة من مقاومة المسلمين، الذين دفعهم الإسلام دفعاً إلى رفض الخضوع ورفض الظلم والاحتلال ومن ضربات حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، التي ألهبت روح الجهاد والتضحية، وجمعت المسلمين في حركة مقاومة فذة للاستعمار الإنكليزي، تحت راية العقيدة الإسلامية، اقتنع الإنكليز بأن الإسلام محرك عظيم للمسلمين، فراحوا يبحثون عن رجل يبرز باسم الإسلام، فيجمع حوله الجموع، وفي الوقت نفسه يخدم سياسة الدولة المستعمرة، بأن يفرق كلمة المسلمين، ويخمد جذوة المقاومة فيهم، فوجدوا في «ميرزا غلام أحمد» ضالتهم؛ رجل طموح، مضطرب الأفكار والعقيدة، ساع إلى المجد والشهرة والسمعة بأي ثمن، وقد أثمر توظيفه من قبل الإنجليز ديناً ضالاً منحرفاً، يسعى لتحقيق هدفين:

الأول: دخول اسم الميرزا التاريخ من باب الادعاء والانحراف وطرح الأفكار المارقة وهو هدف شخصي للميرزا غلام أحمد.

الثاني: تخذيل المسلمين وتفريق صفهم، ونسخ الجهاد من عقائدهم، وهذه أهداف هامة لدولة الإنكليز المستعمرة.

وها هو يقول في ملحق كتابه «شهادة القرآن» الطبعة السادسة - ص[١٠].

(لقد ظللت منذ حداثة سني، وقد ناهزت اليوم الستين - أجاهد بلساني وقلمي، لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنكليزية، والنصح لها والعطف عليها، ولأنفي فكرة الجهاد، التي يدين بها بعض جهالهم؛ لأنها تمنعهم من الإخلاص لهذه

الحكومة)[1].

السؤال الثالث والستون: ألا تذكر لنا شيئاً عن السيرة العملية للميرزا غلام أحمد على طريق تحقيق الأهداف؟

إن الناظر في حقيقة هذه الدعوة الهدامة، يجد أمراً عجيباً، وهو كيف أن حركة كهذه تنتشر ويصبح لها أتباع ومريدون، مع أنها لم تعرض أفكاراً منطقية أو مقبولة عقلياً، ولا عرضت حلولاً معقولة لحاجات الناس ومشاكلهم، ولا هي جاءت بنظريات اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية فذة، انبهر الناس بها، فاتبعوا من أجلها صاحب الدعوة، وآمنوا بأفكاره، فأصبحوا دعاة لها.

لا أبداً لم يأت الميرزا غلام أحمد القادياني بشيء من هذا، بل على العكس من ذلك جاء بأفكار هزيلة تافهة خرافية، لا بل إنه من الصعب أن نسمي ما جاء به من هرطقات وخزعبلات أفكاراً، إنها مجرد تهويمات نفس مريضة شاذة مهووسة بالعظمة والمجد ودخول التاريخ؛ لذلك فإن الباحث المحقق يجب أن يفتش عن سبب أو أسباب أخرى يكمن وراءها انتشار هذه الدعوة وإيمان البعض بها، فأين نجد هذه الأسباب يا ترى؟ وكيف كان العمل لتوظيفها؟

إن الميرزا غلام أحمد في سبيل الوصول إلى أهدافه عمل ما يلي:

١. استغل فرصة الجهل العام بالإسلام الذي ينتشر بين الجماهير في الهند.

٢. استغل ظروف العالم الإسلامي السياسية، من انقسام وفرقة وحروب ومناجزة بين أجزائه، وتداعي القوى العالمية من صليبية وصهيونية وشيوعية عليه، لاقتسامه ونهب ثرواته الطائلة، وتصفية الحساب مع عقيدته الإسلامية، التي طالما وقفت على مرِّ الزمان جداراً قوياً ثابتاً في وجه كل طامع حاقد.

٣. استغل ظروف الناس الاقتصادية، لتنشيط عملية شراء الضمائر بالأموال التي أغدقها الإنكليز عليه.

---

(١) أضواء على الحركات الهدامة، (رسالة أبي الحسن الندوي، القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام)، ص٥.

٤. استمال الطامحين والطامعين من ذوي التطلعات، مضطربي الأفكار والعقائد إلى صف هذه الطائفة المارقة.

٥. أمَّنَ الدعم والرعاية، بل وهَيَّأ الظروف المناسبة لبث هرطقاته، وفَتَحَ الطريق أمامها، وسَهَّل تسريبها وذلك من خلال إغداق الإنكليز الخيرات والأموال عليها، ورفع مقامات المنتمين إليها.

٦. استعمل التنظيم الحركي في مسيرته لتحقيق أهدافه.

٧. كوّن إمارة في البنجاب سماها الربوة، كانت كأنها دولة مستقلة، لا يعمل في وظائفها وأعمالها وإدارتها إلا قادياني، وفسّر قول الله تعالى: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] بهذه الربوة. وكانت هذه الربوة تبدو كأنها مركز لوكالة إنكليزية، تتصرف وتنشئ وتغدق الأموال يميناً وشمالاً، مما ينعم به الإنكليز على الميرزا. وتعد العدة وتجمع الجمع، وتبعث بالدعاة إلى كل أرض يحكمها الإنكليز، ليبشروا بنسخ الجهاد، ومطاوعة أولي الأمر ومهادنة المستعمرين، وقد قتل بعض هؤلاء في كابل، عندما كُشف أمرهم، وعُلم أنهم جواسيس إنكليز بشكل دعاة، ومنهم: عبد اللطيف القادياني، والملا عبد الحليم القادياني، والملا نور علي القادياني(١).

٨. فتح المدارس لتعليم نحلته وتخريج الدعاة لها.

٩. ساعد ظفر الله خان وزير خارجية باكستان، الذي فرضه الإنكليز على محمد علي جناح، في أول حكومة باكستانية، بعد انفصالها عن الهند، ساعد وهو القادياني على تعبئة الوزارة بالقاديانيين، ونشر فلولهم في أنحاء العالم.

١٠. استعمل وسائل النشر المختلفة لبث أفكاره ومعتقداته، بل كان القاديانيون من أنشط الدعاة في هذا المجال، فقد أنشأوا صحيفة الفضل، ونشروا الكتب، والرسائل، والبيانات، والإعلانات بالآلاف، وطرحوها بغزارة على ساحات العالم الإسلامي، ساعدهم في ذلك المال الوفير المغدق من أولي نعمتهم، وتسهيل إنجاز الطباعة والنشر بمساعدة الإنكليز.

---

(١) المرجع السابق، ص٨ .

السؤال الرابع والستون: ما الذي حققه هؤلاء على أرض الواقع؟

إن الذي يدعونا إلى دراسة هذه النحلة الهدامة ليس كونها حلقة في سلسلة تاريخية من الدعوات الباطنية الهدامة وحسب، لا بل إن ما يدعونا إلى هذه الدراسة إلى جانب هذا السبب هو دعوة المسلمين إلى الوعي والحذر، وعدم الاستخفاف بحركات كهذه، خصوصاً أنهم يرون ما تحققه من دمار جزئي أو كبير على أرض الواقع. وإنه من الواجب على المسلمين أن لا يكونوا سلبيين تجاه كل عملية هدم ينشئها الأعداء، بل يجب أن يكونوا إيجابيين، وينشئوا من الحركات والمؤسسات ما يجابه هذه الفرق المارقة، بحركة مكافئة وأدوات وأساليب فائقة. إن الذي حققته هذه الفرقة الهدامة، الخارجة عن الإسلام ونبيه وتعاليمه، كثير عليها، إذا ما قيس بتفاهة أفكارها و هرطقة مقولاتها و انحطاط ادعاءاتها ووضوح ضلالتها. فما الذي أنجزته على أرض الواقع الإسلامي رغم كل ذلك الضلال الذي احتوته؟

١. محاولة تمزيق وحدة المسلمين بإيجاد جيوب مارقة داخل مجتمعاتهم، وهذا ما يفسر إصرار هذه الفرقة على اعتبار نفسها فرقة مسلمة، لتستطيع متابعة عملية التمزيق من داخل الصف.
٢. تركت بعض الآثار الاجتماعية الصعبة، في موضوعات الزواج والطلاق وعلاقات التعامل، وبذلك فتحت أبواب اشتباكات ومنازعات بين المسلمين، وهنا نضرب مثلاً واحداً على ذلك، يكمن بحالة امرأة مسلمة تتزوج برجل على أنه مسلم، وبعد الزواج يتبين لها أنه قادياني، فتثور المشاكل بين عائلة الزوجة وهذا القادياني ومن معه، وتقوم المشاكل في المحاكم، ويدور النقاش، ويثور البحث، وتصبح المحاكم والأحياء أمكنة للجدل والمماراة حول أفكار هؤلاء ونتائجها، وينام الناس ويقومون على مثل هذا، وتنسى هموم الوطن المغتصب، ويستمتع المستعمر الإنكليزي بالتفرج على هذه المعركة الدائرة، وينتفخ الميرزا وأتباعه؛ لأنهم أصبحوا حديث الناس ومثاراً للجدل، وأصبحت أفكارهم تسري وتتداول بين الناس.
٣. بدعم من الإنكليز، تسلم القاديانيون المناصب الهامة والوظائف الرفيعة في المجالات المدنية والعسكرية في الهند، وذلك في زمن الاحتلال الإنكليزي وفي عهد الحكومة

الوطنية التي جاءت بعد الإنكليز، ولا أدل على ذلك من تسلم ظفر الله خان وهو أحد أدعياء القاديانية منصب وزير الخارجية في أول حكومة باكستانية مستقلة، كما أن كثيراً من ضباطهم كانوا يتسلمون مهمات عسكرية عالية في الجيش والمخابرات والدوائر العسكرية الأخرى، مما أتاح لهم بث أفكارهم وحماية أنفسهم من غضبة المسلمين، كما فتح لهم الطريق لتكثير سوادهم، وإيصال عقيدتهم إلى البلاد الأخرى، وإنشاء مراكزهم بحرية، و أوضح دليل على سعة نفوذ هؤلاء أن علماء المسلمين الذين يمثلون جميع المذاهب الإسلامية في باكستان اجتمعوا في كراتشي عام ١٩٥٣م، وناقشوا الواقع السائد، ودرسوا المسألة القاديانية، وقرروا مطالبة الحكومة بأن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة، كبقية الأقليات غير الإسلامية، وأن تخصص لهم بعض المقاعد في مجلس النواب حسب عددهم، غير أن هذا الطلب لم يؤبه له، ولم ينظر فيه، ولم ينفذ، بسبب نفوذ القاديانيين الواسع، وظل الخطب يتنامى والنفوس تغلي، إلى أن ولدت حركة عنيفة عام ١٩٥٣م، قام بها المسلمون يطلبون إسقاط ظفر الله خان، وأن تُصنف القاديانية كأقلية غير إسلامية، وكانت ثورة عارمة، قلما شهدت باكستان مثلها، كما أن آثارها كانت شديدة، ورغم ذلك فإن الحكومة تمادت في غيها تحت ضغط النفوذ القادياني، وأعلنت الأحكام العرفية، وشكلت محاكم أصدرت أحكاماً شديدة ضد زعماء المسلمين، ومنهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي.

٤. فتحوا مراكز لهم في جميع البلاد، وبثوا الدعاة إلى دينهم في كل مكان، في إفريقيا وأوروبا وأمريكا والبلاد العربية والإسلامية، وعلى الأخص في البلاد التي كانت تحت السيطرة البريطانية.

وقد جعلوا مركزهم الرئيسي للبلاد العربية في فلسطين أيام الانتداب البريطاني، ثم استمر بعد الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وقد لاقوا في ظل دولة يهود كل رعاية وترحيب وحضانة، ومركزهم الآن في حيفا على جبل الكرمل، ولهم صحيفة وأتباع ودعاة، ينطلقون من هناك بكل حرية، ويجدون كل دعم من يهود، ومكتبهم على جبل الكرمل يقوم بنشاطات واسعة بين صفوف المسلمين، الذين لم يهاجروا من أجل إقناعهم

بديانة الأحمدية، وإلغاء الجهاد ومهادنة الحاكم الصهيوني.

إن خطورة هؤلاء المارقين، تأتي من أنهم لا يبدأون دعوتهم مع الناس بعرض مبادئهم وعقائدهم الحقيقية، بل يبدأون القول بأنهم مسلمون مجددون، يبغون الإصلاح، من أجل رفع مستوى المسلمين، فإذا اطمأن الضحية إلى أقوالهم ودعمهم ومساعدتهم وخدماتهم التي يقدمونها، تبدأ عملية زرع الأفكار الضالة، ولقد آمن بهم الكثيرون في أوروبا وأمريكا وإفريقيا ودخلوا في ملتهم وعلى ضلالاتهم.

أرأيت مدى خطورة هؤلاء.. ؟!

- إنهم أوجدوا بلبلة حقيقية في صف المسلمين - ولو مؤقتاً - عندما دعوا إلى طائفة جديدة، خرجت من الإسلام، وقد استطاعوا على مستوى الباكستان والهند أن يوجدوا لهم حضوراً بارزاً، أما على المستوى العالمي فهم يكافحون بجد ونشاط، من أجل نشر دينهم وضلالهم، وهم بذلك يكسبون مواقع جديدة.

- إنهم يزيدون في بلبلة الأفكار، ويثيرون التساؤلات المشبوهة حول الإسلام وعقائده، مما يُكوّن ارتباكاً وحيرة في صفوف المدعوين، وصعوبة في عمل الدعاة المسلمين.

- إنهم يهيئون دائماً خائناً من العامة، ممن يخنعون ويذلون ويقبلون بكل ناعق شرط أن يكون متنفذاً، من أجل كسب وده ونيل رضاه، وهم بذلك يخلخلون وحدة المسلمين وتماسكهم، أينما وجدوا أرضاً تقبل دعوتهم. وليس هذا وحسب، بل إنهم يتبنون باسم الإسلام أفكاراً هرطقية متخلفة، ونتيجة لذلك كله فهم يشوشون أفكار المدعوين، ويؤخرون كثيراً في عملية الدعوة إلى الإسلام، مع أن حقيقة حركتهم ليست إلا أداة من أدوات الأعداء، غايتها محاربة الإسلام محلياً وعالمياً.

ولقد ألمحنا سابقاً إلي شيء من جذور هؤلاء العقائدية والفكرية، وكيف أن دعوتهم إلى نبي جديد، واعتقادهم بتجلي الرسل في صور متعددة، وأن الرسول - ﷺ- قد تجلى في الميرزا من جديد، وأن شريعة هذا المتنبئ الكذاب نسخت الجهاد، وكيف أنهم تأولوا الآيات القرآنية، وقالوا بالباطن والظاهر لهذه الآيات، وبخاصة فيما يتعلق بآيات الجهاد، وذلك حتى يبقوا متمسكين بادعائهم الانتماء إلى الإسلام، و أنهم لم

يخرجوا من الملة.

أقول: ألمحنا سابقاً إلى ذلك في ثنايا السطور، ولكننا هنا وبمناسبة الإجابة على مدى الأثر الذي تركوه على أرض الواقع، نرى أنفسنا مضطرين إلى إعادة كل هذه العقائد إلى جذورها، وربطها بما يشبهها، لكي يتبين أن سلسلة هذه الدعوات الهدامة لم تنقطع حلقاتها طوال الأربعة عشر قرناً التي دخل فيها الإسلام إلى عقول الناس وقلوبهم، وملك عليهم جوارحهم وحركاتهم، وأن هذه الحلقة هي من تلك السلسلة المترابطة، الآخذ بعضها بعناق البعض الآخر، ولكي يتبين للقارئ الكريم أن كلامنا هذا الذي نقوله في هذه الفرق ليس عبثاً، وليس ضرباً من التجديف في نهر جف وانقطع ماؤه منذ زمن بعيد كما يُظن! نقول:

إن عمل الباطنية في سبيل تحطيم الإسلام وعقائده ودولته وشعوبه، لم ينقطع لحظة واحدة عن تجديد حلقاته وتفعيلها، بصورة مستورة أو بصورة علنية، في هذه الصيغة والشكل من العمل أم في تلك التي يمكن أن تظهر فيما بعد، وهي كلها - في ظنهم- تخدم التجديد المستمر لأهداف الباطنية الهدامة. إن عمل الصهيونية العالمية والصليبية، وظهور قوىً أخرى على ساحتنا في عصرنا الحاضر من شيوعية ووجودية وغيرها، هي على ما نعتقد تطور في أشكال عملية الدفع الخفية لهذه الحركات الهدامة، وذلك من أجل التمويه، وتزيين عملية القبول والإقبال عند المسلمين. وحقيقة عقائد هؤلاء تمثل نبتاً جديداً، قام على جذور الباطنية القديمة المتسلسلة ومتح من مائها الآسن، وإن بدت المفارقة في الشكل والعرض بعيدة بينهما، وكما قلنا: فمن سعيد بن بيان أخذ الميرزا ادعاء النبوة، فكان آخر الحلقات في هذه السلسلة من الادعاءات التي لن تنقطع، أما ادعاؤه أنه الموعود، وأنه المهدي، وأنه الناسخ، وأنه محمد المتجلي في صورة ميرزا غلام أحمد، فالقارئ الكريم بفطنته اللماحة يستطيع تجذير كل الهرطقات التي جاءت بها القاديانية، فالأخذ بالتأويل، واعتبار أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ونظرية التجلي، وانتحال شخص الرسول وانتقال روحه من شخص إلى شخص على مدى العصور هو نوع من التناسخ، وهذه كلها عقائد لا تخفى جذورها الوثنية على أحد. ومن هنا تستطيع أن تتبين خطورة هذه الدعوة وغيرها من الدعاوى التي أخذت تتزيا بأشكال مختلفة مدعية العلم أو على

الأصح التعالم، وهي في حقيقتها وجوهر أمرها حلقات في السلسلة الطويلة من التآمر على هذه الأمة ودينها وعروبتها ومستقبلها، تدفعها أحقاد التاريخ، وتؤزها الأيدي والقوى الطامحة الطامعة الحاقدة أيضاً، فتارة تجد هذه الدعوات تتزيا بزي القومية الشوفينية المتعصبة كرداء عصري منمق، وتارة بالعلمانية النافية للدين والتدين، ومرات ومرات متشبثة بتأليه العقل، وتحكيمه في كل شيء!

لذا كان من الواجب على المسلمين أن يبقوا متنبهين لكل دعوة تحاول تنميق استبعادها للإسلام بأساليب ماكرة خبيثة، وأن يشكوا في أصحاب هذه الدعوات، ويحجموا تحركها، ويطردوا خيالاتها من بين صفوفهم، وذلك كي يحفظوا أرضهم ويحفظوا هويتهم وشخصيتهم، من كل عملية تزييف ومروق.

فأهداف هذه الدعوات منذ وجدت جذورها في ابن سبأ والخطاب ومن تلاهم من إمامية ونصيرية وإسماعيلية، تتلخص بتقويض أساسات هذه الأمة، ونبذ عناصر القوة فيها، ومن ثم إنجاز محو شخصيتها واستلاب هويتها، كي تستسلم لهم، وتسلم أملاكها وثرواتها وقرارها غنيمة لهم، سواء عن طريق القوة أو عن طريق الفكر والثقافة، فهم يقلبون من الأفكار والدعوات المنوعة المختفية خلف اللافتات بطلاء ذي بريق خادع، و ذلك من أجل إنجاح الصيد.

المبحث السابع: النصيرية

السؤال الخامس والستون: هل لك أن تبين لنا من أين جاء اسم النصيرية..؟

- نعم، سأجيبك حالاً.

لقد جاء اسمهم منسوباً إلى رجل فارسي يدعى (محمد بن نصير)، المتوفى سنة ٢٧٠هـ، وكان من تلاميذ الإمام (الحسن العسكري)، فادعى أن الإمام الثاني عشر الغائب أوصى له بالإمامة بعده. وهذا هو الراجح قطعاً في نسبة هؤلاء، إلا أن البعض ذهب إلى أن تسميتهم بالنصيرية، كانت نسبة إلى نُصير غلام الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -[(١)].

السؤال السادس والستون: هل لك أن تعدد لنا باختصار معتقدات هؤلاء؟

إن معتقدات النصيرية لا تخرج كثيراً عما أوردناه من معتقدات اعتنقها الباطنيون الذين سبقوهم، و إليك بعض تلك المعتقدات:

١- الاعتقاد بألوهية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وأن علياً خلق محمداً، وجعله باباً له - أي رسولاً، ومحمد خلق سلمان الفارسي وجعله باباً له؛ أي مكلفاً بنشر دعوته - ومن هنا جاء التثليث في عقيدتهم (عين - ميم - سين)؛ حيث يقسم من يدخل في دينهم، بِسرِّ عينٍ وميمٍ وسينٍ، العين علي، والميم محمد، والسين سلمان. وهؤلاء الثلاثة هم الذين يقوم الدين والعقيدة عليهم عند النصيرية[(٢)].

وقد جُمعت هذه الأعمدة الثلاثة في عقيدتهم في شعر بعضهم:

أشهد أن لا إله إلا ... علي الأنزع[(٣)] البطين

ولا حجاب عليه إلا ... محمد الصادق الأمين

(١) إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ماسنيون المستشرق، أوبرافيورا والسنجاري، ص٦١٩.

(٢) النصيرية، (٢٠١٠)، عبد الرحمن بدوي، (ط١)، داراليقين، بيروت، لبنان، ص٤٧.

(٣) الأصلع.

ولا طريـــــــــق إليـــــــــه إلا   ســــلمان ذو القـــوة المتيــــن[1]

٢- الاعتقاد بالتناسخ.

٣- انكار البعث واعتبار السعادة والشقاء في الدنيا هما الحساب.

٤- العمل بالظاهر والباطن (التأويل).

٥- استحلال الخمر واستباحة المحرمات.

٦- سب الصحابة وخاصة كبارهم[2].

وكثير من الترهات والوثنيات التي سكنت في دهاليز هذه الفرقة الضالة المضلة.

السؤال السابع والستون: أي مرجعية تنتسب إليها هذه العقائد؟

ألمحنا فيما سبق أن الفرقة الخطابية الضالة انقسم أتباعها بعد هلاك زعيمها أبي الخطاب إلى شعبتين: شعبة ذهبت مع القرامطة، والشعبة الثانية أتباع الضال المضل الجعفي الذين شكلوا فيما بعد ما يسمى بالنصيرية.

إذن تعود النصيرية في جذورها إلى عقائد الخطابية التي جذرنا عقائدها سابقاً، ورأينا كيف أنها تعود إلى المجوسية والغنوصية النصرانية واليهودية؛ إذ أن التثليث (ع. م. س) واضح فيه تأثير النصرانية. وأن الادعاء بألوهية علي واضح فيه العودة إلى السبئية اليهودية، وأن إنكار البعث واضح فيه تأثير الوثنيات اليونانية والهندية والمجوسية، وأن التناسخ لا تبتعد عن ذهن القارئ جذوره الوثنية. وأن استباحة المحرمات لا يخفى ما فيه من جذور إفسادية، حملتها كل الدعوات الباطنية من أجل إخراج المسلم من دينه و إغرائه بالشهوات.

السؤال الثامن والستون: هل تستطيع أن تعطينا فكرة عن نشأة هؤلاء وتطور أمرهم؟

- حباً وكرامة ..

---

(١) النصيرية، عبد الرحمن بدوي، ص١٩.

(٢) الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة، (١٩٨٨)، وليد الأعظمي، (ط١)، دار عمار، الأردن، ص٧٢ وما بعدها.

لقد نبتت عقائد هؤلاء على أصول الخطابية والمغيرية، اللتين قالتا: بحلول الجزء الإلهي في علي - رضي الله عنه - آخذة ذلك من السبئية اليهودية، وبإنكار البعث والنشور والاعتقاد بالتناسخ، وإسقاط الثواب والعقاب، وإباحة المحرمات، وإسقاط الواجبات، وإذن فعلى أصول هذه الفرق القديمة، التي نشأت في القرن الأول وبدايات القرن الثاني الهجري، قامت دعوة النصيرية، مستلهمة تلك الأفكار الضالة المضلة على يد أحد أصحاب (الحسن بن علي بن محمد بن الرضا العسكري)، وكان يُدعى: أبو شعيب (محمد بن نصير النميري)، الذي عاش في القرن الثالث الهجري، وتوفي عام ٢٧٠هـ، وعاصر ثلاثة من أئمة الاثني عشرية، وهم علي الهادي (٢١٤ - ٢٥٤ هـ)، و الحسن العسكري (٢٣٠ - ٢٦٠ هـ)، ومحمد المهدي[١] الذي ادُّعِيَ أنه الإمام الغائب ابن الحسن العسكري.

إذن فهو (محمد بن نصير) أحد أصحاب الإمام العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية ، وقد أجرى تعديلات على عقيدة إمامه. فقد زعم أولاً: أنه الباب إلى الإمام العسكري والحجة من بعده، فأنكر خلافة ابن الإمام وادّعاها لنفسه، وادّعى النبوة والرسالة، ومن ثم قال بحلول الجزء الإلهي في علي، وأحل المحرمات من خمر ونكاح الذكور والمحرمات من النساء والزنا، وأسقط الواجبات، وقال بالتناسخ إلى غير ذلك من الضلالات، ولما بلغت مقالاته الإمام العسكري تبرأ منه ولعنه، وحذر أتباعه منه[٢]، فقد كتب الإمام البراءة الآتية منه:

(إني أبرأ إلى الله من ابن نصير النميري، وابن بابا القمي، فأبرأ منهما، وإني محذرك وجميع موالي، ومخبر أني ألعنهما، عليهما لعنة الله، فَتّانين مؤذيين، آذاهما الله وأرسلهما في اللعنة وأركسهما في الفتنة)[٣] ومع الزمن فقد اقتبست النصيرية بحكم الموقع الجغرافي (المناطق الجبلية الوعرة من بلاد الشام والأناضول) بعض الأفكار الفينيقية القديمة، كما

---

(١) الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، (١٩٨٠)، الحسيني عبد الله، (ط١)، دار الاعتصام، القاهرة، ص٢٤/ وكتاب (العلويون والنصيريون)، ص٧ .

(٢) العلويون والنصيريون، أبو موسى الحريري، ص٧.

(٣) المرجع السابق، ص٤.

اقتبست بحكم المحاربة الدائمة لها من قبل الدول الإسلامية المتعاقبة، باعتبارها فرقة خارجة من الدين، اقتبست من النصرانية بعض الأفكار والمعتقدات والعادات في أثناء احتكاك النصيريين بنصارى الحروب الصليبية، وتحالفهم معهم ضد المسلمين.

ولقد وَلّد بُعد هؤلاء عن الدين وخروجهم منه عُقَداً نفسية من مثل: حب العزلة، ومركب النقص، والشعور بالغربة، وكل ذلك أدى بالطائفة في آخر المطاف إلى الوقوف دائماً في صف محاربي الأمة، وأعدائها على طول هذا الخط ومداه .

السؤال التاسع والستون: ما هو تقويم هؤلاء عند أهل التشيع؟

في الإجابة على هذا السؤال نكتفي بنقل بعض أقوال أئمة الشيعة: إن النصيريين يدَّعون أنهم شيعة اثني عشرية، ويقولون: إن ابن نصير الفارسي، وموالي بني نمير، كان الباب إلى الإمام العسكري، وكذلك الباب والمرجع للإمام المهدي بعد غيبته، وفيما يأتي أقوال بعض علماء الشيعة الاثني عشرية بالتحديد فيهم، وذلك ليتبين للقارئ مدى صدق انتماء هؤلاء، وليعرف أن هؤلاء على غير دين!

قال سعد القمي: (شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد -ع - في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له (محمد بن نصير النميري) كان يدّعي أنه نبي رسول، وأن علياً بن محمد العسكري -ع - أرسله، وكان يقول بالتناسخ، ويغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلل نكاح الرجال في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والإخبات والتذلل عند المفعول به، وأنه من الفاعل والمفعول به، إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئاً من ذلك)[1].

وأما الحسن بن موسى النوبختي المتوفى عام ٣١٠ هـ، فقد ذكر كل ما قاله القمي فيهم مما ذكرناه آنفاً، وقال فيهم كما قال، واتفقا في نهاية حديثهما عن هؤلاء الغلاة بالقول: (فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع، وإلى (الجو مدينية) و(المزدكية) و(الزندقية) و(الدهرية) مرجعهم جميعاً، لعنهم الله، وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن

---

(١) المقالات والفرق، سعد القمي (أحد أئمة الشيعة)، ص١٠٠.

الخالق تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً)[1].

وقال الطبرسي من علماء الشيعة (٦٢٠ هـ) في كتابه «الاحتجاج»: (محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن - عليه السلام -، فلما توفي ادّعى (البابية) لصاحب الزمان، ففضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والغلو والتناسخ، وكان يدعي أنه رسول نبي، ويقول بالإباحة للمحارم)[2].

هذه بعض النصوص التي تظهر رأي أئمة الشيعة في النصيرية وزعيمها ابن نصير، وكيف أن أهل الشيعة ينفون انتماء النصيريين إلى التشيع، ويجعلونهم من الغالين المارقين تماماً كما عدّهم أئمة السنة، فلا يغرنك ما ذهب إليه البعض من نفي هذه التهم عنهم، والتقول بأن ابن نصير هذا شخصية خيالية ليس لها وجود، فإن هذا الادعاء لا يمر هكذا، فقد ادّعت كل فرق الغلو وأتباعها المحدثون، ومن ناصرهم من المستشرقين المغرضين خيالية الشخصيات التي أقامت وبنت هذه العقائد الفاسدة، وذلك من أجل أن تنفي أصول هذه الأديان المارقة المجوسية اليهودية، فمن قبل ادّعَوْا نفي شخصية ابن سبأ، ومن بعد قالوا بأن ميمون القداح وابنه عبد الله من بعده شخصيتان خياليتان مختلقتان، و ها هم يدعون مثل هذا بالنسبة لمحمد بن نصير، ولكننا نقول: فمن أين أتى كل أولئك الكتاب المؤرخون العدول بهذه الأسماء، ووضعوها في كتبهم، حتى تواتر ذكر أسمائهم في معظم كتب التاريخ والفرق، أهي نسج خيال؟ وإذا صح أن المؤرخين جميعاً تواطؤوا على ذكر واحد من هؤلاء، أهم متواطؤون على ذكر الجميع أيضاً وبصورة إجماعية متواترة؟ لا نظن أن عاقلاً يصدق ذلك! وها هو الخميني في العصر الحديث يكفر هذه الفرقة في حديث له مع وفد من المهنئين له بانتصار ثورته (وفد الحركة الإسلامية عام ١٩٧٩م).

السؤال السبعون: هل لك أن تذكر بعض مناسك هؤلاء وعاداتهم وعباداتهم؟

نعم، إنهم يعتقدون بأ، علياً هو الخالق، وأن محمداً هو الداعي إلى معرفة الرب،

---

(١) فرق الشيعة، النوبختي (أحد أئمة الشيعة)، ص٤١.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ج٢، ص٢٨٩.

وأن الرب احتجب في صورة محمد - عليه الصلاة والسلام -، ويعتقدون أن الله تجلى في صور إنسانية سبع مرات آخرها في شخص محمد باسم علي[1].

وهم يقدسون الخمر والخبز، ومن أعيادهم النوروز، وعيد الفطر، والأضحى، وعيد المباهلة، وعيد الفراش، وعيد الميلاد[2]، ومنها يتبين أن أعيادهم خليط من الإسلام، والنصرانية، والمجوسية، والوثنية، وهذا ما يؤكد جذور ديانتهم، وأنها عبارة عن (كشكول) فيه قطعة من كل دين.

السؤال الواحد والسبعون: ما هي أهدافهم و ما هي مآلاتهم؟

إذا عرفنا أن محمد بن نصير فارسي، وعبد الله الجنبلاني فارسي أيضاً، وكذلك خليفته الخصيبي، سهلت علينا هذه المعرفة الطريق إلى تحديد أهداف هذه الحركة؛ لأن هؤلاء هم رجالها ومؤسسوها، ومقيمو صرحها.

إن البعض من أهل خراسان (الفرس) دخلوا في الإسلام ظاهراً، وظلوا يضمرون العداء لهذا الدين وأهله المخلصين من عرب وعجم، وظلوا يحلمون بإعادة أمجاد قورش ويزدجرد وغيرهم من ملوك الفرس، الذين طوح بعروشهم نور الإسلام وشموسه، إذ دخلت فيه جموع الفرس والعرب والعجم طائعة مقبلة مخلصة. وظل هؤلاء الشراذم الذين يبطنون غير الإسلام، يعملون في الخفاء، مستغلين أية ثغرة وأية فرصة تسنح لهم، ليدخلوا على هذا الدين ما يفسد عقائد أهله، ويضعوا في بنيان دولته معاول الهدم والتخريب.

وهكذا استطاع ابن نصير القادم من أرض خراسان وفارس أن يتسلل إلى مكان مرموق إلى جانب الإمام العسكري، واستغل لحظة شغور منصب الإمامة عند الشيعة بغياب الإمام المهدي - كما هو معتقدهم -، فقفز إلى السطح، ودعا لنفسه وزيّن لضعاف النفوس من اتّباعه الضلال والانحراف، وذلك بإباحة الشهوات وإسقاط الواجبات، فلما لقي ذلك قبولاً لديهم، راح يُدخل على العقائد ما يفسدها، ويزور لهم عقيدة جديدة

(١) العلويون، عبد الحسين مهدي العسكري، ص٨٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٩٩ وما بعدها.

ملفقة، مبتغياً الاستعانة بهؤلاء الأتباع على تحقيق الهدف الرئيس لـه، ألا و هـو تقـويض دعائم الدين، وزلزلة صرح الدولة المسلمة.

وإن نظرة واحدة على أشكال أصحاب هذه العقيدة الجديدة كافية لتمييز هؤلاء عن كل من حولهم من ناحية سلالية، وكافية أيضاً لإعادتهم إلى أصولهم السلالية غير العربية. ويخبرنا التاريخ أن قبيلة العبدي الفارسية الـتي هـي قبيلـة ابـن نـصير، جـاءت مـن بـلاد فارس، واستقرت في شمال سـوريا ومنطقـة كيليكيـا في تركيـا[1] وصـادف بـدء انتـشار النصيرية قيام دعوة القرامطـة في أواخـر القـرن الثالـث الهجـري، وقيـام دولـة العبيديـة الإسماعيلية في المغرب، مما يدل على وحدة الهدف والمبـدأ وخـط الـسير لهـذه الطوائـف المارقة، وأن أهدافها مبنية على قدر عال من الشعوبية الحاقدة والتخطـيط الـسري المـاكر. ولما لم يستجب لابن نصير العدد الكبير، وبقيت الطائفة محصورة بعدد قليل من الناس، لا يساعدها على مناهضة الإسـلام ودولتـه، حاولـت الهـروب بعيـداً عـن مراكـز الـسلطة وقوتها، فزحفت نحو الجبال والأماكن النائيـة منتظـرة الفرصـة. إلا أن الحـال آل بهـا إلى المناهضة والمقارعة، وذلـك حـين سـنحت الفرصـة بتـدخل الـصليبيين وغـزوهم لأرض الإسـلام في العهـد الأيـوبي والمملـوكي مـن بعـده، فأيـدوا الـصليبيين، وكانـت منـاطق وجودهم في سواحل الشام ثغرة دخل منها هؤلاء، فاتخذوها موطئ قدم لهم، كمـا كـانوا عوناً للمغول والتتار ضد السلطة الإسلامية، مما حدا بالظاهر بيبرس إلى محاربتهم، وهـدم حصونهم، وعاود الكرة عليهم المنصور وقلاوون بسبب تمردهم ومساعدتهم للصليبيين.

وفي القرن الثامن الهجـري خرجـوا بقيـادة رجـل مـنهم اسمـه (محمـد بـن الحـسن المهدي)، وقد سمى نفسه القائم بأمر الله، وادعى مـرة أنـه علـي بـن أبـي طالـب فـاطر السماوات والأرض، وحملوا على مدينـة (جبلـة) في سـاحل سـورية فخربوهـا وهـدموا مساجدها، ودعوا بألوهية علي، وسبوا الصحابة، وحولـوا بعـض المـساجد إلى خمـارات، وفي عهد الدولة العثمانية وقف النصيريون إلى جانب الدولة الصفوية الفارسية الـشعوبية في حروبها مع العثمانيين، مما حدا بالدولة العثمانية إلى تجريد الحملات عليهم.

---

(١) النصيرية، تقي شرف الدين، ص١٤ / ١٥.

وإذن فإننا نستطيع القول: إن الفرق الباطنية كانت متعاونـة و متناوبـة الـدور علـى مدى التاريخ؛ لإفساد عقيدة الإسلام، و محاولة هدم دولتـه، وإعـادة ملـك فـارس ونـار المجوس، حيث استطاعت هذه الباطنية في بعض أشكالها إقامة دولـة لهـا في المـشرق، هـي دولة القرامطة في فارس والعراق والخليج، وأن تنـشر الـذعر والفـساد في أقطـار المـشرق طوال قرنين من الزمان، وأن تثبت أفكارها الإلحادية والإفسادية في عقول بعـض النـاس، وقد استمر أثر هذه الأفكار في سلوكهم وتصرفاتهم زمناً طويلاً، كما استطاعت أن تقـيم لها دولة في المغرب، امتدت إلى شمال إفريقيا ومـصر وبعـض أقطـار الـشام، وهـي دولـة الفاطميين الإسماعيلية، التي استطاعت بدهاء عجيب أن تخفي عن أعين النـاس عقائـدها وأهدافها ردحاً طويلاً من الزمن، واستطاعت هذه الدولـة أن تبقـي آثارهـا التخريبيـة في أفكار وعقائد الناس بعد زوالها حتى أيام الناس هذه.

إلا أن النصيرية بسبب ضعفها وقلة أتباعها وانعزالهـا بعيـداً عـن مراكـز التـأثير، لم تستطع في العصور القديمة أن تحقق لها دولة على أنقـاض بعـض دول الإسـلام، لكنهـا لم تقصر في التخريب العقائدي والسياسي، حتى إذا جاء العصر الحديث استطاع البـاطنيون بالتعاون مع أعداء الأمة أن يبنوا لهم أشكالاً من الكيانات الـسياسية علـى امتـداد رقعـة واسعة من أوطان المسلمين، والتي يتم توسيع امتدادها ونفوذها وأثرها في سياسة المنطقـة، متخذة من رفع بعض الشعارات البراقة تقيـة تتـستر بهـا علـى الأهـداف الحقيقيـة، الـتي تسكن بواطن هذه الكيانات.

ومن هنا تأتي خطورة هؤلاء على الإسلام والمسلمين، لـذا وجـب التنبـه بـل قـرع الطبول من أجل أن تصحوا الأمة، فتعرف مواقع أقدام هؤلاء، التي تدب فـوق تاريخهـا، تبتغي محوه وإزالته، لتقيم على أنقاضه دولاً غير مهتدية تتخفى خلف الشعارات المضللة.

السؤال الثاني والسبعون: أين موقع هؤلاء في فكر أهل السنة؟

سوف نذهب في الإجابة على السؤال إلى الاقتباس من كتب أهل الـسنة قـديماً، ثـم نعرض لبعض ما كتبه المحدثون من أهل السنة عن هذه الطائفة، وذلك كي يتـبين للقـارئ خطر هؤلاء وحراكهم السياسي، الماضي والحاضر، ولكي يزول الاغترار ببعض المظـاهر،

التي تُلبّس على الناس آراءهم في هؤلاء، إذ يظهرون في كثير من الأحيان وكأنهم قد انخلعوا من عقائدهم الباطنية السرية، وتبنوا الأفكار العلمانية أحياناً، أو أفكار جمهرة الشيعة أحياناً أخرى.

ولنبدأ بالشهرستاني، حيث يقول: (النصيرية والإسحاقية من جملة غلاة الشيعة... قالوا: (ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل)، وضربوا لذلك أمثالاً في الخير: (كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان، وظهور الجن بصورة بشر ... فكذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص (تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)، ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي - رضي الله عنه - وبعده أولاده المخصوصون، وهم خير البرية، تظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم.

(وربما أثبتوا لعلي شركة في الرسالة) وقالوا عنه: (كان موجوداً قبل خلق السماوات والأرض) (والنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي لعلي والأسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة)[1].

هذا وقد نقل عنهم الإمام الأشعري قولهم بحلول الباري سبحانه في محمد بن نصير النميري[2].

وكذلك فإن الشيخ عبد القاهر البغدادي قال فيهم: (وغرض جميعها «أي الفرق الغالية» القصد إلى إفساد القول بتوحيد الصانع... والنميرية منهم «أي أصحاب بن نصير النميري»)[3].

ثم هذا هو الإمام الإسفراييني المتوفى عام ٤٧١هـ، يعد النصيرية من الفرق

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٨٨ / ١٨٩.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ١٩٦٩٠)، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد،(ط٢)، (د.ن)، القاهرة، ج١، ص٨٥.

(٣) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٢٥٤.

الخارجة من الإسلام[1].

وهذا ابن حزم الأندلسي ينقل عنهم قولهم بفرية كبرى، وهي عَدّهم عبدَ الرحمن بن ملجم المرادي قاتل علي - رضي الله عنه - أفضل أهل الأرض، وأكرمهم في الآخرة؛ لأنه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره.

وبعد هذه المقولات عن متقدمي أهل السنة في النصيرية، نود أن ندعمها بمقولات عن المتأخرين:

فهذا الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - المتوفى عام ١٩٧٤ م يقول في كتابه «المذاهب الإسلامية» (ص٩٤ -٩٦): (النصيرية من الطوائف التي سكنت الشام وانخلعت من الإسلام، وهم يعتقدون أن علياً إله أو قريب من الإله، وهم يشتركون مع الباطنية في أن للشريعة ظاهراً وباطناً ...

وقد كانوا أثناء الهجمة الصليبية على العالم الإسلامي والوطن العربي عوناً للصليبيين على المسلمين... ولما أغار التتار من بعد ذلك على الشام مالأهم أولئك النصيريون كما مالؤوا الصليبيين من قبل، فمكنوا للتتار من الرقاب).

وهذا الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن يقول عنهم: (ويقولون «النصيريون»: إن الله حل في ثلاثة هم: علي يرمزون إليه بالمعنى، ومحمد ويرمزون إليه بالاسم، وسلمان الفارسي ويرمزون إليه بالباب...)[2].

وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين عن النصيرية القول الآتي: (إن النصيرية علويون، يعتقدون بألوهية علي ... ويعتقدون بتناسخ الأرواح، وكلمة السر عندهم ثلاثة أحرف هي (ع. م. س)، أي علي ومحمد وسلمان الفارسي، وإن معتقداتهم ومذاهبهم خليط ملفق من ديانات ومذاهب مختلفة)[3].

من كل ما سبق من الأقوال سواء عن السابقين أم عن المعاصرين، نستنتج منه: أن النصيرية فرقة مارقة خارجة من الملة الإسلامية، معادية بطبيعة الحال لهذه الأمة، وقفت

---

(١) التبصير في الدين، الإسفراييني ، ص١٠٨.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، د.حسن إبراهيم حسن، ج٤، ص٢٦٥.

(٣)دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، مادة نصر، المجلد١٠.

تاريخياً وفي العصر الحديث مع أعداء الأمة الإسلامية، و مالأت الغزاة والطامعين.

السؤال الثالث والسبعون: لقد مر سابقاً أن ديانة هؤلاء ملفقة فهل لك أن تشرح ذلك التلفيق بإيجاز؟

بداية أقول: إن سؤالك هذا سوف يجعلنا نكرر المعلومات، ولكنني لا أجد مهرباً من الإجابة، ولسوف أقابل معتقداتهم هذه بمعتقدات معروفة، إما أن نكون قد شرحناها في فصول سابقة، أو هي معروفة لدى القارئ من مطالعاته أو ثقافته العامة.

وأقول: إن عقيدة الجزء الإلهي الحال في علي - رضي الله عنه - مرت معك في عقيدة السبئية، ولا أظنك قد نسيت ذلك.

عقيدة التناسخ هي جزء من عقائد الباطنية جميعاً، كما أشار إلى ذلك الشهرستاني في الملل والنحل، وكما سبق وأشرنا إليه، وهي مأخوذة من عقائد وثنية هندية ويونانية.

وأما عقيدة الإيمان بأن للشريعة باطناً وظاهراً، فهي عقيدة سارية في معتقدات كل الباطنيين، وهي ذات جذور يهودية وغنوصية.

وأما الإيمان بالثلاثة، وأن الله حالّ فيهم (علي ومحمد وسلمان)، فهي عقيدة التثليث النصرانية نفسها، التي تقول بالأب والابن وروح القدس، ولذلك جاءت كثير من أعياد هؤلاء مكررة في كثير من الأديان، بناءً على أن دينهم ملفق من مجموعة هذه الأديان؛ فعيد النيروز فارسي، والفطر والأضحي إسلاميان، والفصح والميلاد مسيحيان، ومعظمها أعياد لأديان أخرى، وهي في الوقت نفسه أعياد للنصيريين، مما يدلك على أن هؤلاء قد لفقوا دينهم من عدة أديان منها: الإسلام والنصرانية واليهودية والمجوسية والوثنية اليونانية. (وبعضهم إلى الآن يحتفظ ببعض الأسماء النصرانية مثل: متى ويوحنا وهيلانة)[1].

السؤال الرابع والسبعون: هل لك أن تورد بعض النصوص من كتبهم، بحيث توثق وتثبت للقارئ شيئاً من عقائدهم التي ذكرتها؟

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي، د. حسن إبراهيم حسن، ج٤، (ص٢٦٥ - ٢٦٧).

حباً وكرامة ..

أولاً من كتاب (تعليم ديانة النصيرية) نقلاً عـن كتـاب (مـذاهب الإسـلاميين - د. بدوي)[1].

جاء في الكتاب المذكور على شكل أسئلة وأجوبة بلغت (مئة سؤال وسؤال) نقتبس منها ما يدل على ألوهية علي عندهم، وما يدل على بعض من طقوسهم الضالة.

س١- من الذي خلقنا؟

ج - علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

س٢- من أين نعلم أن علياً إله؟

ج - مما قاله عن نفسه في خطبة البيان، وهو واقـف علـى المنـبر إذ قـال: (أنـا سـر الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السماوات، أنا أنيس المستجاب، أنـا سـائق الـدعوة، أنا شاهد العهد، أنا زاجر القواصف، أنا محرك العواصف، أنـا مـزن الـسحائب، أنـا نـور الغياهب، أنا حجة الحجج، أنا سبب الأسباب، أنا مسدد الخلائق، أنا الأول والآخر، أنـا الباطن والظاهر ...)، (وبالطبع هذه الأقاويل من تزويراتهم على سيدنا علي -رضي الله عنه-).

س٣- من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

ج - محمد كما قال هو في خطبة ختمها بقوله: إنه - أي علـي - ربـي وربكـم ..!! (تزوير على رسول الله ﷺ).

س١٠- لكن ما المعنى وما الاسم وما الباب ؟

ج- هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون كما في قولنا: باسـم الله الـرحمن الـرحيم، فـالله هـو المعنى، والرحمن هو الاسم، والرحيم هو الباب. (التصاق بتثليث النصرانية).

س٧٤- ما علاقة إخواننا المؤمنين الصادقين ؟

ج- (ع. م. س)؛ ع تدل على علي، وم تدل على محمد، وس تدل على سلمان.

س٧٩- ما سر الله الأعظم ؟

---

(١) تعليم ديانة النصيرية، ج٢، (ص٤٧٤ -٤٨٧).

ج- هو سر الجسد والدم الذي قال عنه يسوع: (هـذا جـسدي وهـذا دمـي فكلـوا منهما تظفروا بالحياة الدائمة). (هل تلاحظ العلاقة مع النصرانية؟).

س٨٦ - هل يحق للمؤمن أن يبوح لإنسان آخر بسر الأسرار؟

ج- لا يبوح به إلا لإخوانه في الدين و إلّا باء بسخط الله. (سرية اتـصفت بهـا كـل المجموعات الباطنية).

س٨٧- ما هو القداس الأول؟

ج - هو الذي يقام قبل دعاء النوروز. (لاحظ العلاقة الوثنية).

ومما ورد في دعاء النوروز وأورده الكتاب المذكور: اشرب هذا الخمر الصافي، فذات يوم ستغطى أنوارها بالغيوم الكثيفة.

س٩٥- لماذا يولي المؤمن وجهه في الصلاة قِبل الشمس؟

ج - اعلم أن الشمس نور الأنوار. (العلاقة مع الوثنية).

ومن كتاب المجموع نقتبس ما يأتي[1]:

يضم الكتاب ست عشرة سورة، تردد أثناء الصلاة أو الدعاء عندهم، ولهذا الكتاب صفة مقدسة عند النصيريين، فهـم يقـسمون عليـه أول دخـولهم في العقيـدة ويعظمونـه، ويتكتمون عليه أشد التكتم[2].

- السورة الأولى واسمها (الأول) نأخذ منها:

(قد أفلح من أصبح بولاية الأجلح[3] استفتح بأني عبـد، اسـتفتحت بـأول إجـابتي بجب قدس معنوية أمير النحل علي بن أبي طالـب، فيـه اسـتفتحت، وفيـه اسـتنجحت، وبذكره أفوز، وفيه أنجو، وإليه ألجأ، وفيـه تباركـت، وفيـه اسـتعنت، وفيـه بـدأت، وفيـه ختمت). ألا تلاحظ ركاكة النص وعجميته إلى جانب الضلال الذي فيه؟

- السورة الثالثة واسمها (تقديسة أبي سعيد):

---

(١) الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، الحسيني عبد الله، ص١٤٥ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

(٣) صفة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(أسألك يا مالك الملك، يا أمير النحل[1]، يا علي يا وهاب، يا أزلي، يـا تـواب، يـا داحي الباب ...، يا أمير النحل، يا صاحب الدولة العالية، يا من أنـت الأحـد، واسمـك الواحد، وبابك الوحدانية).

- السورة الرابعة واسمها (النسبة): (أحسن تـوفيقي بـالله، وطريقـي لله، وأحـسن سمعي واستماعي من شيخي وسيدي ومرشدي، المنعم الله علي كما أنعـم عليـه بمعرفـه (ع. م. س)، وهي بشهادة أن لا إله إلا علي بن أبي طالب، والأصلع الأترع المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد المحمود، ولا باب إلا السيد سلمان الفارسي المقصود).

وهكذا تمضي نصوص هذه الترهات شبيهة بما نقلناه منهـا، مليئـة بـالكفر، مزدحمـة بالمعاني الوثنية الإلحادية، ولذا فإننا لا نريد أن نزعج أذن القارئ وعينـه بمزيـد مـن هـذه الصور الزائفة.

ولا بد هنا من ذكر أن هـؤلاء اسـتطاعوا أن يقيمـوا لهـم كيانـاً، باسـتيلائهم علـى السلطة في إحدى الدول العربية، فأخذوا يرفعون شعارات خادعة، يخفون بهـا فعلـهم في تخريب عقائد الناس، و يحاولون تفريق صف الأمة بسياسات خادمة للأعداء.. ونحن بهذا الذكر نريد أن ننبه إلى الغفلة الـتي يعيـشها المـسلمون مغتريـن بالـشعارات الـتي يطرحهـا الباطنيون الجدد .. كما نريد أن نشير إلى أن الباطنية وفرقها لـن يتوقفـوا عـن محـاولاتهم المستمرة على مدى التاريخ للتخريب والتفرقة، وهدم قيم الإسلام وهم يظهرون بأشكال ودعاوى ووسائل متجددة، مراعية العصرية ومظاهرها.

وإنه للخطر الداهم الذي يسري داخل شعوبنا في غفلة .. وهو الذي جعلنا نكتـب ما كتبناه في هذا الكتاب؛ إذ اغتر الكثيرون من أبناء الأمة بالـشعارات الظـاهرة، وغفلـوا عما يخبأ لهم من أسس تقـودهم إلى الابتعـاد عـن النبـع، و إلى الـتخلص مـن أسـباب و عناصر القوة فيها. وها هم اليوم يعيثون فساداً في الدولة العربية التي ذكرناها؛ قتلاً ونهبـاً وتخريباً وتحويلاً لعقائد النـاس، وكـل ذلـك تحـت لافتـات الحداثـة والتقدميـة والقوميـة والمقاومة والممانعة، وقد فضحتهم تحالفاتهم مـع إيـران وبرامجهـا ومـشاريعها في المنطقـة،

---

(١) هو لقب لعلي رضي الله عنه عندهم ..

ومع حزب حسن نصر الله في لبنان، الذي أعلن صراحة أنه يأتمر بأمر قائد إيران، زعيم فكر ولاية الفقيه. فهل يصحو المسلمون اليوم فيعترفوا بغفلة أخذت من حياتهم عمراً مديداً، ويعلموا أن الباطنية تتخذ لها أسماء وأوضاعاً تناسب المرحلة؛ كي يمروا ويمرروا برامجهم الهدامة؟!

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

الباب الثاني

الفِرق التي جرى على يدها التخريب، و لكن بلا نية سيئة مبيتة بل باجتهادات وأساليب أدت إلى التخريب وأهم هذه الفرق



السؤال الخامس والسبعون: سؤالي الأول عن الخوارج هو: من أين اكتسبوا هذا الاسم؟

لقد اكتسبوه من خروجهم على صف أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - في معركة صفين، بعد أن قبل بالتحكيم بينه وبين جيش الشام بقيادة معاوية - رضي الله عنه -، رغم أنهم هم الذين أصروا على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - بداية بالنزول على حكم كتاب الله، وذلك عندما رفعه جنود الشام فوق السيوف، حين مالت الكفة في المعركة لجيش أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه-. وقد قبل هؤلاء الخارجون بالاسم، وعدّوا خروجهم خروجاً على أئمة الفسق والجور، كما أنهم أصروا على أن رأيهم هو الرأي الوحيد الصائب الثاقب في الإسلام، ولقد كانوا من قبل أن يشتهروا بهذا الاسم في الناس يسمون أنفسهم (المؤمنون) أو (جماعة المؤمنين).

ودليل قبولهم بالاسم الجديد أن قطري بن الفجاءة أحد زعمائهم، يعترف بهذه التسمية، فيقول مخاطباً أحد الأتباع ويحثه على الخروج، ونبذ القعود:

أبا خالد انْفِرِ فلستَ بخالد ... وما جعل الرحمن عذراً لقاعد

أتزعم أنّ الخارجي على الهدى ... وأنت مقيم بين لصٍ وجاحد؟!

السؤال السادس والسبعون: من هم الخوارج؟ وكيف ابتدؤوا؟

للإجابة على سؤالك يحسن أن نرجع إلى التاريخ، فإن لذلك قصة سوف أوجز في سردها؛ لأبين من هم الخوارج، وكيف كانت نشأتهم، فقد جاء في كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي - رحمه الله ¯ أول الخوارج وأقبحهم حالة ذوالخويصرة[1] : أخبرنا ابن الحصين في سند طويل عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه - قال: (بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن، بذَهَبَة في أديم مقروظ[2] لم تُحَصّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حِصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، و الرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ص٩٠.

(٢) أي المدموغ بالقرظ.

أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني؟ وأنا أمين مَنْ في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً، ثم قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مُشَمر الإزار، ، فقال: يا رسول الله اتق الله! فقال: ويحك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ قال: ثم ولى الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه! فقال: لا، لعله أن يكون يصلي. قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم. قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: إنه يخرج من ضئضئ[1] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. قال: أظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود)[2] .

قال المصنف: هذا الرجل يقال له: ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ أنه قال له: (اعدل. فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل)، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه-، وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلي - رضي الله عنهما- رفع أصحاب معاوية المصاحف، ودعوا أصحاب علي إلى ما فيها، وقال: تبعثون منكم رجلاً ونبعث منّا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله عز وجل، فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص، فقال أصحاب علي: ابعث أبا موسى الأشعري، فقال علي: لا أرى أن أولي أبا موسى: هذا ابن عباس قالوا: لا نريد رجلاً منك، فبعث أبا موسى، وأخّر القضاء إلى رمضان، فقال عروة بن أذينة، تُحكمون في أمر الله الرجال (لا حكم إلا لله)، ورجع علي من صفين، فدخل الكوفة، ولم تدخل معه الخوارج، فأتوا حروراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، وقالوا :لا حكم إلا لله، وكان ذلك أول ظهورهم، ونادى مناديهم أن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا اليشكري، وكانت الخوارج تتعبد، إلا

---

(١) الضئضئ: أصل الشيء.

(٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، باب الزكاة، ج٧، ص١٦٢/ ١٦٣.

أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهذا مرض صعب).

انتهت رواية ابن الجوزي، ولكن لا بد من بعض الشروح لتتوضح صورة نشأتهم، واعتدادهم برأيهم، واضطرابهم في الرأي مع شدة عبادتهم، و كثرة قراءتهم للقرآن، والتزامهم بالتقشف، والتبسط في المظهر، وهذا مرض وُجد في صف المسلمين في كل عصر، وحتى في عصرنا الحاضر؛ إذ تجد بين صفوفنا من التزم باللباس الذي يعده شرعياً، ولا لباس غيره، و هو معجب برأيه، وصواب رؤيته وطريقته، فلا يرى صحيحاً إلا ما يقول، ولا يجد إلا حكمه وقضاءه قضاءً، ويَعُدُّ كل ما عداه خارجاً عن الدين ومائلاً إلى الفسق والفجور، بل والكفر أحياناً، ولذلك وضع ابن الجوزي هذا المرض الذي يصيب بعض الناس في جملة تلبيس إبليس على الإنسان، وسماه حمقاً ومرضاً، وخروجاً عن الصواب، فهم بنية حسنة يسيئون من حيث يريدون الإصلاح. و قد أخبر الصادق المصدوق عن خروج هؤلاء في حديثه ﷺ الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما، قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة. وإن خير ما يبين خطل رأي هؤلاء، واتباعهم الهوى، وتلبيس إبليس عليهم، كما يلبس على أناس كثيرين هذه الأيام، ترددهم في المواقف، وتناقضهم فيها؛ فهم بداية عندما رفع الشاميون المصاحف أصروا على علي - رضي الله عنه - بقبول التحكيم، حتى إنهم هددوه بالقتل، وأن يفعلوا به كما فُعل بعثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وقالوا له: ليعد الأشتر (أحد قادة علي وكان يحمل على جيش الشام، وقد كان النصر منه قريباً)، وليوقف القتال، وإلا الفتنة !!.

ثم لما قبل علي بالتحكيم، عادوا ونقضوا موقفهم، واتهموا علياً بالكفر لقبوله بالتحكيم، مع أنه لم يكن راغباً فيه، بل كان يعده تدبيراً من عمرو بن العاص، ومعاوية - رضي الله عنهما- يبعدون به الهزيمة التي كادت أن تحيق بجيشهم إلا أنهم اضطروه اضطراراً للقبول به.

وطالبوه بقتال معاوية والعودة إلى تحكيم السيف، وذلك بعد أن أصدر الحكمان الحكم، فقالوا: لا حكم إلا لله، وهي عبارتهم الشهيرة التي قال فيها علي - رضي الله عنه-: كلمة حق يراد بها باطل.

ثم لما جدّ رأي علي على مقاتلة أهل الشام، بعد أن عاد أبو موسى الأشعري إلى مكة، وظهرت الحيلة، وبعث إلى الخوارج يعلمهم أن الذي حكم به الحكمان مردود عليهما، وأنه عازم على الذهاب إلى الشام لملاقاة أهلها وقتالهم، وطلب إليهم الاجتماع على قتالهم، والسير إلى الشام صفاً واحداً - وهذا ما كانوا يطالبون به - كتبوا إلى علي - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - يقولون: أما بعد فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نابذناك على سواء: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فانظر يا رعاك الله إلى هذا اللجاج الذي لا يدل إلا على جهل صاحبه، وحبه المراء والجدل، فإبليس شديد التلبيس على الناس، إذ يقلب الحقائق في قلوبهم، ويزيغ أبصارهم، ويزين لهم الباطل ليصبح حقاً. هذا وكانت بداية الخروج عام سبعة وثلاثين هجرية، و ذلك بعد وقعة صفين[1].

السؤال السابع والسبعون: هل لك أن ترتب خروج هؤلاء متسلسلاً مع الأحداث؟

نعم، بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه -، وبعد بيعة علي - رضي الله عنه - انضم إلى صف علي وبايعه الخارجون على عثمان، فكان صف علي - رضي الله عنه - بغالبيته من هؤلاء.

- وكان قسم كبير منهم من القراء حفظة القرآن، المشهود لهم بالعبادة والحرص على التمسك بالإسلام، إلا أن فيهم خشونة وجفاءً وجهلاً وحرفيةً، وقلة زاد من فقه.

وكان هؤلاء من أشد الناس حماسة لملاقاة خصوم علي - رضي الله عنه - طلحة والزبير وعائشة - رضوان الله عليهم -، ثم الانتقال بعد ذلك إلى قتال معاوية وأهل الشام.

- إلا أن قلة بضاعة هؤلاء في فهم ما يدور حولهم، و في عدم فقه السياسة الشرعية للنصوص التي يتلونها ويحفظونها، جعلهم يصرون على علي في موقعة صفين بالقبول بالتحكيم، فقد عزّ عليهم أن يروا المصاحف ترفع ويطلب التحاكم إليها ويرفضون،

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (في شرح: ثم دخلت سنة سبع وثلاثين).

لكنهم لم يعوا وعياً صحيحاً ما يدور في الخفاء، وما يريده من رفعوا المصاحف فوق السيوف! خاصة وأن جيش علي كان قاب قوسين أو أدنى من النصر النهائي.

- وعندما حكم عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بحكمهما المشهور بين معاوية وعلي، دفعهم جهلهم السياسي والفقهي للنصوص وتفسيرها وفهم مراميها إلى رفض التحكيم، متجاهلين ومعرضين عن معنى الوفاء بالوعود والعهود التي دفعوا علياً دفعاً للقبول بها، ولم يفهموا أن موقفهم هذا يدفع المسلمين إلى فتنة أعظم وأكبر من الإثم الذي رتبوه على قبول علي بتحكيم عمرو وأبي موسى. بل دفعهم الهوى والجفاء والحرفية مرة أخرى إلى أن يكونوا معول هدم في المجتمع الإسلامي. وقد صدق فيهم قول بعض السلف عندما علم بأمرهم: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1] [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤].

وهكذا فإنه ابتداءً من عند هذه الحادثة (حادثة التحكيم)، و بسبب من عدم الفهم وقصور النظر وحرفية الأخذ بالنصوص وقلة البضاعة من الفقه والاعتداد بالرأي و التعصب له، وقع هؤلاء في محظور الخروج، الذي كان طامة كبيرة، غطت على كل خطأ ادّعوا وقوع خصومهم فيه، وكانوا وبالاً على أنفسهم أولاً، ثم بلاءً طامياً على المسلمين، دام قروناً، وظلت بذرتهم تنتقل في الناس إلى يومنا هذا .

السؤال الثامن والسبعون: بعد أن عرفنا شيئاً عن تاريخ نشأتهم وسبب تسميتهم، هل من الممكن أن تعرج بنا إلى عمق خلفيات خروجهم والأرضية التي أنبتتهم؟

حباً وكرامة.

لم تكن حادثة التحكيم بعد معركة صفين إلا الشرارة التي أوقدت نار الفتنة؛ إذ كانت تعتمل جهالات كثيرة في نفوس كثير من الناس، الذين كانوا يسمون بالقراء، ويتصفون بكثرة العبادة والتقشف في المظهر والشدة في الرأي، ويحملون قسطاً كبيراً من عدم المرونة، وزاداً قليلاً من فقه النصوص، وبعداً كبيراً عن فهم روحها ومراميها،

(١) المرجع السابق: (في شرح: ما جرى سنة سبع وثلانين). .

وإعراضاً جاهلاً عن استيعاب الظروف والمستجدات، والتكيف مع الزمان والمكان، كل ذلك إلى جانب الجفاء والقبلية الضيقة غير المبصرة.

وهؤلاء هم المقصودون بحديث رسول الله - ﷺ- الذي روي في الصحيحين عن محمد بن إبراهيم، قال: سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: يخرج قومٌ فيكم، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة).

إذن فما الذي جمع هؤلاء من قبل ؟وما الذي جعلهم يندفعون خلف أول داعية للخروج ؟ إنه بينما كان عقد الصلح بين المسلمين يُقرأ عليهم من قبل الأشعث بن قيس، كان الداعية عروة بن أدَيّة يصيح قائلاً عندما سمع كتاب الصلح: (تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال..؟ لا حكم إلا لله)[1] واندفع وراء هذا الرجل الكثير من بني تميم والقراء، يصيحون لا حكم إلا الله، ولذلك سموا بالمحكمة، ورد علي - رضي الله عنه - على هذا الشعار بقوله: كلمة حق يراد بها باطل.

من هذه الحادثة ومن الحديث السابق، ومن خلال سيرة هؤلاء، التي سنعرض لبعضها بعد قليل، نستطيع استخلاص الخلفيات الفكرية والواقعية والسلوكية، التي دفعت هؤلاء إلى الخروج على المسلمين ومنها:

أولاً: إن حركة هؤلاء بدأت من عند (ذي الخويصرة التميمي) الذي أوردنا قصته في بداية البحث، ثم جاء بعد ذي الخويصرة الخارجون على عثمان، ومن خلال معرفتنا بنظرة ذي الخويصرة، و بنظرة هؤلاء الخارجين على عثمان إلى العدل، نعلم مدى الحرفية الجاهلة المغرقة في المراء، التي كانوا ينظرون من خلالها إلى المجتمع المسلم، الذي يتصورون وجوده في مخيلاتهم من خلال قلة الزاد الفقهي، وسيطرة المراء الجاهل على عقولهم؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يستميل قلوب البعض من حديثي الإسلام، وذلك بتوزيع بعض الغنائم عليهم، ولم يعط منها من حارب دونها، وكان يستحقها، حسب نصوص أو أعمال سابقة للرسول - ﷺ- ولكن ذا الخويصرة لم يستطع استيعاب

---

(١) التاريخ، الطبري، ، ط أوروبا، ج١،ص ٣٣٨٨.

سياسة الرسول - ﷺ- ولم يفهم روح النصوص ومراميها، بل تحجر فهمه وفقهه عند ظاهرها وألفاظها، وغفل عن روحها وأبعادها، والسياسة التي يمكن أن تدار بها أموال المسلمين وغنائمهم في بعض الأحيان.

ومن المنطلق نفسه ذهب الخارجون على عثمان في لججهم، ولم يستطيعوا فهم ما كان يفعله عثمان بأمواله ومع أرحامه، وأصروا على الحرفية غير القابلة للتطبيق في كل حالة، ضاربين عرض الحائط بمصالح المجتمع المسلم آنذاك، الذي كانت تنذر فتنتهم بزلزلة أركانه، و إيقاعه في دوامة من الحروب والصراعات، التي أرثته بلاءً لم يستطع أن يتعافى منه أبداً.

ولو أنهم نظروا إلى أبعد من أنوفهم قليلاً، لرأوا أمامهم نذر العاصفة المدبرة، التي تنتظر مجتمعهم، جراء إصرارهم على إحراج أمير المؤمنين وإسقاطه، بل وقتله فيما بعد، ولو أنهم أنصفوا أنفسهم ومجتمعهم لرجعوا عن غيّهم وحماقاتهم.

هذا بافتراض أنهم كانوا على حق! فقد كانوا متعامين عن دفع المستغلين من السبئيين لهم نحو الفتنة؛ إذ وظف السبئيون قصر نظر هؤلاء وجهلهم وحرفيتهم، فأخذوا يمطرون الناس بها، ويدفعونهم دفعاً إلى ما اقترفت أيديهم من آثام.

إذ أن هذه النظرة المثالية غير المؤصلة والحرفية غير العادية هما اللتان دفعتا جماعة من هؤلاء أن يقتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت، ويبقروا بطن زوجه الحامل، وهو من هو، وذلك بسبب حديث حدثهم إياه عن رسول الله - ﷺ -، وكان عن الفتنة التي يكون القاعد فيها خيراً من القائم، والقائم خيراً من الماشي، والماشي خيراً من الساعي. ولما نزل هؤلاء بعد فعلتهم الشنيعة تلك تحت نخل مواقير بالنهروان، وأخذ أحدهم رطبة وأكلها، قال له واحد منهم: أخذتها بغير حدّها وبغير ثمنها، فلفظها من فيه[1].

ألا تلاحظ يا أخي هذا التنطع وهذا الحمق!؟ وهذا الفهم العجيب الغريب، الذي يستحل قتل النفس المسلمة، وهي التي أعظم عند الله من الكعبة، في حين أنه يماري في ثمرة سقطت عن نخلة وأصبحت ملك الأرض.

---

(١) تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ص٩٣ / ٩٤.

وثانياً: إن النزعة الفردية التي كانت تتملك العربي البدوي، وعدم خضوعه لسلطان مركزي واحد، دفعا هؤلاء الخوارج للتمرد على عثمان- رضي الله عنه- ، ثم انضموا إلى صف علي، ثم خرجوا عليه عندما خالف رأيهم، مع أن الحق كان مع علي والصحابة والتابعين من الأنصار والمهاجرين. وللعلم فإن أكثر زعماء هؤلاء من عرب تميم، وتميم كانت ما تزال تحمل الكثير من الخشونة والجفاء، وتتميز بقلة الزاد الفقهي، وتدفع للنزوع إلى الفردية.

وثالثاً: لا ننسى انخراط السبئيين في صفوف هؤلاء الجفاة، واستغلال نظرتهم القاصرة وانحيازهم إلى علي – رضي الله عنه – بداية، فدفعوهم من خلال ذلك إلى التمرد على عثمان، ثم إلى قتله- رضي الله عنه – ومن بعد إلى الخروج من صف علي – رضي الله عنه – وذلك في سلسلة من المقاتل، التي أخذ بعضها برقاب بعض بهدف الوصول إلى ما كانت تبتغيه الباطنية السبئية من محاولات للقضاء على كيان الدولة الإسلامية الحديثة، وخلخلة المجتمع المسلم، وإفساد عقائده.

ولقد كان هؤلاء ينطلقون في حروبهم وغاراتهم التي استمرت زمناً طويلاً من منطلق أنهم على الحق، وأنهم أصحاب الرأي السديد، وأن غيرهم وكل من وقف خارج صفهم كافر حلال الدم والمال والعرض. (على تفصيل في ذلك بين فئاتهم).

السؤال التاسع والسبعون: ما هي الأصول الفكرية والعقائدية التي حملوها؟

أتيت فيما سبق من سطور على ذكر بعض من أفكارهم، و في الإجابة على سؤالك هذا أؤكد على ما ورد وأكمل فأقول: إن من الأصول الفكرية والعقائدية للخوارج ما هو مجمع عليه بين فئاتهم وطوائفهم، ومنها ما هو وقف على بعض هذه الفئات دون البعض الآخر، وإليك بيان ذلك:

أ – ما أجمعت عليه جماهير الخوارج.

منذ بداية أمرهم خرجوا من أجل أمرين[1]:

الأول: بدعتهم في الإمامة، وهي تقول: إن على من يُعين للإمارة – برأيهم – يجب

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١١٦.

أن يقوم بواجب العدل، واجتناب الجور، والعدل والجور هما اللذان يكونان بحسب فهمهم، فإن تحقق منه ذلك كان إماماً، من أي الناس كان لا فرق؛ فهم قد أخرجوا شرط القرشية، وشرط العربية من شروط الإمامة، وقالوا بقتال من خرج على هذا الذي بايعوه، ولو كانت الأمة كلها، فإذا غير هذا السيرة فيهم، إلى غير العدل والحق الذي فهموه، وجب عزله أو قتله، ومنهم من جوّز أن لا يكون في العالم إماماً أصلاً. وقالوا بالاختيار الحر للإمام.

والثاني: قولهم بكفر علي وعثمان، وأصحاب الجمل ومن تابعهم وحكمي صفين ومن قبل بحكمهم[1].

ثم أضافوا أمراً آخر هو: إجماعهم على تكفير مرتكب الكبيرة إذا لم يتب قبل موته، وعدّوه مخلداً في النار[2].

ب - وأما الأصول التي لم يجمع عليها الخوارج، فهي كثيرة نذكر منها:

١- الجبرية وأتباعها: الحازمية، والشيبانية، والشعيبية.

٢- والقدرية وأتباعها: الميمونية، والخمرية.

٣- وقال بعضهم بجواز التقية، ومنهم فرقة النجدات، ومنهم من لم يجوزها، وهم الأزارقة.

هذه بعض المبادئ التي جمعت الخوارج، وبعضها التي فرقتهم إلى فرق وطوائف.

السؤال الثمانون: ما هي فرقهم، هل لك أن تعددها؟

نعم، هي كما عددها الشهرستاني:

١- **المحكمة الأولى:** وهم الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه -، وحاربهم في النهروان، ومن رؤوسهم عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية.

٢- **الأزارقة:** أتباع نافع بن الأزرق أقوى الخوارج وأشدهم وأكثرهم عدداً بعد

(١) المرجع السابق، ص١١٦.

(٢) في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص٤٦.

الخروج الأول.

٣- **النجدات العاذرية:** أتباع نجدة بن عويمر من بني حنيفة، وهو من خرج على نافع وخالفه في بعض المبادئ.

٤- **البيهسية:** أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر من بني سعد بن ضبيعة.

٥- **الشبيبية:** أصحاب شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني المكنى بأبي الصحارى، وقد غلب على الكوفة وقتل أربعة عشر أميراً من أمراء القتال في جيش الحجاج، وهم مرجئة الخوارج.

٦- **العجاردة:** أتباع عبد الكريم بن عجرد كان من أتباع عطية بن الأسود الحنفي، الذي خرج على النجدات والصلتية والميمونية من فرقهم، والميمونية قدرية ويقال: إنهم يحلون نكاح بعض المحرمات مثل: بنت البنت، وبنات أولاد الإخوة، وبنات أولاد الأخوات.

ومن فرق العجاردة:

أ. **الخمرية:** وهم من العجاردة، فكانوا قدرية أيضاً، ومن حماقاتهم قولهم: إن أطفال مخالفيهم من المسلمين في النار، وكان قول الميمونية من قبل أشدّ تهافتاً، وأكثر حماقة، حيث قالوا بأن أطفال المشركين في الجنة، وأطفال المخالفين لهم من المسلمين في النار.

ب. **والخَلَفية:** وهي منهم أيضاً، وقالوا بالجبرية.

ج. **والأطرافية:** منهم أيضاً.

د. **والشعيبية:** منهم وهم قدرية.

هـ. **والحازمية** منهم وهم قدرية.

٧- **الثعالبة:** أصحاب ثعلبة بن عامر وكان قد خرج على العجاردة، واختلف معهم في قضية أطفال المشركين، ومن أتباع الثعالبة:

٨- **الأخنسية، والمعبدية، والرشيدية، والشيبانية:** وهؤلاء كلهم قالوا بالجبر على مذهب جهم بن صفوان، والكُرمية، والمعلومية، والمجهولية، والبدعية.

٩- **الإباضية**: وهم أصحاب عبد الله بن إباض، الذي خرج في أيام مروان بن محمد، ومنهم:

١٠- **الحفصية، والحارثية، واليزيدية. والإباضية** من أكثر فرق الخوارج اعتدالاً وقرباً من أهل السنة.

١١- **الصفرية الزيادية**: أصحاب زياد بن الأصفر، وقالوا بالتَّقية.

هذه هي أهم فرق الخوارج وطوائفهم[1].

السؤال الواحد والثمانون: إن ما يلقي ضوءاً على أفكار هؤلاء، ويجعلنا نقتنع أنهم قاموا بدور هدام في المجتمع المسلم من حيث أرادوا البناء، هو أن تعطينا فكرة عن المجالات العقدية التي اختلفت عليها فرقهم، فهل لك أن تسدي هذا المعروف؟

- نعم، وبكل سرور ..

انظر يا رعاك الله وتدبر، فإني أتيتك بتفصيل ذلك.

كانت المحكمة الأولى قد خرجوا لسببين: **الأول منهما**: رأيهم في مسألة التحكيم الذي كان بعد معركة صفين؛ إذ قالوا بتكفير علي ومعاوية والحكمين وعثمان وأصحاب الجمل. وقد سبق أن قدمنا القول في هذه القضية. **والثاني قولهم**: إن الإمام يُختار اختياراً حراً، دون شرطي القرشية والعروبة، وإنما يكفي في الإمام أن يكون زاهداً عادلاً تقياً، وبعد ذلك فليكن من أي جنس كان، وهم يُعرّفون العدل والتقوى، حسب آرائهم وأهدافهم، دون مراعاة لأي ظرف أو زمان، أو حتى دون نص قاطع. فهل بقيت فرقهم التي جاءت فيما بعد متمسكة في خلافها مع المسلمين بهذين المبدأين وحسب، أم أنهم عادوا فتفرقوا ..؟

نعم، لقد تشرذمت جماعتهم و تفرقوا أيدي سبأ، وفيما يلي الأمور التي افترقت فروعهم من أجلها، وذهب كل فرع منهم مذهباً فيها:

١. القاعدون عن القتال مع الخوارج، ومن لم يهاجروا إلى صفهم.

٢. قتل أطفال المخالفين ونسائهم.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١١٥ – ١٣٧.

٣. رجم الزاني، وحدّ من قذف المحصنين من الرجال.
٤. مصير أطفال المشركين والمخالفين.
٥. التقيّة.
٦. الاختلاف في تكفير صاحب الكبيرة.
٧. العذر بالجهالة في الحكم الاجتهادي.
٨. الذنوب وعواقبها.
٩. القدر.
١٠. نكاح المحرمات.

هذه هي جملة الموضوعات التي اختلفت فرق الخوارج فيها، بعد خروجهم الأول زمن التحكيم بين علي ومعاوية -رضي الله تعالى عنهما- في صفين. وفيما يأتي تفصيل خلافاتهم:

أ. قال الأزارقة بتكفير القاعدين، أو الذين لم يهاجروا إليهم، وأباحوا قتل نساء وأطفال المخالفين على اعتبارهم مشركين أيضاً[(١)].

كما قالوا بإسقاط حد الرجم عن الزاني المحصن؛ لأنه لم يرد في القرآن[(٢)]، كما أسقطوا حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال[(٣)]، كما قالوا بعدم جواز التقية في القول والعمل[(٤)].

ب. وقالت النجدات العاذرية بدخول من خالفهم النار، وأسقطوا حد الخمر، وعدّوا المصرّ على الذنب مهما صغر ذلك الذنب مشركاً، أما مرتكب الكبيرة من أتباعهم كشارب الخمر والسارق، إذا لم يصر على فعلها فهو مسلم، وأعذر نجدة أتباعه إذا أذنبوا بأمور اجتهادية. وقالوا بالتقية في القول والعمل كله، وأجمعوا على أنه لا حاجة للناس إلى إمام، بل يتناصفون فيما بينهم، وقال نجدة: إن القعود عن القتال

(١) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٥.
(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٢١.
(٣) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص٥.
(٤) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١٢٢.

معهم جائز، لكن الجهاد أفضل إذا أمكن، وهو بذلك خالف الأزارقة.

ج. أما البيهسية، فقد قال أبو بيهس -زعيمهم -: الإيمان هو العلم والإقرار وليس العمل، وقال بعضهم: إن كل ذنب لم يقع فيه حدٌّ فهو مغفور، ولا يُكفَّرُ بالذنب، حتى يكون الواقع فيه عالماً به. وقالوا: أطفال المؤمنين مؤمنون، وأطفال الكافرين كافرون، وفئة منهم تقول: ليس لله في أعمال العباد مشيئة. وبعضهم قال: السُّكْرُ كفر إذا انضم إليه كبيرة أخرى.

د. وأما العجاردة، فقد قالوا ببراءة الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، وأطفال المشركين مع أبائهم في النار، وهم يتولون القاعدين، و يرون الهجرة فضيلة لا فريضة، ولا يكفرون من لا يهاجر أو يجاهد معهم، ولكنهم يكفرون بالكبائر، ويقولون بأن سورة يوسف ليست من القرآن، وإنما هي قصة من القصص، ومن فروع هؤلاء من قال بإثبات الفعل إلى العبد خلقاً وإبداعاً، وأن الله تعالى يريد الخير ولا يريد الشر، وأنه تنزه وتعالى ليس له شأن في معاصي العباد، وهؤلاء هم الميمونية أصحاب ميمون بن خالد، حيث قالوا أيضاً بنكاح بنات أولاد البنات، وبنات أولاد الإخوة، وأطفال المشركين عندهم في الجنة. والخمرية من العجاردة قالوا بأن مخالفيهم من المسلمين وأطفال المشركين في النار، ومنهم من قال بالجبر مثل الشعيبية.

هـ. وأما الثعالبة، فليس لهم حكم في الأطفال، بل هم على براءتهم ولا يُدْعَون حتى يبلغوا. وفي بقية الأمور فهم كالعجاردة، ومنهم من قال بالجبر مثل الشيبانية على مذهب جهم بن صفوان. ومنهم الكُرَمِيّة، قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة ليس بارتكابها، ولكن بالجهل بالله تعالى[1] وهم لا يحكمون على الإنسان إلا حين حضور الوفاة؛ لأنه لا يُعلم على ماذا بقي إلا وقت الوفاة.

و. وأما الإباضية، فقالوا بأن المخالفين من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، وغنيمتهم عند الحرب من السلاح حلال، وما سوى ذلك فحرام، وحرام

---

(١) كل ما ذكر في الصفحة عدا الأرقام أعلاه هو مقتبس من الملل والنحل، (ص١٢٢ - ١٣٣).

قتلهم وسبيهم في السر إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة. وقالوا في مرتكب الكبيرة: إنه موحد غير مؤمن، وتوقفوا في أطفال المشركين وجعلوا أمرهم إلى الله. ومنهم طائفة اليزيدية أصحاب يزيد بن أنيسة، قال: بأن الله سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً، ويترك شريعة المصطفى.

ز. وأما الصفرية الزيادية، فهم لم يكفروا القاعدين، ولن يسقطوا الرجم، ولم يقولوا بكفر أطفال المشركين وقتلهم، أو خلودهم في النار. وقالوا بالتقية في القول دون العمل، ولا يكفرون بالكبائر، أما ترك الصلاة والتولي من الزحف فهو يكفر عندهم، وجوزوا زواج المسلمة من كافرإذ كان قومها في دار التقية.

السؤال الثاني والثمانون: ما هي المواصفات (النفسية - السلوكية) التي صنعت أصول الخوارج وعقائدهم؟

من خلال استعراض عام لعقائد هؤلاء وأفكارهم و ممارساتهم، نلاحظ أن غالبيتهم طبعت بطابع العنف والانفعال، والسذاجة والحماقة في الأحكام، حكمتهم فيها طبيعتهم الجافية الفردية، والروح القبلية الرافضة لهيمنة قريش، وكذلك الاتجاه الحرفي الظاهري غير المتعمق في روح النصوص ومراميها والأولويات، إلى آخر ما هنالك من مواصفات.

كما نلاحظ من خلال اعتقادهم وأحكامهم علماً ضحلاً، و فقهاً سطحياً يلتزم بشدة بظاهر الأحرف والألفاظ. ومع هذا، فإن أجواءهم لم تخل من بعض التأثر بالفرق الغالية؛ فاليزيدية منهم قالت: بعدم ختم النبوة، وبوجود رسول جديد بعد نبينا محمد - ﷺ-. وكذلك، فإن الميمونية أباحت نكاح المحرمات من مثل: بنات أولاد الأولاد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات. كما أن السبئية دفعتهم دفعاً في البداية في أجوائها إلى حد قتل عثمان - رضي الله عنه -. إلا أننا بالعموم نستطيع القول: إن أهم ما يؤخذ عليهم هو مفارقتهم الجماعة، وإعلانهم الحرب على المسلمين، و محاولة تدمير مجتمعهم لأسباب كان من الممكن التفاهم بشأنها بالحوار، غير أن ما جعلهم يندفعون بمنهجهم غير المتبصر، هو نظرتهم المتعالية على المسلمين، وتنصيب أنفسهم حكاماً وقضاة؛ يكفرون هذا،

ويخرجون ذاك من الملة، وينصبون بناءً على هذه الأحكام الفجة رايات الحرب والقتال، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وما علموا أنهم بذلك مارسوا عملية تدمير الذات، اعتماداً على أفكار كان نصيبها من العلم والفهم والفقه ضئيلاً وأنت تلاحظ انتقال هذه المواصفات في فئات من المسلمين على مرّ التاريخ، وحتى يوم الناس هذا، وهو ما دفعنا إلى التفصيل في هذا الكتاب بشأن هؤلاء، ولعله يكون عظة ومرجعاً للاعتبار والمراجعة.

السؤال الثالث والثمانون: هل لك أن توضح بالأمثلة المواصفات العامة لهؤلاء؟

أضرب لك مثلاً على ذلك قصتين مشهورتين، تبينان مواصفات السلوك العام لهؤلاء، كما توضحان قلة بضاعتهم العلمية والفقهية، وتنطعهم في الأحكام، وقد ذكرنا فيما سلف إحدى هاتين القصتين، وهي قتلهم عبد الله بن خباب، ومجيئهم إلى بستان نخيل ورفضهم الأكل منه إلا بثمنه، وقول النصراني صاحب النخيل لهم: أتقتلون عبد الله وترفضون أكل ثمرة؟!

أما القصة الثانية، فأنقلها هنا كاملة:

في رواية عكرمة بن عمار، عن سماك بن رميل قال: قال عبد الله بن عباس: إنه لمّا اعتزلت الخوارج، ودخلوا داراً وهم ستة آلاف، وأجمعوا على أن يخرجوا على علي بن أبي طالب، فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول: يا أمير المؤمنين، إن القوم خارجون عليك. فيقول: دعوهم، فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم أتيته قبل صلاة الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم. فقال: إني أخاف عليك. فقلت: كلا، وكنت رجلاً حسن الخلق، لا أؤذي أحداً، فأذن لي، فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن، وترجلت، فدخلت عليهم نصف النهار، فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً، جباههم قرحة من السجود، وأياديهم كأنها ثفن[١] الإبل، وعليهم قمص مرحضة[٢]، مشمرين، مسهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحباً بابن عباس، ما جاء بك ؟ فقلت: أتيتكم من عند

---

(١) الثفن: ركبة البعير الغليظة من أثر البروك عليها .

(٢) المغسولة بالعرق.

المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله - ﷺ-، وعليهم نزل القرآن، هم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وانظر إلى هذا الفهم العليل للنص!

فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه. فقلت: هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله - ﷺ- والمهاجرين والأنصار، وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد، وهم أعلم بتأويله.

قالوا ثلاثاً. قلت هاتوا. قالوا: أما إحداهن فإنه حَكّم الرجال في أمر الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل. فقلت، هذه واحدة. وماذا ؟ قالوا: وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم، فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم، ولم يحل لنا سبيهم ؟ قلت: وما الثالثة ؟ قالوا: فإنه محا عن نفسه (أمير المؤمنين)، فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين. قلت: هل عندكم غير هذا ؟ قالوا: كفانا هذا. قلت لهم: أما قولكم حَكّم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا، فإذا نقض قولكم، أترجعون ؟ قالوا: نعم. قلت: فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثم أرنب، وتلا هذه الآية: ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [المائدة: ٩٥] إلى آخر الآية. وفي المرأة و زوجها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥] إلى آخر الآية، فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبُضع امرأة فأيهما ترون أفضل ؟ قالوا: بل هذه. قلت: خرجت من هذه ؟ قالوا: نعم. قلت: وأما قولكم قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم. فتسبون أمكم عائشة - رضي الله عنها - فوالله لئن قلتم ليست بأمّنا، لقد خرجتم من الإسلام، و والله لئن قلتم لنسبينها، ونستحل منها ما نستحل من غيرها، لقد خرجتم من الإسلام، فأنتم بين ضلالتين؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ ٱلنَّبِيُّ

أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ [الأحزاب: ٦].

يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، فقال لعلي – رضي الله عنه –: اكتب لهم كتاباً، فكتب لهم علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله. فقال المشركون: والله ما نعلم أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك. فقال رسول الله – ﷺ–: اللهم إنك تعلم أني رسول الله، امح يا علي واكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، فوالله لرسول الله خير من علي، وقد محا نفسه، قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقُتلوا[1].

هذا ولما أراد الحسن بن علي حقن دماء المسلمين، والتنازل عن الخلافة ومبايعة معاوية، عقد الصلح وذلك تحقيقاً لحديث رسول الله – ﷺ- الذي أشار إلى أن الحسن – رضي الله عنه – سيد يحقن به الله دماء المسلمين، خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان وقال: أشركت كما أشرك أبوك، ثم طعنه في أصل فخذه[2].

وانظر إلى المفارقة العجيبة في موقف عبد الرحمن بن ملجم -لعنه الله- لما جيء به ليُقتل، قُطع لسانه فجزع، فقيل له: لِم تجزع؟ فقال: أكره أن أكون في الدنيا مواتاً لا أذكر الله ![3]، فهو لم يكترث بقتله لأمير المؤمنين، تلك الفعلة التي تخلده في النار واستعظم قطع لسانه؛ لأن القطع يجعله منقطعاً عن ذكر الله ..!! إنه فهم عجيب غريب للإسلام والإيمان عمل ومازال يعمل تخريباً و تشويهاً لصورة الإسلام.

السؤال الرابع والثمانون: هل لك أن تتفضل بتعداد أهم رجالهم؟

لا بأس، فإن في الإجابة على هذا السؤال زيادة في البيان والفائدة.

عبد الله بن الكواء، وعتاب بن الأعور، وعبد الله بن وهب الراسبي، وهو أول من بويع أميراً للمؤمنين عليهم، وعروة بن جرير، ويزيد بن أبي عاصم المحاربي، وحرقوص بن زهير البجلي المشهور بذي الثدية. وهؤلاء هم زعماء المحكمة الأولى الذين قادوا اثني

---

(١)تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٩٣ / ٩٤.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص٩٤.

عشر ألفاً من الخوارج في النهروان ضد علي - رضي الله عنه-، وأول سيف من سيوفهم سيف عروة بن جرير. وقد نجا يوم وقعة النهروان، وقتله زياد بن أبيه عندما أتى إليه مع مولى له، وقد وصفه مولاه بما يوضح مزيداً من صفات هؤلاء، فقال: (ما أتيته بطعام في نهار قط) كناية عن أنه دائم الصيام، (ولا فرشت له فراشاً بليل قط) كناية عن القيام، (هذه معاملته واجتهاده، وذلك خبثه واعتقاده).

ومن رجالهم: أبو راشد نافع بن الأزرق، زعيم الأزارقة، وكان معه: عطية بن الأسود الحنفي، وعبد الله بن الماحوز، وأخواه عثمان والزبير، وعمرو بن عمير العنبري، وقُطري بن الفجاءة المازني، وعبيدة بن هلال اليشكري، وأخوه محرز بن هلال، وصخر بن حبيب التميمي، وصالح بن مخراق العبدي، وعبد ربه الكبير، وعبد ربه الصغير، وكلهم من أمراء الخوارج، ومعهم ثلاثون ألف فارس.

ومن رجال الخوراج نجدة بن عامر الحنفي زعيم فرقة النجدات، والهيصم بن جابر زعيم البيهسية، ومن أتباعه الحكم بن مروان، وشبيب النجراني، وصالح بن مسرح، وشبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني (أبو الصحارى).

ومن الرجال المشهورين عند الخوارج: عبد الكريم بن عجرد، زعيم فرقة العجاردة، ومن أصحابه عثمان بن أبي الصلت، وميمون بن خالد، وحمزة بن أدرك، والحسين بن الرقاد، وخلف الخارجي، وغالب بن شاذك، وعبد الله السديوري، ومحمد بن رزق، وشعيب بن محمد، وحازم بن علي، وكل هؤلاء أمراء طوائف من العجاردة سميت بأسمائهم.

ومن أمرائهم المعدودين: ثعلبة بن عامر زعيم الثعالبة، الذين انشقوا على العجاردة، ومن رجاله: أخنس بن قيس، ومعبد بن عبد الرحمن، وشيبان بن سلمة، ومكرم بن عبد الله العجلي، ويحيى بن أصدم، وكلهم أمراء فرق في جماعة الثعالبة. ومن مشاهيرهم: عبد الله بن إباض زعيم الإباضية، خرج في خلافة مروان بن محمد أواخر حكم الأمويين، ومن أتباعه الذين ترأسوا فرقاً من الإباضية: حفص بن أبي المقدام، والحارث الإباضي، ويزيد بن أبي أنيسة[1].

ومنهم زياد بن الأصفر زعيم الصُّفْرِية. ومن رجالهم المتقدمين: عكرمة، وأبو

(١) كل ما ذكر من كتاب الملل والنحل، (ص١١٥ _ ١٣٦) .

هارون العبدي، وأبو الشعثاء، وإسماعيل بن سميع. ومن المتأخرين: اليمان بن رباب، وعبد الله بن يزيد، ومحمد بن حرب، ويحيى بن كامل. ومن الشعراء: عمران بن حطان، وحبيب بن مرة.

ومنهم أيضاً: جهم بن صفوان، زعيم الجهمية الغالية، وغيلان بن مسلم الدمشقي، من زعماء الغالية، وهو زعيم فرقة الغيلانية القدرية المرجئة.

السؤال الخامس والثمانون: ما هي أهم معاركهم؟

هذا سؤال هام أيضاً، والإجابة عليه كما يأتي:

أولاً: مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:

أ. معركة النهروان: وقد جرت في صفر من عام ٣٨هـ، قادهم فيها عبد الله بن وهب الراسبي، وهزموا فيها شر هزيمة، ولم يَنْجُ منهم إلا أعداد قليلة.

ب. معركة الدسكرة: وقد دارت في ربيع الثاني من عام ٣٨هـ على أرض خراسان، قادهم فيها الأشرس بن عوف الشيباني، وهزموا فيها مرة ثانية.

ج. معركة ماسبذان: التي جرت عام ٣٨هـ بعد شهر من الدسكرة (جمادى الأولى)، قادهم فيها هلال بن علفة وأخوه مجالد، وهزموا مرة ثالثة.

د. معركة الكوفة، وقد جرت في رمضان من عام ٣٨هـ، وقادهم فيها أبو مريم، وهزمهم فيها جيش أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه-.

ثانياً: مع الأمويين:

أ. التمرد الداخلي في العراق على الدولة الأموية، وكان بقيادة سهم بن غالب التميمي، والخطيم الباهلي، وامتد التمرد من (٤١هـ إلى ٤٦هـ) وقضى على تمردهم زياد بن أبيه.

ب. ثم كانت لهم ثورات على الأمويين كهبات، تنتهي بالإخفاق والهزيمة، مثل ثورة المستورد بن علقة على الكوفة أيام المغيرة بن شعبة عام ٤٣هـ.

وثورة قريب الأزدي في البصرة عام ٥٠هـ، وثورة خوارج بني عبد القيس في عام ٥٨هـ، و ثورة حيان بن ظبيان السلمي قرب الكوفة، وفيها قتل الخارجون جميعاً عام ٥٩هـ.

وثورة الأهواز عام ٦١هـ، قادها مرداس بن أدية (أبو بلال)، وانتهت بالهزيمة ومقتله، ثم ثورة الأزارقة عام ٦٤هـ في البصرة والأهواز.

وثورة قطري بن الفجاءة بالأهواز عام ٦٩هـ، وفي عامي ٧٦ و ٧٧هـ، تمكنوا بقيادة شبيب بن يزيد بن نعيم من إيقاع هزائم عديدة بجيش الحجاج بن يوسف الثقفي. وقد أضعفت الثورات المتعاقبة الكثيرة الدولة الأموية، كما أوجدت أرضية خصبة لتكوين الفرق الكثيرة الضالة الشعوبية، التي يتربص أصحابها بالدولة الإسلامية، فكانوا بثوراتهم تلك عامل هدم وتدمير واستنزاف لقوى المسلمين.

ثالثاً: في العهد العباسي:

١- ثورة الإباضية في عُمان في عهد أبي العباس السفاح بقيادة الجلندي، وقد هزمهم حازم بن خزيمة عام ١٣٤هـ .

٢- وفي عام ١٣٧هـ ثار الخوارج في الجزيرة بين دجلة والفرات، بقيادة ملبد بن حرملة الشيباني، وذلك في عهد المنصور، الذي غلبهم عام ١٣٨هـ، بعد أن هزموا عدة حملات للعباسيين.

٣- وفي تونس، و في عهد المنصور ثار إباضية تونس، وعلى رأسهم أبو حاتم الإباضي، وقتلوا عمر بن حفص بن أبي صفرة أخا المهلب قائد المنصور، فبعث إليهم المنصور يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة، الذي مكث خمسة عشر عاماً حتى أخمد ثورتهم وتغلب عليهم كذلك.

٤- وثاروا على المهدي في خراسان عام ستين ومئة، ولكنه تغلب عليهم، وفي عام ثمانية وستين ومئة هجرية ثاروا عليه في الجزيرة .

٥- وثاروا في الجزيرة في عهد الرشيد عام ١٧١هـ، بقيادة الصحصح، لكن الرشيد تغلب عليه وقتله.

٦- وفي عام ١٧٨هـ ثاروا على الرشيد في الجزيرة مرة أخرى، بقيادة الوليد بن طريف الخارجي، ولقد كان لقتال العباسيين الدائم لهم والهزائم الكبيرة التي أوقعوها بهم في جميع أطراف الدولة أثر كبير في نهايتهم واندثار وجودهم القتالي في التاريخ.

السؤال السادس والثمانون: هل للخوارج وجود حتى اليوم؟

لقد انتهت من الوجود جميع فرق الخوراج التي عددناها، إلا فرقة الإباضية، الذين ما يزالون يسكنون بعض أنحاء العالم الإسلامي؛ في عمان وفي تونس والجزائر وزنجبار، وبعض بقايا وأعداد قليلة في أنحاء متفرقة من الوطن العربي، إلا أن هؤلاء اعتدلوا في مذهبهم، واقتربوا من مذاهب أهل السنة، و نبذوا العنف من سلوكهم.

السؤال السابع والثمانون: أنت قلت: إن استعادة سيرة هذه الفرق إنما هو للعبرة والفائدة، وأخذ العظات والدروس، فما العظة والدروس المستفادة من سيرة الخوارج؟

نعم، إن الزبدة من هذه الدراسة تكمن في الإجابة على سؤالك هذا، فاصغ لي واستوعب ما أقول:

لقد ذهبت فرق الخوارج كوجود مادي ملموس، وتركت لنا تراثاً من الأحداث، التي لو أنها درست واستوعبت وفهمت على حقيقتها، لما قام مسلم بتكرار الغلو الذي تبناه هؤلاء، ولما سار أحد على الدرب الذي ساروا عليه، بل لاستفاد الناس من تلك السيرة لحاضرهم ومستقبلهم، فحاولوا تجنيب مجتمعاتهم الويلات والكوارث، التي يجرها الغلو، وممارسة العنف وسيلة وحيدة مفضلة من أجل الإقناع.

إن حياة الخوارج وتاريخ جلادهم لهو عبرة كبرى للمسلمين؛ حاكمين ومحكومين، هذه العبرة تدعو الجميع كي يقفوا ويتأملوا، ويستوعبوا الدروس المستفادة.

فهل فعل المسلمون اليوم (حاكمون ومحكومون) هذا الذي يجب أن يفعلوه من أجل إنقاذ مجتمعاتهم المعاصرة ؟

إنني أعتقد أن قطاعات هامة من مجتمعاتنا والمسؤولين فيها لم يستوعبوا الدروس، ولم يستفيدوا من العبرة، وعادوا يكرون بخطاهم على درب امتلأت بالدماء والحمق والغلواء، وسوء فهم بعضهم للبعض الآخر، دون حساب للنتائج والعواقب، ودون تبصر بمعنى الخسارة التي تلحق بالطرفين.

فالخوارج بغلوائهم أفنوا أنفسهم في الدنيا، وخسروا آخرتهم بقتل المسلمين

واتهامهم بالكفر والخروج من الملة، والحكام لو استطاعوا استيعاب الهجمة الشرسة للخوارج - ومنهم من كان مخلصاً في هذا السبيل، وبالذات أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - إلا أنه لم يجد المعين على ذلك - لجنبوا مجتمعاتهم الكثير من المآسي، ولما استنزفوا قواهم في حروب وخلافات داخلية، لم تؤد إلا إلى إضعاف هيبتهم وقواهم أمام عدوهم الخارجي والداخلي. وتجربة ابن عباس - رضي الله عنه - في الحوار معهم كانت نتائجها مشجعة، فلو أنها اتخذت منهجاً في التعامل معهم، لجنب المسلمون أنفسهم ويلات و حروباً كثيرة.

واليوم .. نعم اليوم، ماذا كان ؟

انظر إلى مساحة الوطن العربي والإسلامي فماذا ترى؟

إنك لترى قطاعات عديدة من المسلمين لم يستوعبوا الدرس، وراحوا يغرزون راياتهم في المواقع نفسها التي غرز فيها الخوراج راياتهم، وراحوا ينطلقون من مثاليات أوجدتها في عقولهم مطالعات دينية قاصرة، يمسكون بأطراف النصوص، وشواذ الآراء والمفاهيم، ويلوون أعنة المكتوبات، كي تأتي موافقة لأهدافهم وما أنتجته عقولهم قليلة الزاد من الفقه.

وحتى ننصف هذا الاتجاه، وحتى لا يكون الكلام مجرد تحامل عليهم، نقول: لقد جاء هذا الجيل العربي والإسلامي إلى الحياة، فوجد نفسه تحت مطرقة هاجس أمني للحاكم شديدة الوطء؛ فالسلطات الاستبدادية طالت رؤوس الجميع، وكممت الأفواه كلها، إلا الأفواه التي تجدف في الاتجاه نفسه، الذي يريده سلطان الدولة؛ فأي نقد أو أي توجه لمحاولة التصحيح، ينزل عند الحاكم في خانة الاحتكاك مع ما يُصور أنه ماسٌ بأمن أصحاب الأمر والنهي في العديد من البلاد.

وفي النتيجة فإن الجيل الحالي وجد نفسه مقيداً، و أمام أبواب إما أنها موصدة أو أنها صعبة الانفتاح، وبدلاً من أن يحاول هذا الجيل الطرق على الأبواب الموصدة بالوسائل التي لا تفضي إلى استفزاز الآخر وردعه عن أخطائه بالوسائل الحادة، أو أن يحاول بالطرق السليمة الحكيمة فتح الأبواب الصعبة، أقول بدلاً من ذلك انقسم الجيل إلى أربع فئات:

١ - فئة تسلحت مباشرة بوسائل الخوارج من التكفير والعنف و الخروج، وتفسير الإسلام باتجاه واحد لا يقبل الاختلاف، وذلك انطلاقاً من فقه ضحل، وعقل متحجر، وقد أخذت هذه الفئة تمارس بين الحين والآخر عملية تدمير الذات، وذلك دون أن تكلف نفسها عناء تجريب طريق الصبر، والحفر على الصخر، الذي يكون بطيئاً عادة، ولكنه يترك أثراً لا يمحى، خاصة إذا تسلح بالكلمة الطيبة والنية الخالصة لله. وهذه الفئة هي التي تذكرنا في كل آن بما جنته يد الخوارج على أمة الإسلام والمسلمين، من حيث أرادوا الصلاح والإصلاح، لكنهم أخطؤوا الطريق، وضلوا السبيل، وأفْتَوا بما أدخلهم في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي رواه مسلم في صحيحه: قال علي - رضي الله عنه -: إذا حدثتكم عن رسول الله - ﷺ- فلئن أَخِرَّ من السماء أحب إليّ من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله - ﷺ- يقول: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية[1]، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة ... ».

وفي رواية أخرى لمسلم في صحيحه عن علي أيضاً، تحديدٌ أكثر لصفات هؤلاء إذ يقول رسول الله - ﷺ-: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض»[2].

هذا وقد عقب ابن كثير صاحب التفسير بتعليقه على أقوال الخوارج في البداية والنهاية، المجلد الرابع، الجزء السابع، ص٢٩٦، طبعة دار الكتب العلمية بقوله:

---

(١) أي يتكلمون كلاماً ظاهره طيب.

(٢) وهو ذو الثدية حرقوص بن زهير البجلي أحد زعمائهم، وقد كان كذلك، وهذا الحديث من دلائل النبوة.

(وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان الله من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥]، والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضُّلال والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس) .

٢- وفئة أخرى على عكس هذه أخذت من الطريق أقصره، وسلمت بكل شيء، وصفقت حتى للجريمة والظلم، على أمل أن تصل إلى ما تعدُّه هدفاً، ناسية واجبها الإسلامي والوطني، وأن حق أمتها عليها أن تقدم النصح، وأن تنتقد الخطأ، وأن تقول ما يؤدي بالوطن إلى التقدم. فكان وبال هذه الفئة على الأمة أشد وأعتى ونتائج عملها أكبر أذىً وتخريباً ..

٣- وفئة ثالثة اغتربت، وتناوشتها شتى الأفكار والمبادئ، فراحت تحاول الاستيراد من هنا وهناك، وتلفق لهذه الأمة قوانيناً وأفكاراً غريبة تلصقها بالتقدم والعصرنة والعلم، وهي لم تدر أنها بهذا الذي فعلت وتفعل إنما قامت بما قام به الغراب من دور، عندما دعا أترابه من الغربان للتدرب على قفزات العصافير التي أعجب بها، فلا هو استطاع التعلم، ولا هو استطاع العودة إلى مشيته فضاع وضيّع.

٤- وأما الفئة الرابعة من هذه الأمة، فهي الفئة المستنيرة بأفكار عصرها، المهتدية بهدي دينها، المتئدة الخطو، المتبصرة بما تحتاجه هذه الأمة من ترسيخ خَطوها على هدي الإسلام، ومن ثم نقل هذا الخطو على ضوء من علوم العصر، بأفئدة تمتلئ بالخوف من الله، وقلوب تنبض بحب هذه الأمة، والحرص على رفعتها وتقدمها، وأن تكون الرائدة بين الأمم، الواصلة إلى شاطئ الأمان في نهاية المطاف، أمان الدنيا والآخرة.

إن هذه الفئة لا تنظر إلى المستقبل بعين واحدة، كما تفعل كل التيارات التي ضمتها الفئة الثالثة المغتربة، إنها تنظر بعين الدنيا لتقوم بخلافة إعمار الأرض، وتنظر بعين الآخرة

ليكون هذا الإعمار لصالح البشرية، غير مبني على مصلحة محلية ضيقة، أو مصلحة إقليمية قومية عصبية شوفينية، أو أهداف عدوانية استعمارية فوقية.

إنها كالربان الماهر الحذق، الحريص على الوصول إلى الميناء وسط العواصف والأنواء والنجاة بسفينته، فهو مفتوح العينين، وحاضر الفؤاد، ويقظ الجوارح، مبدع الأفكار، يستنير بعلمه، ويهتدي باستيعاب وعصرنة خبرته وتاريخه وتراثه، وينظر إلى مقام سعيد للبشرية، فيأخذ ما ينفعه لهذا المقام، ويدع كل ما يضر .

هذه الفئة من ناسنا وأهلنا، نالها ما نالها من محن وإحن وأذى من جميع الأطراف، حتى من الفئة الإسلامية التي رتبناها كأول فئة، وذلك لسببين **الأول**: أن أعمال الفئة الأولى الطائشة المشهورة وغير المتروية دمغت بسماتها كل فئات المسلمين دون تفريق. **والثاني**: أن تلك الفئة الأولى راحت تكيل التهم للفئة الرابعة، وتلصق بها شتى الأوصاف ومنها الكفر.

ومن هنا كان خطر الفئات التي تحذو حذو الخوارج في عصرنا هذا، وتنتهج نهجهم وترفع رايتهم في وجه المجتمعات الإسلامية، فالكفر حاضر لإلصاقه بكل من خالفهم الرأي، هذا من ناحية نظرية، وأما ما يترتب على هذا الموقف النظري فيتراوح بين أمرين: إما المقاتلة والقتل، وإما العزلة و الانسحاب من الحياة. وفي كلتا الحالتين خسارة للحركة الإسلامية وأي خسارة، وبخاصة إذا علمنا أن أعداء الإسلام أخذوا من جديد يسيرون بخطة جديدة لضرب الإسلام والدعوة إلى الله. ومن أهم وسائل هذه الخطة إيقاع هؤلاء المتهورين في حبائل استخدام القوة والسلاح، كيفما اتفق وفي كل آن وحين، دون تبصر بالنتائج والظروف والإمكانات، وذلك وهم توهمه (أصحاب الخطة) ابتغاء تحطيم الدعاة و من يواجههم، وتشويه سمعتهم، وتعويقاً وتقويضاً لأمن وأمان وتقدم و قوة مجتمعاتنا.

لقد تجافى أصحاب هذا الاتجاه غير المهتدي عن الاتعاظ بسيرة الخوارج، الذين أمضوا قرابة قرنين من الزمان يحملون راية التكفير، ويرفعون السيوف بشجاعة نادرة المثال، وبتضحية وإخلاص لما كانوا يحملون من أفكار، لا يمكن أن يصل إليها أي حامل لمبدأ، إلا أنهم في النهاية ذهبوا بعد أن قتلوا ودمروا وخربوا، ودعوا كل ذي غرض إلى أن

يتجرأ ويفعل مثل ما فعلوا، وكانوا قدوة سيئة لكل نفس مريضة، تمتلئ بالأحقاد، كي يتخفى وراء شعار من الشعارات الإسلامية، ومن ثم ليحمل السلاح في وجه كل الناس ليس له هدف إلا التدمير.

ثم مضوا غير مأسوف عليهم، بل أكثر العلماء قالوا: بلعنهم، فهم قد بدؤوا فتنة الإسلام ومحنته، وهم الذين قال عنهم رسول الله - ﷺ-: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية».

ولا يفهمن البعض من هذا أنني أدعو إلى السكوت عن الحق، والدعوة إلى مهادنة الباطل !

لا .. ولكنني أعني مما قلت، أن نكون مستنيرين متبصرين، لا نستعجل الأمور وأن نكون الأطباء النطاسين الرحيمين أمام المرضى. فهل يجهز هؤلاء الأطباء على مرضاهم، أم يعالجونهم بالذي فتح الله عليهم من علاج شافٍ يراعي الظرف والوقت والوسيلة المناسبة ؟ لا أظن عاقلاً يقول إلا بالثانية.

ولو أن الخوارج في وقتهم استمعوا لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- عندما قال لهم: جئتكم من عند مَن نزل عليهم القرآن، وهم أعلم بتأويله منكم، جئتكم من عند الأنصار والمهاجرين، وليس فيكم أحد منهم، جئتكم من عند صهر رسول الله - ﷺ-.

لو أن الخوارج فهموا هذه المعاني، وعرفوا قدر أنفسهم، وأنهم أقل من علي - رضي الله عنه - وبقية الصحابة فهماً للنصوص، واستطاعة لاستيعاب معانيها ومراميها، وأنه ليس لكل واحد حفظ نصاً أن يقفز أمام الأفذاذ، ويضرب به وجوههم، ويقول لهم هذا ما أراده الله ورسوله، لو أن الخوارج استوعبوا كل هذه المعاني، وأعطوا لأنفسهم حجمها وقدرها وحدودها، وكظموا غيظهم، وحاصروا فرديتهم، ولينوا جفاءهم، لتغير وجه تاريخ المسلمين، والله أعلم.

وها هي اليوم تنجم في سماء الدعوة الإسلامية المتنامية رؤى، وعلى تخوم تلك الرؤى الخارجة روح الفردية القاتلة، ونزعة الاستعلاء الحافية النابعة من قلة الزاد والثقافة، المتغذية من دمن الحماقة والاستخفاف بكل ما هو متروٍ ومتزن.

وفي هذا السياق يمكنني القول: إنه من الأفضل لكل متوجه بالإسلام أن يقرأ سيرة

الخوارج بتمعن وتمهل، ودون خلفيات وأحكام مسبقة، ليعرف أين يضع قدمه قبل أن ينقلها.

و في الوقت نفسه، لا بد لكبراء العلماء المثقفين النابهين المهتدين من توجيه كلمة خالصة لوجه الله، لا يبتغون من ورائها إلا مرضاته، ثم مصلحة الأمة وتقدمها، يوجهونها إلى كل من ولاه الله مسؤولية من المسؤوليات في قيادة هذه الأمة؛ كي يتقي الله فيها، وأن يكون طبيباً معالجاً، وأباً حانياً رحيماً، قبل أن يكون مسؤولاً يحيط مسؤوليته بهالة من الأمن تضرب وجوه الناس الذين يحاولون تصحيح المسارات، أو يعبرون عما يجيش في نفوسهم تجاه ما يقع من ظلم أو تصرفات تضر بالمصلحة العليا للأمة والأوطان.

وفي هذا مصلحة محققة للقائمين على الأمور، وتساعد على استمرارهم وبقائهم، وبذلك يتحقق نماء الأمة وتقدمها بخطى سليمة وصحيحة و الله أعلم؛ لأن العنف دائماً يولد العنف، وهي سلسلة لا تنتهي إلا بتدمير طرفيها دائماً، ليكن التاريخ لنا عظة، إذ إن الخوارج رغم القضاء عليهم، فقد فتحوا في جسد الأمة جراحاً لم تندمل آثارها التدميرية حتى اليوم، حيث فتحت المنافذ لكل فئة أو فرد في رأسهم أو رأسه موّال يريد أن يغنيه على مزاجه، وذلك من مثل الفرق النصيرية والإسماعيلية والبهائية و البابية والإمامية، التي ظلت حتى اليوم تنخر في صفوفنا. ولتكن الأحداث الجارية اليوم من ثورات وانتفاضات عظة وعبرة للجميع، والله أسأل أن يحفظ أمتنا من كل سوء، وأن يعيدها إلى جادة الصواب، آمين.

الباب الثالث

تيار الانبهار ببضاعة الغير

المعتزلة



السؤال الثامن والثمانون: من أين أتى اسم المعتزلة؟

أقول لك: إن للعلماء في تسمية هذه الفرقة مذاهب؛ أولها ما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي إذ قال:

(والمعتزلة من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم (أهل السنة والخوارج)[1] فهذا أحد الآراء، أما الرأي الآخر، فقد صرح به الفيروز أبادي أيضاً، إذ قال: (أو سماهم به الحسن «يعني البصري»، لما اعتزله واصل بن عطاء وأصحابه إلى إسطوانة من إسطوانات المسجد، وشرع يقرر القول بالمنزلة بين المنزلتين، و أن صاحب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً، ولا كافراً مطلقاً، بل هو بين المنزلتين، كجماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل)[2].

وهناك رأي ثالث في أصل تسميتهم، ذكره الشهرستاني أيضاً في الملل والنحل باب المعتزلة، كما أن هناك رأياً رابعاً يقول بأن أصل المعتزلة قديم، يعود إلى اعتزال عدد من الصحابة علياً – رضي الله عنه – حيث قالوا: بأنه لا يحل القتال معه ولا ضده، ومن هؤلاء سعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وغيرهم – رضي الله عنهم جميعاً –. ويقول هذا الرأي: إن هؤلاء هم أسلاف المعتزلة، وهذا الرأي ضعيف وغير منطقي، فهولاء الصحابة لم يجتهدوا في العقائد كما فعل معتزلة واصل ومن قبله. وسواء أكانت أسباب التسمية هذا السبب أو ذاك، فإن ما يهم هو ما اعتقده هؤلاء وما تركوه من آثار في التفكير الإسلامي، بدأ منذ ظهورهم ثم امتد وظل يعمل في فكر الكثيرين حتى أيامنا هذه.

السؤال التاسع والثمانون: إذن فعليك أن تسرع لتقول لنا :كيف بدأت ونشأت هذه الفرقة في التاريخ؟

في البداية أحب أن أورد كلمة قالها الأستاذ أبو الحسن الندوي – رحمه الله – في كتابه: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ لما فيها من توضيح لمقدمات نشوء فرقة

(١) القاموس المحيط، (د.ت)، الفيروزأبادي، (د.ط)، (د.ن)، مادة عزل، ج٤، ص١٥.

(٢) المصدر السابق ، المادة نفسها، ج٤، ص١٥.

المعتزلة، وإليك الكلمة: (قد كان الأنبياء عليهم السلام أخبروا الناس عن ذات الله وصفاته وأفعاله وعن بداية هذا العالم ومصيره، وما يهجم عليه الإنسان بعد موته، وأتاهم علم ذلك كله بواسطتهم عفواً دون تعب، وكفوهم مؤونة البحث والفحص في علوم ليس عندهم مباديها ولا مقوماتها، التي يبنون عليها بحثهم، ليتوصلوا إلى مجهول؛ لأن العلوم وراء الحس والطبيعة لا تعمل فيها حواسهم، ولا يؤدي إليها نظرهم، وليست عندهم معلوماتها الأولية .

لكن الناس لم يشكروا هذه النعمة، وأعادوا الأمر جذعة، وبدأوا البحث آنفاً، واستأنفوا رحلتهم في مناطق مجهولة، لا يجدون فيها مرشداً ولا خِرّيتا، وكانوا في ذلك أكثر ضلالاً وأشد تعباً)[1].

وعلق الأستاذ الندوي – حفظه الله – على ذلك بقوله:

(فلم ينقض القرن الأول، ولم ينقرض الجيل الإسلامي الأول، – الذي تلقى الدين من النبي ﷺ–، وكانوا كما وصف عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: (أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً) – حتى أولع الناس في مسائل الذات والصفات، وأثاروا مسائل ليست عندهم وسائل الوصول إليها، ومؤهلات الحكم عليها، وكان ذلك بتأثير الفلسفة اليونانية، التي لم تكن إلا مجموع خواطر، لا تقوم على أساس علمي، طِلّسماً من كلمات ومصطلحات يروع الإنسان، فإذا افتقده لم يجده شيئاً).

ومن المقدمة والتعليق عليها نستطيع معرفة نشأة و مبتدى أمر المعتزلة، فهناك معرفة إسلامية نبوية عن الله وذاته وصفاته، طرحت جانباً، وأطلق العنان للعقل القاصر ليخوض في ساحات الغيب، فيحكم فيه حكم الشاهد على مسائل لا هي محسوسة ولا ملموسة، ولا مطروقة علمياً بوسائل وأساليب صحيحة، وذلك بعيداً عما جاد به الوحي من معرفة وعلم رباني أكيد، وكل ذلك تأثراً بفلسفة، لم تمتلك في هذه الأمور إلا هلوسات وطلاسم غير مفهومة ولا معقولة، ولم تأت بخبر يعوّل عليه أو يركن إلى جواره. إنها مقدمات منطقية وأجوبة جافة عقلية تجريدية توهم المبهور أن أصحابها حازوا العلوم

---

(١)رجال الفكر الدعوة في الإسلام، (١٩٨٣)، أبو الحسن الندوي، (ط٧)، دار القلم، الكويت، ص١١٤.

الكبرى .. فإذا اتصلت بهاتف الاطمئنان والحق .. وجدتها هشة متداعية، مرتكسة في حمأة من ظنون وتخمينات بعيدة عن مرتكزات الحق القوي الثابت المستمر، الذي نزل به الوحي من الله، وتلاه الأنبياء على بني البشر، ففي أوائل القرن الهجري الثاني ١٠١هـ وصل واصل بن عطاء الغزال من المدينة إلى البصرة، وانضم إلى درس الحسن البصري في مسجدها، وكان قد أخذ العلم من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، وكان واصل من الموالي.

وفي ذلك الوقت كان قد احتدم الجدل حول بعض الأفكار، وحمي الصراع من أجلها، ومن هذه الأفكار مصير مرتكب الكبيرة، حيث كان الحسن البصري أستاذ واصل يَعُدُّ مرتكب الكبيرة منافقاً. أما واصل فقد اتخذ في القضية رأياً آخر، فقال بالمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة، واعتزل درس الحسن، واتخذ له عموداً آخر في المسجد، أخذ يلقي تعاليمه عنده، ومن هنا بدأت المعتزلة كفرقة منظمة لها زعيم وتنظيم وأتباع. إلا أن أفكار المعتزلة لم تنشأ في ذلك الوقت (وقت قيام واصل بالدعوة لها)، بل إنها كانت قائمة قبل ذلك[1].

ولقد علمنا من فصول سابقة أن الخوض في قضية مرتكب الكبيرة، بدأت منذ عهد علي - رضي الله عنه -، وقال فيها الخوارج كلمتهم.

كما أن إنكار الجبر وحرية الإنسان في الاختيار، ونفى أزلية الصفات عن الله، وأن الله عالم بذاته وليس بصفة سابقة أزلية له، وكل هذه الأفكار جاءت من جعبة القدرية السابقة للمعتزلة، في القرن الأول الهجري، حتى إن بعض المستشرقين عَدّ المعتزلة والقدرية شيئاً واحداً، مثل (دي بوير و دوزي و نلينو و فون كريمر و شتينر وهوتسما)[2] وإنهم - أي المعتزلة - امتداد للقدرية في القرن الثاني الهجري. .

ومهما يكن من رأي فإن واصل بن عطاء الغزال، تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، هو أول من أرسى قواعد الاعتزال، وبدأ فكرة ذات أصول وقواعد وأتباع، وقد ولد هذا عام ٨٠هـ و توفي عام ١٣٢هـ، وهو إذن الذي أنشأ فرقة المعتزلة،

---

(١)الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص١٤٨.

(٢) دراسات في الفرق والعقائد، د. عرفان عبد الحميد، ص١٠٦.

فرقة كلامية استعملت الفلسفة، وأدخلت مصطلحاتها وتعاريفها في العقيدة الإسلامية؛ انبهاراً منه بمنطقيات اليونان وفلاسفتهم، مما جرَّ على الأمة الإسلامية وعقيدة الإسلام في قابل الأيام ضرراً كبيراً، وحرجاً ضيقاً، لم تفلت منه إلا بصبر علماء أهل السنة والجماعة، وصمودهم أمام عاتيات المحن والإحن، وبدلاً من أن تكون العقيدة بسيطة سهلة الفهم والتذوق، أصبحت على أيدي هؤلاء ومقتبساتهم اليونانية معقدة، تحكمها مقدمات منطقية وبراهين عقلية تجريدية، تنبو عن فهم الإنسان العادي، وينفر منها طبع الفطرة الأصلية، وتهرب من حرارة العواطف الجياشة التي تدعو إلى التمسك والعمل.

السؤال التسعون: ألا تعرج بنا على أفكار هؤلاء وما حاولوا بثه؟

كيف لا، وهذا هو المعوّل عليه في البحث كله، وإني إن شاء الله لموجز لك أفكارهم بما يأتي: إن أصول هؤلاء التي تجمعهم، وتميزهم عن غيرهم من الفرق خمسة أصول:

١. **العدل:** وتتلخص فكرتهم عن هذا الأصل بقولهم: إن الإنسان هوخالق أفعاله وأقواله، بحرية اختيار أوجدها الله فيه، لذا فإن فكره الجزاء: الثواب والعقاب من الله فكرة عادلة بما أن الإنسان حر مختار أوكل إليه الله خلق أعماله من خلال حرية الاختيار، وهذا ما يردون به على الجبرية، الذين قالوا بأن الله هو خالق أعمال الإنسان، ومن هنا جاءت فكرة الجور التي قال بها أعداء الإسلام ووصفوا بها الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢. **التوحيد:** وهو يقوم - برأيهم - على نبذ كل ما يوهم بتعدد القديم، أو مماثلته للمحدثات، ومن هنا رفضوا قدم الصفات، فقالوا بعلم الله علماً ذاتياً، ليس بصفة العلم القديمة، وقالوا بقدرة الله الذاتية، ليس بصفة القدرة القديمة، وقالوا بسمع الله سماعاً ذاتياً، ليس بصفة السمع القديمة، وبناءً على ذلك رفضوا فكرة رؤية الله بالأبصار في الدنيا والآخرة، وقالوا بأن كلام الله مخلوق، لرفضهم صفة التكلم القديمة، وقولهم بأن الكلام محدث ليس قديماً، وهكذا في كل الصفات.

إن الأصول الفلسفية اليونانية واضحة في هذه التعليلات، وقد كان هذا الأصل

(التوحيد) رداً منهم على المجسمة والمشبهة.

٣. **الوعد والوعيد:** وهذا الأصل جاء رداً منهم على المرجئة، الذين كانوا يقولون بأن الحكم على الإنسان في الدنيا رجم بالغيب، ويجب إرجاؤه إلى يوم القيامة، يوم الحساب، عندها يحكم في مصير الفرد، فجاء المعتزلة، وقالوا بأن من أطاع الله دخل الجنة حتماً؛ لأن وعد الله بذلك صدق، وأن من عصاه دخل النار وخلد فيها، إذا كانت ذنوبه كبيرة ولم يتب عنها قبل موته. وقد رتبوا على ذلك القول بإنكار نفع الشفاعة للفسقة، وقصروها على المؤمنين، إذ أنها (أي الشفاعة) لا تفيد في الإخراج من النار إلى الجنة، وإنما يكون أثرها فقط في درجات النعيم، وأن العمل وحده الذي يحسم قضية الإنسان ومصيره.

ولكن: أين رحمة الله التي جاءت في القرآن وفي حديث رسول الله ؟ وأين ذلك من آيات القرآن: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]؟

٤. **المنزلة بين المنزلتين:** وهذا الأصل هو الذي جعل واصل بن عطاء ينشق ويعتزل مجلس الحسن البصري، ويلتزم أهل العدل والتوحيد.

وهو يعني: حكمهم على مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين الكفر والإيمان، وهو خالد في النار، إلا أنه في عذاب دون عذاب المشركين، بينما قال الحسن البصري بأنه فاسق منافق، وقالت المرجئة بأنه فاسق مؤمن، وقالت الخوارج بكفره.

وقد يسمون هذا الأصل (الأسماء والأحكام)؛ لأنه يتعلق بأسماء مرتكبي الكبائر وأحكامهم[1].

٥. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** وهو أمر يتفق فيه كل المسلمين نظرياً، ويختلف المعتزلة عن غيرهم فيه بقولهم بالنهي عن المنكر والأمر بالمعروف بكل الوسائل التي وردت في حديث رسول الله - ﷺ- (اليدواللسان والقلب)، وبناءً

(١) تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، ص٥٣.

عليه فقد أجازوا الخروج المسلح على الدولة، على خلاف مع كثير من أهل الحديث والشيعة.

هذه هي الأصول الخمسة التي اتفقوا عليها، ولكنهم اختلفوا على بعض الفروع والتفسيرات والتخريجات، فأصبحوا فرقاً كثيرة.

السؤال الواحد والتسعون: لقد عددت أصولهم، فجزاك الله خيراً، فهل لك أن تبين جذور هذه الأفكار ومنابعها؟

هذا ما كان يراود أفكاري قبل أن تسأل، لكن إشارتي إلى استمدادهم الأفكار من الفلسفة اليونانية، في إجابتي جواباً على سؤال سابق، جعلني أحجم عن الاقتراب من موضوع الجذور، وقلت: لعل الأخ اكتفى بما جاء، وكفتني تلك الإشارة مؤونة الكلام عن الجذور ..!

غير أن سؤالك من جديد عنها يدل على أنك تطلب المزيد من البيان، وبناء عليه فإني سأجيب بإيجاز، مكتفياً ببعض النقول، ثم التعليق السريع.

١- (كان عقل المعتزلة عقلاً حاداً جافاً فلسفياً، وأضعف نقطة فيه أنه يراد أن نفرض على العامة فرضاً، ويراد أن تكون الأمة فلاسفة، تعرف الجوهر والعرض، والكمية والكيفية، والمحدود واللامحدود، والوحدة والتعدد، والمكان والجهة، وإلى الآن لم يخلق الله أمة كلها فلاسفة على هذا النمط، ولا أدري إن كان ذلك في مصلحة الإنسانية أولاً)[1].

إذن هي فكرة أبوها وأمها الفلسفة، وأدواتها ومصطلحاتها كما تلاحظها من الفلسفة اليونانية .

٢- (ويختلف الباحثون في أن المسلمين تأثروا في قولهم بخلق القرآن باليهودية، كما روى ابن الأثير، أو بالنصرانية تقليداً لقولهم في عيسى أنه كلمة الله)[2].

وإذن فبعض أفكار المعتزلة مثل: (خلق القرآن) ذات جذور يهودية أو نصرانية.

---

(١) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج٣، ص١٢.

(٢) أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي، نقلاً عن ضحى الإسلام لأحمد أمين، ج٣ .

٣- ويميل بعض المفكرين إلى أن السبئية الباطنية ذات الجذور اليهودية، قد استغلت المعتزلة، ونشطت من خلالهم، فقال: إن بشر المريسي من زعماء المعتزلة، يهودي أسلم، وسيطر على عقل المأمون، فأدخل إليه قضية خلق القرآن، وكان أبوه صبّاغاً يهودياً في الكوفة، وقد استدل أولئك على هذا ببعض النقول:

قال الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد: (رأيت بشر المريسي مرة، فوجدته شيخاً قصيراً، دميم المنظر، وسخ الثياب، وافر الشعر، أشبه شيء باليهود، وكان أبوه يهودياً صباغاً بالكوفة، في سوق المراضع، ثم قال: لا يرحمه الله فقد كان فاسقاً. وقال الخطيب أيضاً: دخل الشافعي على أمير المؤمنين وعنده المريسي، فقال أمير المؤمنين للشافعي ألا تدري من هذا؟ هذا بشر المريسي، فقال الشافعي لبشر أدخلك الله في أسفل سافلين، مع فرعون وهامان وقارون، فقال المريسي: أدخلك الله أعلى عليين مع محمد وإبراهيم وموسى، قال محمد بن إسحاق: فذكرت هذه الحكاية لبعض أصحابنا، فقال لي: ألا تدري أي شيء أراد بقوله: إنه يقول ليس ثمة جنة ولا نار)[1]. وعلى كل حال فإنه من الواضح أن صلة المعتزلة بالفلسفة اليونانية مؤكدة خصوصاً في أهم مبادئهم وأفكارهم، المتمثلة بإعطاء العقل سلطة على كل شيء حتى على النص، وهي فكرة يونانية غربية لا جدال في ذلك ولا مراء.

ولا نقول: إن واصل بن عطاء وأوائل المعتزلة كانوا سيئي النية ابتداءً، لا بل إن الانبهار الذي أصابهم أمام سطوة الأفكار اليونانية والعقل جعلتهم ينزلقون شيئاً فشيئاً، ولا يُستبعد كما مرّ معنا أن دخل اليهود وأصحاب الفكر الباطني على خط هذه الحركة فدفعوها نحو التخريب والتدمير، حيث دسوا عليها فكرة خلق القرآن، والمبالغة في دور العقل، وإلغاء ما يخالفه من عقائد الإسلام، مثل الشفاعة وغيرها. وإن انبهار البعض اليوم بفكر الغرب المؤسس على فلسفة اليونان، هو الذي يؤدي بهؤلاء إلى الابتعاد عن جذور الأمة و إلى تصورهم الذليل القائل بأن ليس من تقدم إلا باتباع الغرب في كل شيء، وهو ما حدث مع أجيال المعتزلة في نهاية الأمر.

---

(١) أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي، ص١٣٣

السؤال الثاني والتسعون: أريد شيئاً عن علاقاتهم في المجتمع من حولهم، جزاك الله خيراً؟

أنا طوع طلبك وأمرك، سيما أن ما تطلبه يلقي ضوءاً عى اتجاهات هؤلاء وأفعالهم في المجتمع.

١- كان لواصل بن عطاء مؤصل فكرهم عملياً، تربية أولية مع آل البيت، إذ تتلمذ – كما قلنا – على أبي هاشم (عبد الله بن محمد بن الحنفية)، هذا وقد صادق بعد وصوله إلى العراق الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الجسين بن علي بن أبي طالب، ويقال: إن زيداً أخذ عن واصل، أو أنه تأثر به على الأقل، وقد عاشا في عصر واحد، وولدا عام ٨٠هـ[(١)]، وقد أخذ الإمام زيد برأيه في المنزلة بين المنزلتين[(٢)].

٢- وإذا كان أمر علاقة واصل بن عطاء بالإمام زيد ثابتة في البصرة، فإن أفكار واصل الجديدة في الأصول كانت هي أفكار من لازمهم من آل البيت، وفي ذلك دليل على أن واصل بن عطاء الذي تتملذ على أبي هاشم (عبد الله بن محمد بن الحنفية)، كما أوضحنا آنفاً، قد أخذ بعض أفكاره في الأصول عنهم، وما يزيد هذا الكلام تأييداً هو أن مذهب المعتزلة في بعض العقائد هو مذهب الزيدية ومذهب الاثني عشرية في الجملة، والله أعلم من الذي أخذ من الآخر، هل هم المعتزلة أم الشيعة، وأولئك النفر من آل البيت[(٣)].

وهذا الكلام يؤيد ما ذهبنا إليه من أن بداية المعتزلة كانت ضمن الفهم المعقول، ولما تقدم بها الزمن راحت أفكار أصحاب الأهواء تغزوها وتشوه مبدأها.

٣- أما فيما يتعلق بعلاقة المعتزلة مع الغالية، فإننا نؤكد أنهم ما قاموا بداية إلا من أجل الرد على الغلاة، ولكن ردات الفعل تُدخل على الإنسان بسبب الحماسة الشديدة للرأي كثيراً من الأفكار غير الممحصة أو غير المدروسة، ثم مع الزمن

---

(١) الإمام زيد، محمد أبو زهرة، ص١٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٣) وهذا ما أثبته الأستاذ أبو زهرة في كتابه الإمام زيد، ص٤٠ / ٤١.

تدخل على الرأي أفكار ذوي الأغراض والنوايا المدخولة، وحينئذ يكون الانحراف والخروج والابتعاد شيئاً فشيئاً عن المنابع.

٤- ولقد نقل الأستاذ الدكتور محمد عمارة عن قاضي القضاة (عبد الجبار بن أحمد الهمذاني - ٤١٥هـ) إجابات عن أسئلة، تبين بإيجاز علاقة فرقة المعتزلة بغيرها من أصحاب الأهواء والفرق الأخرى، وذلك في عهود المتأخرين من هذه الفرقة، والقاضي عبد الجبار هو من أبرز متأخريهم يقول القاضي:

(إنه لا خلاف أن المخالف لنا لا يعدو أحد هذه الأصول) ألا ترى:

- أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل في التوحيد و هو هنا يشير إلى مبدئهم (نفي أزلية الصفات الإلهية).
- وأن خلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل و هنا إشارة إلى مبدئهم في (أن الإنسان يخلق أفعاله فكان العدل في الجزاء).
- وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد (إشارة إلى حكمهم على فعل الإنسان في الدنيا قبل الآخرة).
- وخلاف الخوارج دخل تحت اسم المنزلة بين المنزلتين (إشارة إلى قولهم: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والإيمان).
- وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] (إشارة إلى قولهم باستخدام كل الوسائل حتى القتال والثورة في الرد على الحاكم الظالم).

ومن هذا الإيجاز يتبين للقارئ أن المعتزلة كانت علاقتهم بمن حولهم من الفرق علاقات رد ودفاع عن الإسلام تجاه الانحرافات التي يرونها، ويعدونها انحرافات، رغم أنهم قد يتفقون في بعض الأصول مع هذه الفرق فهم اختلفوا مع الخوارج بقضية مرتكب الكبيرة؛ إذ اعتقد الخوارج بكفر مرتكبها، بينما هم اعتقدوا بالمنزلة بين المنزلتين، إلا أنهما اتفقا في الخروج والثورة واستخدام السلاح.

وخلافهم مع الإمامية بقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو أن الإمامية لا

(١) تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، ، ص٤٧.

يرون الخروج بالسيف على الإمام الظالم، إلا مع إمامهم المنتظر، بينما المعتزلة لا يشترطون هذا الشرط للخروج، وفي الوقت نفسه اتفقت الإمامية والمعتزلة على بعض الأصول الآخرى، وهكذا قِسْ على ذلك بقية الفرق باستثناء أصحاب الأهواء.

٥- أما علاقتهم بالحكام في عصرهم، فيمكن تلخيصها بثلاث فترات:

الأولى في العهد الأموي وأوائل العهد العباسي: وكانت علاقتهم بالحكام في هذه الفترة علاقة ثورة؛ فقد شاركوا في ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج، وقد شارك فيها ممن حمل أفكار العدل والتوحيد الاعتزالية: معبد الجهني، والجعد بن درهم، وسعيد بن أبي الحسن[١]، وذلك عام ٨٥ هـ.

كما شاركوا في ثورة الحارث بن سريج ضد هشام بن عبد الملك، وشاركوا في ثورة زيد بن علي ضد هشام بن عبد الملك عام ١٢٢هـ، وكان زيد يُعدُّ منهم[٢].

كما قاد يزيد بن الوليد الخليفة الأموي المعتزلي ثورة، أتت به إلى الحكم، وطبق أثناء ذلك مبادئ المعتزلة، من الشورية والعدل[٣].

وقاد محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي (النفس الزكية) وهو ممن يحملون فكر الاعتزال ثورة على المنصور العباسي عام ١٤٥هـ[٤].

الثانية في وسط العهد العباسي: عهد المأمون والمعتصم والواثق، حيث توغل المعتزلة كثيراً في الفلسفة وابتعدوا عن السيرة المقبولة لأوائلهم، وكان هذا العهد عهد عصورهم الذهبية؛ فقد أصبح قائدهم عبد الله بن أبي دؤاد مشيراً ومحركاً للخلفاء الثلاث، وأصبح أتباعه هم رجال الدولة المتنفذين، وطرحت في هذا العهد إشارة استفهام كبيرة على المعتزلة؛ إذ عاضدوا الخلفاء الذين جاؤوا بغير الشورى التي يعتقدونها، كما ظلوا يحاولون إقناع الخلفاء بتبني فكرة خلق القرآن، وفرضها بالقوة على الناس، حتى أفلحوا في ذلك منذ عهد المأمون، الأمر الذي يخالف مبادئ حرية الرأي والتفكير التي

---

(١) المرجع السابق، (ص٨٠ - ٨٦) .

(٢) المرجع السابق، (ص٨٠ - ٨٦).

(٣) المرجع السابق، (ص٨٠ - ٨٦).

(٤) المرجع السابق، (ص٨٠ - ٨٦).

كانوا ينادون بها نظرياً، ولم يكتفوا بذلك بل أوقعوا بعض العلماء في محنة مات منهم اثنان فيها، وعذب واحد وسجن، وهو أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -، الذي صمد حتى زالت الغمة في عهد المتوكل العباسي.

الثالثة في عهد المتوكل العباسي وما بعده: وفي هذا العهد اضمحل كيانهم وأثرهم، وأبعدوا عن مواطن التأثير والحكم، ونفي رأسهم أحمد بن أبي دؤاد، حتى إن شهاداتهم أسقطت أمام القضاء. ثم في عهد الخليفة القادر (٣٨١ -٤٢٣ هـ) صدر كتاب عنه سماه: (الاعتقاد القادري)، أصبحت المعتزلة من خلاله فكرة مُجرَّمة محرَّمة[١].

السؤال الثالث و التسعون: جزاك الله خيراً على هذا البيان الموجز والمعبر، والآن نريد أن تعدد لنا بعض الرؤوس البارزة من رجالهم، فهل لك أن تتفضل بذلك ؟

وهل أستطيع رد سؤالك؟ فإليك بياناً عن بعض رؤوسهم وقياداتهم .

- واصل بن عطاء «أبو حذيفة» وهو من الموالي، ولقبه الغزّال، وهو مؤسس الفرقة والاعتزال عملياً (٨٠ - ١٣٢ هـ)، وابتدأ حركته بأربعة أصول كان منها القول بالقدر، الذي سبقه إليه كل من معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وكان واصل من تلاميذ الحسن البصري، فاختلف معه على مصير مرتكب الكبيرة، إذ كان الحسن يعدّه منافقاً فاسقاً، بينما قال واصل بالمنزلة بين المنزلتين، واعتزل الحسن، وتبعه كثيرون، ومنهم عمرو بن عبيد، أبرز تلاميذ الحسن، وبذلك سمي هؤلاء بالمعتزلة[٢].
- حمدان بن الهذيل العلاف «أبو الهذيل» (١٣٥ - ٢٢٦ هـ)، مولى عبد القيس وشيخ المعتزلة البصريين، وتلميذ عثمان بن خالد الطويل المعتزلي، الذي أخذ الاعتزال عن واصل، ويقال: إن واصلاً أخذ الاعتزال إما من أبي هاشم عبد الله به محمد بن الحنفية، أو من الحسن البصري، وقد اختلف عن أصحابه بعشر قواعد سنأتي على ذكرها[٣].

---

(١) المرجع السابق، (ص٨٠ - ٨٦) .

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص٤٦ / ٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص٤٩.

- إبراهيم بن سيار بن هانئ الملقب بالنّظّام، وكان يعمل بنظم الخرز في سوق البصرة، توفي عام ٢٣١ هـ، خالط الفلاسفة وأصحاب الأهواء، وأخذ منهم بعض الأفكار، وهو من موالي الزياديين.
- أحمد بن خابط والفضل الحدثي، من أصحاب النظّام، زادا عليه، توفي الأول عام ٢٣٢هـ، والثاني ٢٥٧هـ[١].
- بشر بن المعتمر، انفرد عن أصحابه بست أقوال، وأحدث القول بالتولد، وأفرط فيه، وتوفي سنة ٢٢٦هـ[٢].
- معمر بن عباد السلمي، توفي عام ٢٢٠هـ، وهو من أعظمهم فرية في نفي الصفات[٣].
- عيسى بن صبيح (أبو موسى)، الملقب بالمردار، تلميذ بشر بن المعتمر، راهب المعتزلة، توفي عام ٢٢٦هـ[٤].
- ثمامة بن أشرس النميري، سخيف الدين، خليع النفس، ويقال: إنه هو الذي أغوى المأمون بالاعتزال، انفرد ببدعتين كفرته الأمة بهما، وكان زعيم القدرية في زمن المأمون والواثق والمعتصم[٥].
- هشام بن عمرو الغوطي، توفي عام ٢٢٦هـ، بالغ في القدر[٦] وهو من الموالي.
- عمرو بن بحر (أبو عثمان)، الملقب بالجاحظ وله بعض البدع[٧].
- أيوب بن أبي تميمة السختياني (١٣١هـ)، من موالي عنزة ويكنى بأبي بكر[٨].
- عطاء بن يسار (٩٤هـ)، من موالي ميمونة بنت الحارث الهلالية، زوج الرسول

---

(١) المصدر السابق، ص٥٣.
(٢) المصدر السابق، ص٦٤.
(٣) المصدر السابق، ص٦٥.
(٤) المصدر السابق، ص٦٨.
(٥) المصدر السابق، ص٧٠.
(٦) المصدر السابق، ص٧٢.
(٧) المصدر السابق، ص٧٥
(٨) تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة ، ص٦٣

ﷺ[1].

- وأبو النضر سعيد بن أبي عروبة (١٥٧هـ)، من موالي بني عدي بن يشكر[2].
- محمد بن إسحاق (١٥١هـ)، من موالي بني العنبر من بني تميم.
- مكحول الدمشقي (١١٣هـ)، من سبي كابل مولى امرأة من هذيل.

هذه نخبة من أعلام المعتزلة، لم نأت فيها على حصر رجالهم، بل أردنا إعطاء فكرة عن مدى استقطاب المعتزلة للأعلام من المسلمين.

ونريد أن نعلق على ذلك بالقول: إن كثيراً من هذه الأسماء لم يوغل إيغالاً شديداً في قضايا المعتزلة، بل كان المؤرخون يضيفون صفة الاعتزال إلى عالم لمجرد خوضه في إحدى قضايا القدر، ومصير مرتكب الكبيرة، لذلك فإن نسبة بعض الأسماء إلى الاعتزال فيها من الإيهام، فيرجى الانتباه، ومن الممكن أن نتبين ذلك من خلال شرح اختلاف المعتزلة أثناء تعداد فروعهم.

السؤال الرابع والتسعون: وما هي فروعهم التي قامت بناءً على اختلافهم؟

كان المعتزلة أول مدرسة كلامية في الإسلام، أدخلت الفلسفة على علوم العقائد، ووضعت البراهين التي استعملت المنطق الفلسفي، للوصول إلى التدليل على صحة العقائد الإسلامية، وجعلت العقل حكماً مرموقاً في إدارة دفة الفكر والجدل والمناظرة، حتى في الأصول والعقائد، وقد كان اعتماد المعتزلة بداية على العقل هيناً ليناً، دون مغالاة ولا انفعال ولا خروج، لكن هذا الطريق الذي سلكوه بداية، وكان يساعدهم على مناظرة أهل الغلو والأهواء والملاحدة، قاد بعضهم مع الزمن إلى أن ينزلق بمتأخريهم إلى السقوط الفكري، وحشو دفاعاتهم بأفكار غريبة غالية، خصوصاً أنه قد دخل عليهم ما دخل على الفرق من تنطع، ومغالاة وغربة في العقائد وتعقيد لها، وإخراجها عن بساطتها، نقول هذا رغم كل ما قاموا به من خدمة للعقيدة الإسلامية في بدايات انطلاقهم.

---

(١) المرجع السابق، ص٦٣

(٢) المرجع السابق، ص٦٣

وهكذا، فقد أصابهم في النهاية ما أصاب الخوارج وغيرهم من انقسام على بعضهم، وانفراد التلميذ عن أستاذه ببعض البدع التي تميزه، فينشئ مدرسة جديدة تسمى باسمه، وإليك أسماء هذه المدارس منقولة عن الملل والنحل.

١. **الواصلية:** وهي أصل المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء، و قد جئنا على ذكر أفكارهم الأصلية.
٢. **الهذيلية:** أصحاب أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف، شيخهم ومقدمهم وتلميذ تلميذ واصل بن عطاء عثمان بن خالد الطويل، وقد تميز هؤلاء بقولهم: إن الله هو صفاته، بدلاً من نفي الصفات التي قال بها واصل
٣. **النظامية:** نسبة إلى إبراهيم بن سيار بن هانئ النّظّام.
٤. **الخابطية:** نسبة إلى أحمد بن خابط صاحب النظام.
٥. **الحدثية:** نسبة إلى الفضل الحدثي صاحب النظام.
٦. **البشرية:** نسبة إلى بشر بن المعتمر.
٧. **المعمرية:** نسبة إلى معمر بن عباد السلمي.
٨. **المردارية:** نسبة إلى عيسى بن صبيح (المردار).
٩. **الثمامية:** نسبة إلى ثمامة بن أشرس النميري.
١٠. **الهشامية:** نسبة إلى هشام بن عمرو الغوطي.
١١. **الجاحظية:** نسبة إلى الجاحظ عمرو بن بحر.
١٢. **الخياطية:** نسبة إلى أبي الحسين بن أبي عمرو الخياط.
١٣. **الكعبية:** نسبة إلى أبي القاسم بن محمد الكعبي.
١٤. **الجبائية:** نسبة إلى أبي محمد بن عبد الوهاب الجبائي.
١٥. **البهشمية:** نسبة إلى ابن الجبائي أبي هاشم عبد السلام.

تلك قائمة أسماء فرق المعتزلة مختصرة منقولة من الملل والنحل.

السؤال الخامس والتسعون: الآن حان الوقت لتبين لنا كيف عمل التيار الانبهاري من خلال شذوذ أفكاره؟

انقسم المعتزلة إلى بغداديين وبصريين. فكان البغداديون يحملون هوىً علوياً، والبصريون يحملون هوىً عباسياً، وهؤلاء هم الذين عملوا سياسياً وأصبحوا أصحاب الدولة في عهود المأمون والمعتصم والواثق، أما البغداديون فقد بقوا على التصاق أكثر عملياً بالأصول الخمسة.

ولقد ترتبت على توجيه المعتزلة البصريين للدولة في عهود الخلفاء الثلاثة، مضار سياسية وعقائدية: فمن الناحية السياسية: فقد جاروا تيار الوراثة في الحكم ودعموه، كما أنهم اتبعوا أسلوب الاستبداد والظلم، وفرض الآراء العقائدية الشاذة، عن طريق السلطة وقوتها وهيمنتها، مثل قصة خلق القرآن، ومحنة أحمد بن حنبل.

ومن الناحية العقائدية استطاعوا الانتشار، وبث أفكارهم الشاذة، التي كثرت وتنامت في هذا العصر، مدعومين بالسلطة القوية.

أما هذه الأفكار فلا بأس أن نستعرض أهمها في هذا المجال:

١- قالوا باستحالة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، بخلاف قول أهل السنة والجماعة، وقد بنوْا هذا القول على أصل التوحيد، الذي بنوْا عليه أيضاً تنزيهاً لله يشبه العدم. فهم عندما يقولون عن الله: إنه ليس جسماً، ولا شبحاً، ولا جثة، ولا صورة، ولا لحماً، ولا دماً، ولا شخصاً، ولا جوهراً، ولا عرضاً، ولا بذي لون، ولا بذي طعم، ولا برائحة، ولا بمجسة، ولا بحرارة، ولا ببرودة، ولا برطوبة، ولا بيبوسة، ولا بطول، ولا بعرض، ولا بعمق، ولا باجتماع، ولا بافتراق، ولا يسكن، ولا يتحرك، ولا يتبعض، ولا بذي أبعاض، ولا بذي أجزاء، ولا بجوارح، ولا بأعضاء، وليس بذي جهات، ولا بذي يمين، ولا شمال، أو أمام، أو خلف، أو فوق، أو تحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان[1]، إلخ. هذا الكلام الذي

(١) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، عبد الله أمين، ص١١٨، نقلاً عن مقالات الإسلاميين للأشعري، قسم المعتزلة.

يجعل السامع يصل إلى نتيجة مفادها: أن الموصوف غير موجود، وذلك بسبب المبالغة في التنزيه، الذي أرادوه، وكما قلنا فإن ردة الفعل على فعل إن لم تكن متروية ومدروسة لا تأتي بخير، وبذلك هم شذوا في تنزيه الله عما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.

٢- أنكروا شفاعة الرسول - ﷺ- يوم القيامة، إذ قالوا: بأنه لا عفو إلا بتوبة، ومادام أن الإنسان لم يتب عن ذنبه في الدنيا فلا شفاعة له في الآخرة، و إنما الشفاعة تكون للمؤمنين في درجاتهم التي في الجنة فقط، وهذا شذوذ عن موقف أهل السنة. وقد بنوا هذا القول على أصل الوعد والوعيد عندهم.

٣- وعلى أصل التوحيد والتنزيه بنوا قولهم بنفي الصفات لله تعالى، إذ كان رأيهم: إن القول بصفات قديمة لله يصل بنا إلى تعدد الآلهة، لذا وخروجاً من هذا المأزق - على حد فهمهم - قالوا: بأن الصفات ليست إلا الذات، شاذين بذلك عن أهل السنة و الجماعة .

٤- اعتمدوا في استدلالهم لإثبات العقائد على العقل، وحكموه في كل شيء، فما قبله العقل فهو حسن، وما رفضه فهو قبيح، بخلاف الأَصل عند أهل السنة والجماعة القائل: بأن ما حسنه الشرع فهو الحسن، وما قبحه الشرع فهو القبيح، وذلك خروجاً من اختلاف العقول والأزمنة؛ فإن العقول لا يمكن أن تتفق بمجموعها على الحسن والقبيح، كما أن اختلاف الزمان والمكان يغيران في الحكم على القبيح والحسن، فيصبح القبيح والحسن تحت رحمة الأهواء، وتغير الأفهام وهذا يولد من الفوضى ما لاحدود له في المجتمعات، وهو سبب دمار الأخلاق في المجتمعات الغربية، وقد دخل هذا المبدأ عند المعتزلة من أبواب عديدة؛ فأصول أكثرهم غير العربية، واتصالهم الوثيق بأصحاب الحضارات من غير الإسلاميين، وخلطهم الفلسفة في العقائد (إذ أنهم كانوا أرباب نقل هذه الفلسفة إلى العربية)، كل ذلك كان سبباً في تبنيهم تحكيم العقل تحكيماً مطلقاً، وتأويلهم للنصوص التي لا تدخل تحت إمكانيات العقل - برأيهم - لتتلاءم مع تفسيراته وتقع تحت حكمه.

وبناءً على ذلك فقد حكموا بأن الله لا يفعل إلا الصلاح، وأن الباطل أو الشر أو

الظلم ليس من فعله وذلك قولهم: إن فعل الصلاح والأصلح واجب لله تعالى.

٥- نفوا عذاب القبر وبذلك شذوا عن إجماع الصحابة والتابعين[١].

٦- قالوا ببدعة خلق القرآن على خلاف قول أهل السنة والجماعة.

٧- قالوا: إن الله عز وجل يشاء ما لايكون، ويكون ما لا يشاء، وبذلك شذوا عن إجماع المسلمين، الذين يقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وهذا القول منهم له جذره في عقائد المجوس، الذين يقولون بإلهين: واحد يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وعندهم الله يخلق الخير، والإنسان يخلق الشر، وهذا مصداق حديث رسول الله - ﷺ-: «القدرية مجوس هذه الأمة»[٢].

٨- وقد وصل الأمر ببعضهم مثل أحمد بن خابط، والفضل الحدثي، أن قالا بإلهين للناس صراحة، أحدهما قديم وهو الله، والثاني مخلوق وهو المسيح، واعتبروه ابن الله كما تقول النصارى، وأنه هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة، وهو المقصود في الآية:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢].

وقالا بأن (المسيح) هو الذي خلق آدم على هيئة نفسه، وأنه هو المعني بالحديث: «ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[٣]. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٩- وقال ابن خابط والحدثي بالتناسخ، وأن الإنسان يعذب بتقمصه بصورة أخرى، وتكون الصورة حسب ذنوبه، فكلما كثرت الذنوب ازدادت الصورة الجديدة قبحاً، وإذا قلت كانت أحسن !!

١٠- وقد وصل معمر بن عباد السلمي إلى القول بعجز الله عن فعل الأعراض، فهو خلق الجواهر، وأما الأعراض فإن الجواهر هي من صنعها وخلقها، أي أن الله خلق الأجسام وهي الجواهر، وهي خلقت أعراضها، وكمثال على ذلك فهم

---

(١) من مقدمة كتاب الإبانة، أبو الحسن الأشعري.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص١٦٦.

يقولون: إن الله خلق النار، ولم يخلق الإحراق، بل النار هي التي تحدث الإحراق، والشمس هي التي تخلق الحرارة، والقمر يخلق الألوان، وهكذا .. تنزه الله وتعالى عن هذا الضلال، الذي يكفر من يعتقده.

وقد وصل الأمر بمعمر إلى القول: إن الله لم يخلق موتاً، ولا حياة، ولا صحة، ولا سقماً، ولا قوة، ولا عجزاً، ولا لوناً، ولا طعماً، ولا رائحة، ولا أمراً، ولا نهياً، ولا شريعة أصلاً!![1].

١١- هذا وقد وصل الأمر بعيسى بن صبيح (المردار) إلى تكفير كل من على الأرض، بانياً ذلك على إيمانهم بأن أفعالهم من خلق الله، حتى الذي يقول: لا إله إلا الله معتقداً أن فعله هذا خلقه الله، فهو كافر،

فلما قال له إبراهيم بن السندي: الجنة التي عرضها السماوات والأرض لا يدخلها إلا أنت وثلاثة وافقوك ؟ فخزي ولم يُحِرْ جواباً.

١٢- هذا وقد وصلوا بالأفكار (عن طريق المنطق والعقل والفلسفة) إلى حد تسهيل الكفر على الكافر، وتسهيل إنكار وجود الله تعالى صانع الكون، وذلك كما فعل (ثمامة بن أشرس النميري)، عندما حاول بث بدعتيه الكفريتين، فزعم أولاً: أن من لم يضطره الله إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهياً عن الكفر، وكان مخلوقاً كالحيوان غير مكلف، ويصير يوم القيامة تراباً لا عذاب عليه، وبذلك سهل الكفر على الإنسان ما دام أن النتيجة لا عقاب.

ثم قال: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها، وبذلك يسهل إنكار صنع الله للعالم، إذ أن العالم فعل متولد، ومادام أنه يصح وجود فعل متولد بلا فاعل، فيصح أن يكون كل فعل بلا فاعل، وبذلك لا يكون هناك دليل على أن الله هو صانع هذا العالم، وهذا افتراء عظيم وبدعة عقلية فلسفية جانحة، فماذا يقال بعد هذا الانحراف؟[2]

وقد كان لثمامة قائل هذه الأفكار مكانة كبيرة عند المأمون !!

١٣- وقد وصل القول بهشام الغوطي حد إنكار أن الله يؤلف بين قلوب المؤمنين، بل

---

(١) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ج٢، ص٥٤.

(٢) الفرق بين الفرق، البغدادي، ص١٠٣.

هم الذين يقومون بذلك، وأيضاً فإن تحبيب الإيمان، وتبغيض الكفر، والختم على القلوب، والطبع عليها، وغير ذلك من فعل الناس، وليس من فعل الله، و في ذلك مخالفة صريحة لألفاظ القرآن، وقد وصل القول بعباد صاحب هشام هذا أن يقول: بأن الله لا يخلق الكافر، وأن النبوة جزاء على عمل؛ لذا فهي باقية ما بقيت الدنيا[١]. ألا ترون كيف فعل إدخال العقل (فيما لا يطيقه و لا يستوعبه) بهؤلاء الناس ..؟! إنه الافتنان بفلسفة اليونان التجريدية الخاملة..!

السؤال السادس والتسعون: الآن نحتاج إلى أن تأتينا ببعض نصوص من مناظراتهم العقلية لنرى كيف دخلت الفلسفات في أقوالهم، فهل أنت فاعل ؟

أفعل إن شاء الله ولكني سأوجز القول بنصوص مختصرة:

- قال أبو الهذيل عندما سئل أتقول إن لله علماً، أقول: إن له علماً هو هو، وإنه عالم بعلم هو هو، وقدرته هي هو، وهكذا في كل الصفات[٢].

وقارن ذلك بقول أرسطاطليس: إن البارئ علم كله، قدرة كله، حياة كله، بصر كله. وهذا ما قاله أبو الهذيل مع تحسين للفظ[٣].

- قال النظام المعتزلي: (لا جزاء إلا وله جزء، ولا بعض إلا وله بعض، ولا نصف إلا وله نصف، وأن الجزء جائز تجزئته أبداً، ولا غاية له من باب التجزؤ)[٤]، وهذا فعلاً قول الفلاسفة بالضبط.

- قال بشر بن المعتمر: (إرادة الله غير الله، والإرادة على ضربين: إرادة وُصِف بها، وهي فعل من فعله، وإرادة وُصف بها في ذاته، وإن إرادته الموصوف بها في ذاته غير لاحقة بمعاصي خلقه، وجوز وقوعها على سائر الأشياء)[٥]. سبحان الله .. ما الذي

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص٥٠.

(٣) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج٢، ص١٩٨.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٥١٣.

(٥) المصدر السابق،، ج١، ص٥١٣.

أعجب هؤلاء بهذا الهذيان..؟!

- هذا وقد ناظروا في المعدوم مناظرات فلسفية بحتة، فقال أبو الحسين الخياط: (إن الجسم في حال عدمه يكون جسماً؛ لأنه يجوز أن يكون في حال حدوثه جسماً، ولم يجز أن يكون المعدوم متحركاً؛ لأن الجسم في حال حدوثه لا يصح أن يكون متحركاً عنده، فقال كل وصف يجوز ثبوته في حال الحدوث فهو ثابت، له في حال عدمه ويلزمه على هذا الاعتدال أن يكون قبل حدوثه إنساناً)[1].

- قال الجبائي وابنه: (لا يجب على الله شيء لعباده في الدنيا، إذا لم يكلفهم عقلاً وشرعاً، فإذا ما كلفهم فعل الواجب في عقولهم، واجتناب القبائح، وخلق فيهم الشهوة للقبيح، والنفور من الحسن، و ركب فيهم الأخلاق الذميمة، فإنه يجب عليه عند هذا التكليف إكمال العقل، ونصب الأدلة؛ بحيث يكون مُزيحاً لعللهم فيما أمرهم)[2].

النفس الفلسفي واضح جداً في هذا المنطق بمقدماته ونتائجه، ألم تر كيف يخاطبون الله وكأنه بشر مثلهم، وهم الذين انطلقوا بداية لتنزيهه، ولكن المنزلق كبير عندما يتخذ الإنسان من العقل إلهاً يوجه ويحكم، خصوصاً في الحقول التي يعجز عن إدراكها وحده.

السؤال السابع والتسعون: هل كان لهم تنظيم أم أنهم كانوا عبارة عن تيار من التيارات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي وقت وجودهم؟

نعم، إن تنظيماً سرياً كان لهم، وهو الذي قاد الحملة من أجل نشر أصولهم الخمسة في دولة الإسلام، وكان قائد هذا التنظيم (واصل بن عطاء). فقد قال أحد دعاتهم، مبيناً حب أعضاء التنظيم لواصل وطاعتهم له: (ما كنا نرى أن لنا على أنفسنا ملكاً في حياة واصل حتى مات، كان يقول للواحد منا: اخرج إلى بلد كذا فما يرادّه)[3].

كانت البصرة مقر قيادتهم، وانتشرت أفكارهم بواسطة الدعاة في شرق الدولة وغربها، وفي كل أنحائها، فهذا الشاعر صفوان الأنصاري، يبين مدى انتشار هذه الحركة فيقول:

---

(١)الملل والنحل، الشهرستاني، ص٧٦ / ٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٨٤.

(٣) تيارات الفكر الإسلامي، د.محمد عمارة، والقائل عثمان الطويل، ص٥٨.

لـه خلـف شـعب الـصين في كـل ثغـرة إلى سوسـها الأقـصى وخلـف البرابـر

رجـــال دعـــاة لا يفـــل عـــزيمهم تهكـــم جبـــار ولا كيـــد ماكـــر[1]

وقد بعث واصل الدعاة إلى الأقاليم: فإلى المغرب بعث (عبد الله بن الحـارث)، وإلى اليمن (القاسم بن السعدي)، وإلى الجزيرة (أيوب بن الأثر)، وإلى خراسـان (حفـص بـن سالم)، وإلى الكوفة (الحسن بن ذكوان وسليمان بن أرقم)، وإلى أرمينية (عثمـان بـن أبـي عثمان الطويل)[2].

وكان للتنظيم أعراق وتقاليد في الدعوة؛ فقد أوصى واصل بن عطاء عثمان الطويل قبل أن يرسله موفداً لدعوة إرمينية بأصول المعتزلة، بالخطة التي كانت عرفاً متبعاً لـديهم، فقال له: (الزم سارية من سواري المسجد سنة، تصلي عنـدها حتـى يعـرف مكانـك، ثـم افْتِ بقول الحسن البصري (أي برأي أهل العدل والتوحيد) سنة، ثم إذا كان يوم كذا من شهر كذا، فابتدئ بالدعاء للناس إلى الحق، فإني أجمع أصحابي في هذا الوقت، ونبتهل في الدعاء إلى الله، والله ولي توفيقك)[3].

السؤال الثامن والتسعون: بما أن هؤلاء أجازوا استخدام القـوة في التغـيير وإسـقاط الحاكم، فهل قاموا بثورات خاصة، أو شاركوا في ثورات علـى الحكـم الأمـوي أو العباسي؟

نعم، فقد شاركوا في ثورات، وقادوا أخرى:

- شاركوا في حركة عبد الرحمن بن الأشعث ٨٥ هـ ضد الحجاج.
- شاركوا في ثورة الحارث بن سريح، زعيم الأزد ضد هشام بن عبد الملك ١١٦هـ .
- وقاد المعتزلة ثورة زيد بن علي ضد هشام بن عبد الملك ١٢٢ هـ.
- وشاركوا ببيعة النفس الزكية أواخر أيام الدولة الأموية، ودعوا إلى مبايعتـه وخلـع الأمويين.

---

(١) المرجع السابق، ص٥٨

(٢) المرجع السابق، ص٥٨.

(٣) المرجع السابق، ص٥٩.

- كما شاركوا بثورة أخيه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أيضاً.

وقد استطاعوا أثناء الدولة العباسية، وفي عهود الخلفاء الثلاثة (المأمون والمعتصم والواثق)، على وجه الخصوص أن يفرضوا مذهبهم على الدولة، بحيث أصبحت الدولة في هذا العهد بيدهم تماماً، حتى عُدّت الدولة ملكاً لهم، لما كان لهم من التأثير العظيم.

وقد أظهر هذا العهد، أن المعتزلة الذين ادعوا ميلهم إلى الشورى والدعوة إليها والمشاركة في الثوارث من أجلها، إنما كانوا يتخذون من هذه النظريات سلماً للوصول، فلما وصلوا عاملوا الأمة بالاستبداد، وفرض الآراء بالقوة، لا بالإقناع كما كانوا يدّعون من قبل، وأوضح الأدلة برهاناً على ذلك هو قيادتهم لقضية محنة خلق القرآن.

السؤال التاسع والتسعون: هل انتهت المعتزلة بانتهاء دولتهم، وبداية محاربتهم، منذ عهد المتوكل على الله العباسي وما بعد؟

صحيح أن المعتزلة انتهوا بذلك العهد كصولة وسلطان، وفقدوا دعم الدولة لهم، إلا أنهم لم ينتهوا كوجود فكري واتجاه يضع العقل في المقام الأول، ويُحكّمه حتى بالنصوص الشرعية، وبالحسن والقبح، فما حسنه العقل فهو الحسن الذي يجب على الإنسان فعله لأن الدين - وهو تابع - برأيهم لا يمكن أن يكون مخالفاً للعقل، و ذلك على طريقتهم في هذا التخريج للقضية، وما قبحه العقل فعلى الإنسان أن يستقبحه؛ لأن الشريعة لا يمكن أن تحسن قبيح العقل، وإن قُدر وأن الشريعة حسنت شيئاً لا يستسيغه العقل، عندئذ ينبري هؤلاء لتأويل النصوص، حتى لا تتصادم مع العقل الذي له الحكم أولاً وآخراً.

هذا هو منهج المعتزلة، فهل انتهى هذا المنهج عن العمل، بزاول شمس الواثق وبزوغ شمس المتوكل؟

لا فإن نفراً من هؤلاء ظل ينثر آراءه الاعتزالية، ويقول بمنهجه العقلي المعروف، ولكن دون عنوان الاعتزال، ولقد ساعد المعتزلة على العمل من جديد، ظهور دول وقوى نافست الخلافة العباسية مثل البويهيين، وظهر في ظل هؤلاء أعلام جدد منهم، وعلى رأسهم قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ٤١٥ هـ، كما أن أصولهم ظلت

تعمل من خلال الزيدية، الذين يتفقون مع المعتزلة في عدد منها، ثم من خلال تبني الشيعة الإمامية لبعض أصولهم والاستمرار بالعمل بها.

هذا وقد تبنى كثير من الفلاسفة المسلمين المنهج العقلي، الذي أقامه المعتزلة، دون أن يسموا أنفسهم بالمعتزلة، مما ساعد أيضاً على استمرار أسلوب تفكيرهم، وطريقة استدلالهم عبر تاريخ المسلمين.

والخلاصة: لقد انتهت المعتزلة كفرقة، ولكنها استمرت كمنهج تفكير وأسلوب استدلال وأصول عقائدية، تعتمد على الفلسفة والمنطق اليوناني في البراهين، وانتقلت عبر الدولة البويهية وعبر العقيدة الزيدية و الشيعة الإمامية، ومن خلال الفلاسفة، إلى ظهر السفينة التاريخية الماخرة في خضم الزمان حتى يوم الناس هذا. ومن هنا تأتي خطورة منهجهم، وكبير انحرافهم عن سواء السبيل البسيط في العقائد الإسلامية ويسرها. بسبب تسييدهم للعقل في كل شيء فضلاً عن إدخال فلسفة الإغريق في أمور العقائد.

السؤال المئة: ما هي الدروس المستفادة من مطالعة خط سير المعتزلة الذي عرضته، وهل لديك إشارات تريد أن تعلنها كمحطات في طريق الاستفادة من التراث؟

نعم .. ما هي الدروس المستفادة؟

نعم .. ما هي الإشارات التي تكون محطات؟

هذان السؤالان وجوابهما، هما ما أردت بيانه من كل البحث.

إن أكبر خطأ وقعت فيه المعتزلة هو اعتمادها الكلي على العقل للخوض في معارك ليست واقعة في حدود مهماته وإمكانياته التي قدر الله له أن يرودها وأن يصل فيها إلى الاستخلاصات الصائبة.

نعم، إن للعقل قيمة كبيرة أوكلها الله إليه من أجل الوصول إلى فهم المادة واستنتاج القواعد العامة، التي تفيد توجيه مناحي التفكير وترشيدها، فقد أطلق الله للعقل أن يجوس من خلال الحس في ماديات الكون، ليصل بالتالي إلى أوليات التفكير، ومن ثم إلى ربط هذه الأوليات من خلال مسبباتها ببعضها، ليخرج العقل بعد ذلك بمبادئ عامة وقواعد غير مختلف عليها، يستطيع العقل من خلالها أن يتصل بالحقائق التي هي خلف

المادة اتصال فهم وتدبر، و ذلك في الوقت الذي يقرر فيه حقائق ونظريات المشاهدة و العيان والتجريب.

أما أن يكون العقل بداية هو الذي يقرر حقائق ما خلف المادة، وهو لا يملك وسائل الوصول إليها مباشرة، فهذا وضع للعقل في متاهات المجهول، التي تجعل الضياع من نصيب الإنسان في هذه الحالة. وهذا ما فعلته المعتزلة بالضبط في العديد من منطلقاتها واستنتاجاتها، و قد سبقها إلى ذلك التيه - بخصوص الغيب والعقل- كل المنتوج الفكري والفلسفي الإنسانيين غير المرتبطين بالوحي.

إن حجة المعتزلة القائلة بأننا بحاجة لإدخال العقل في مجالات الغيب لإقناع بعض الفئات وللدفاع عن عقائد الإسلام حجة داحضة؛ إذ لم تكن الفئات الضالة والمنحرفة بحاجة إلى طريقة الاستدلال العقلي لتعود إلى الإيمان بالإسلام النقي، ذلك لأن هذا الطريق في الاستدلال طريق بشري، ومادام هو كذلك، فإن من الممكن الرد عليه بآلاف الآراء المعاكسة التائهة، وهو ما يضطر أصحاب هذا الطريق في الاستدلال إلى الانزلاق أكثر فأكثر في متاهات المنطق العقلي، مما يصل بهم في النهاية إلى الانحراف الكلي أو الجزئي عن جادة الصواب، وهذا عينه ما حدث للمعتزلة.

وإذ كان كل جديد يجد له تأييداً ومؤيدين وترويجاً ومروجين، فإن المعتزلة وجدوا بداية مثل هذا التأييد، وسار خلفهم في الطريق الكثيرون، وكانوا مدرسة وصلت ببعضهم إلى القول بمثل الضلالات التي قال بها المنحرفون، الذين قام المنهج المعتزلي لإصلاحهم، وظلت هذه المدرسة تعمل ليس بالضرورة من خلال الإيمان بالأصول الخمسة، ولكن من خلال الإيمان بالعقل حكماً وحيداً، والجري وراء الاستيراد من المنطق المناقض لأصول الإسلام، للبرهنة على صحة عقائده وأصوله، وهو ما وصلت جرثومته إلى أيامنا هذه. لذا فقد أردت من الاستعراض الآنف الذكر لما فعله فكر الاعتزال الوصول إلى النتائج والدروس والعبر، التي تفرزها المعركة الدائرة حول منهج الاعتزال، وإن كانت اللافتات المرفوعة في عصرنا الحاضر، لا تحمل العناوين نفسها التي كانت من قبل، و من هذه النتائج و الدروس ذم المنهج الاعتزالي ورفضه وذلك من خلال:

١ - بعض النصوص:

أ - عن الرسول ﷺ:

- «القدرية خصماء الله في القدر»[1].

- «القدرية مجوس هذه الأمة»[2].

والمعتزلة أول من نظم الحملة للقول بالقدر، وأن الإنسان هو فاعل مصير نفسه، وخالق أفعاله بإرادته الحرة.

وقد ذم الرسول - ﷺ- في الحديث الشريف الذين كان الجدل بضاعتهم، وقد كانت المعتزلة ومازالت بضاعتها الجدل (المراء): «أنا زعيم ببيت في ريض الجنة لمن ترك المراء وهو محق» .

ب - ما قاله بعض الأئمة فيهم:

عندما كان المسلمون متجهين إلى الناحية العملية والفعل والجهاد وفتح البلاد أمام الدعوة الجديدة، لم يتطرق إليهم الجدل بل كانوا يحملون عقيدة بسيطة في مفهومها، وعقولاً وَقَّادة في تدبرها، وعواطف جياشة لنشرها.

وعندما ركن المسلمون إلى الأرض والدعة، وتوقفت السواعد عن المضي في سياحة الأرض بالدين الجديد، قامت فئات في المجتمعات الجديدة، لم تلامس عقيدة الإسلام شغاف قلوبهم، ولم تسكن وقدتها في عواطفهم، بل دخلوا في الدين الجديد بتأثير المد العظيم للإسلام دون تعمق، فلما حانت الفرصة لهم بتحريض من أساطين إبليس، بدؤوا يلقون الأسئلة المشككة، فانبرت فئات من المسلمين لمناجزة هذه الموجة، ولكن بدلاً من أن يتجه هؤلاء إلى بيان العقيدة وشرحها، اعتماداً على ما جاء في القرآن و السنة و الشواهد الكونية الحاضرة في النفوس والعقول، راحوا يستعيرون أدوات فلسفية عقلية مجردة، جربها إنسان الحضارة الإغريقية قروناً طويلة، فلم توصله إلا إلى معلومات قليلة منحرفة عن الله وصفاته وذاته وطريقة معرفته.

لذلك فإنه رغم حماسة المعتزلة لطريقتهم الجديدة في الاستدلال، واندفاعهم بنهم وراء تعلم النهج الفلسفي ومنطق الفلاسفة، وقذفهم كل ذلك في وجوه المنحرفين، فإن

---

(١)الملل والنحل، الشهرستاني، ص٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤٣.

كل ما عملوه لم يؤد إلى انقشاع موجة التشكيك والانحرف، و لا إلى انحسار المدّ التراجعي في العقيدة والسلوك، بل على العكس من ذلك فقد نجمت في سماء الأمة مئات الأسئلة وعشرات الردود على المعتزلة، ومن منطلق النهج نفسه، مما اضطرهم إلى الانقسام والرد على بعضهم، ووصول أعلام منهم إلى منزلق الانحراف في العقيدة والسلوك. ولما وصلوا إلى درجة استخدام القوة لفرض عقيدتهم على الناس، كرههم الناس وتمنوا زوالهم وانحسارهم، ولما حانت الفرصة في خلافة المتوكل كانت الحملة عليهم شعواء، فهم لم يتركوا لهم صاحباً، و برهنوا من خلال سلوكهم في عهد أسلاف المتوكل أنهم غير مؤمنين بالحرية والشورى إلا نظرياً وبالكلام وحسب، فكانت عقيدتهم كلام في كلام بعد أن هجروا توجيه رب العالمين، و تركوا دروس الكون التي تعتبر أكبر برهان.

واستمع إلى الإمام مالك يقول فيهم:

- (الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا (المدينة) يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر، وما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل).
- ويقول أيضاً: (إياكم والبدع. قيل: يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان)[١].
- وهذا الشافعي - رحمه الله - يقول: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، وأن يطاف بهم في العشائر والقبائل، وأن يقال: هذا جزاء من ترك كتاب الله وسنة نبيه، واشتغل بالكلام)[٢].
- وهذا الإمام أحمد - رحمه الله - يقول: علماء الكلام زنادقة[٣].
- وهذا الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة يقول: (من طلب الدين بالكلام

(١)دراسات في الفرق والعقائد، د. عرفان عبد الحميد، ص١٤١، نقلاً عن مختصر بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٠.

تزندق)[1].

- وهذا الأوزاعي يقول: (بلغني أن الله إذا أراد بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل)[2].
- ومن المفيد أن ننقل هنا رأي الأشعري في المعتزلة، إذ أنه كان منهم ثم رجع، وقد بيّن مذهبه ومأخذه على المعتزلة إجمالاً في مقدمة كتابه «الإبانة»، وقد جاء فيه بعد حمدِ الله والثناء عليه:

(أما بعد، فإن كثيراً من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى التقليد لرؤسائهم، ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين، فخالفوا رواية الصحابة عن نبي الله محمد - ﷺ- في رؤيته بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفة، وتواترت الآثار وتتابعت الأخبار، وأنكروا شفاعة رسول الله - ﷺ-، وردوا الرواية في ذلك عن السلف المتقدمين، وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون، ودانوا بخلق القرآن نظيراً لقول إخوانهم من المشركين الذين قالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: ٢٥]، فزعموا أن القرآن كقول البشر، وأثبتوا وأيقنوا أن العباد يخلقون الشر نظيراً لقول المجوس الذين يثبتون خالقين: أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر، وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، ورداً لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، ولقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣] ولقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[البروج: ١٦]،

(١) المرجع السابق، ص١٤٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٠.

ولقوله تعالى مخبراً عن شعيب أنه قال: ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ ولذا سماهم رسول الله – ﷺ-: (مجوس هذه الأمة)؛ لأنهم دانوا بديانات المجوس، وضاهوا أقوالهم. وزعموا أن للشر والخير خالقين كما زعمت المجوس، وأنه يكون من الشر ما لا يشاء الله كما قالت المجوس، وزعموا أنهم يملكون الضر والنفع لأنفسهم رداً لقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾ [يونس: ٤٩]، وانحرافاً عن القرآن وعما أجمع عليه المسلمون. وزعموا أنهم يتفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، وأثبتوا لأنفسهم غنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يصفوا الله بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل، فكانوا مجوس هذه الأمة إذ دانوا بديانة المجوس وتمسكوا بأقوالهم، ومالوا على أضاليلهم، وقنطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود خلافاً لقول الله تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] ، وزعموا أن من دخل النار لم يخرج منها، خلافاً لما جاءت به الرواية عن رسول الله – ﷺ-: «أن الله عز وجل يخرج من النار قوماً بعدما امتحشوا فيها، وصاروا حمماً». ودفعوا أن يكون لله عز وجل وجه مع قوله تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأنكروا أن يكون لله يدان مع قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[ص: ٧٥]، وأنكروا أن يكون لله عين مع قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩]، ونفوا ما روي عن رسول الله – ﷺ: «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا». وإني أذكر إن شاء الله تعالى باباً، باباً، وبه المعونة والتأييد، ومنه التوفيق والتسديد.

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه – ﷺ –، وما روي عن

الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، وعمن خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائفين، وشك الشاكين، فرحمه الله تعالى من إمام مقدم، وكبير مفهم، ورحمته على جميع أئمة المسلمين.

وبهذا يتبين أنه جاء لإحياء آراء الإمام أحمد في نظره؛ إذ يعد منهاجه هو منهاجه، ولذا يقول في منهاج الإمام أحمد الذي اختاره: (وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله - ﷺ- لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله تعالى واحد أحد فرد صمد لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من في القبور، وأن الله استوى على عرشه، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه: ٥]، وأن له تعالى وجهاً كما قال تعالى: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يداً كما قال تعالى: ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأن له عيناً بلا كيف كما قال تعالى:﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١٤]، وأن لله علماً كما قال تعالى: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٦] ، ونثبت لله قوة كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾[فصلت: ١٥]، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية. ونقول: إن كلامه غير مخلوق، و لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فيكون، و أن لا يكون في الأرض شيء من شر ولا خير إلا ما شاء الله، و أن الأشياء تكون بمشيئة الله، و أن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله الله ولا نستغني عن الله، ولا نقدر على الخروج من علم الله، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله ومقدرة كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم

يخلقون، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[الطور: ٣٥]، وهذا في كتاب الله كثير، وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظر لهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف: ١٧]، وإنا نؤمن بقضائه وقدره وخيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا. ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال بخلق القرآن كان كافراً به، وندين أن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله - ﷺ-، ونقول: إن الكافرين عنه محجوبون، كما قال الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، ونرى ألا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنى والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من الكبائر مستحلاً لها كان كافراً إن كان غير معتقد تحريمها، ونقول: إن الله يخرج من النار قوماً بعد ما امتحشوا بشفاعة محمد - ﷺ-، ونؤمن بعذاب القبر، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وندين بحب السلف الذين اختارهم لصحبة نبيه، ونثني عليهم ما أثنى الله به عليهم ونتولاهم، ونقول: إن الإمام بعد رسول الله - ﷺ- أبو بكر - رضي الله عنه -، وأن الله أعز به الدين، و أظهره على المرتدين، ثم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، ثم عثمان - نضر الله وجهه - قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، ثم علي بن أبي طالب، هؤلاء الأئمة بعد رسول الله - ﷺ-، وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة الذين شهد لهم رسول الله - ﷺ-، و نتولى سائر أصحاب رسول الله - ﷺ -، ونكف عما شجر بينهم، وندين الله أن الأئمة الأربعة راشدون مهذبون فضلاء، لا يوازيهم في الفضل غيرهم. ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل المعرفون لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بترك الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة، ونقر بخروج الدجال، ونقر بعذاب

القبر ومنكر ونكير، ونصدق بحديث المعراج، ونصحح كثيراً مـن الرؤيـا في المنـام، ونـرى الصدقة من موتى المؤمنين والدعاء لهم، ونؤمن أن الله ينفعهم، ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآياته ... وقولنا في أطفال المشركين: (إن الله عز وجل يـؤجج لهـا نـاراً في الآخرة ثم يقول اقتحموها كما جاءت الرواية بـذلك، ونـرى مفارقـة كـل داعيـة لفتنـة، ومجانبة أهل الأهواء .. وسنحتج لما ذكرناه من قولنا)[1].

٢ - بعد أن نقلنا رأي أئمة المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، ثـم نقلنا رأي الأشعري بالتفصيل، وعرفنا ما قالوه من نقد واتهام للمعتزلة، بقي أن ننتقل إلى العصر الحديث، وننقل الآراء السلبية والإيجابية، لنعرف مـدى امتـداد مـنهجهم وتـأثيره على اتجاهات التفكير في مجتمعاتنا المعاصرة.

يقول الدكتور عرفان عبد الحميد مدافعاً عن المعتزلة وفكرهم ومستحسناً منهجههم الفكري في الاستدلال: (ولقد اتضحت لنا بفضل نشر بعـض الكتـب الاعتزاليـة ملامـح الصورة الحقيقية لهذه المدرسة الكلامية الأولى في الإسلام، فإذا بالاعتزال يبرز إلى الوجود كقوة فكرية مخلصة، اندفعت بحماسة ترد كيد الأعداء العقائـديين للإسـلام، وإذا بـأفراده يبرزون إلى الوجود مؤمنين متحمسين، دفعهم الإخلاص للواجب، والـشعور بالمـسؤولية للدفاع عن الدين عقلياً، ومحاولة إيجاد أساس فكري متين للعقائد الدينية)[2].

ثم هو يوجه اللوم إلى بعض الدراسات الحديثة التي تنتقد منهج المعتزلة فيقول: (مـا زالت بعض الدراسات الحديثة عن المعتزلة تحمل طابع العنف والتوبيخ والإنحاء باللائمـة علـيهم، وذلـك كلـه نـاتج عـن الاعتمـاد في دراسـة المعتزلـة علـى كتـب أعـدائهم مـن الأشاعرة)[3].

ثم يصل بالقول إلى أن الاعتزال كتيار فكري ومنهج عقلي، كان لا بد من ظهـوره، وذلك لمجابهة التحديات الدينية، التي لقيها الإسلام، عندما امتد سلطانه إلى خارج الجزيرة العربية، وعندما اشتد الصراع الفكري بينه وبين أهل الأديان الأخرى من يهود ونـصارى

---

(١) من مقدمة كتاب: الإبانة لأبي الحسن الأشعري .

(٢) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد، ص١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٢٨.

ومانويين، إلخ)[1].

ونحن نقول: إن الإسلام لم يلق تحدياً فكرياً وعقدياً. لا، فلم تكن بين العقائد التي واجهها الإسلام عقيدة واحدة، تستطيع أن تثبت لحظة أمام نوره الباهر وسطوته البسيطة الغامرة الأخاذة.

إن ما واجهه الإسلام كان تحدياً سياسياً لبس لبوس الدين والعقيدة، وكان يحتاج إلى السياسي البارع، الذي يمسك بزمام عقيدته وشريعته، قابضاً عليها، حريصاً على أن تبقى في الأعالي، وكان من الممكن أن يتحدى هذا السياسي النقي النظيف المخلص القوي كل ما ووجه به الإسلام من كيد، و ذلك ببساطة الأدلة النقلية، وزخم الدروس الكونية، وتعاضد النظر العقلي المؤيد المدعم للنقول والدروس، دون الذهاب إلى استعارة أدوات أعدائه في الانتصار عليهم، وهو ما لم يستطع تحقيقه المعتزلة، والدليل على ذلك تنامي فكر الانحراف وامتداده بل وقيام دول له كما رأينا، ثم رأينا ذهاب الكثير من فرق هؤلاء إلى حدّ الدخول في عقائد مخرجة من الملة.

- ومن أعجب ما قيل في الدفاع عن المعتزلة، قول يضع الإمام أحمد في موقف المخطئ؛ لأنه وقف وقفة غير مفهومة في قضية خلق القرآن، مع أن الأولين والآخرين والقاصي والداني يلهج بالثناء على الرجل، ورجولته في وقفته الفذة الرائعة أمام السلطة العاتية الظالمة، في سبيل نصرة الحق وعقيدة أهل السنة، يقول القائل: (ومن أعجب ما يرى الناظر المتبصر في هاته المسألة: أن ابن حنبل وحزبه تحرجوا أن يقولوا: إن القرآن مخلوق؛ لأنه لم يرد عن النبي - ﷺ -، ولا عن السلف الصالح، وأنعم وأكرم بالوقوف عند حد ما ورد، لكنهم أنفسهم لم يقفوا عند حد ما ورد، بل قالوا: إنه غير مخلوق، وإنه قديم وكلا اللفظين لم يرد أيضاً، فكان الاعتراض مشترك الإلزام، بل ورد في القرآن: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢].

ولعمري إنه لا فرق بين محدث ومخلوق، بل الذي يقول بأنه قديم، وأنه غير مخلوق

(١) المرجع السابق، ص١٢٥ / ١٢٦.

هو الذي بظاهر كلامه يناقض الوارد، وإن كان قصده صحيحاً)[1].

ألا ترى العجب في هذا القول؟! إن موقف ابن حنبل - رحمه الله - موقف غير صحيح، وكان عليه أن يتلفظ بما تلفظ به غيره من مقترفي البدعة، ليمضي فكر المعتزلة قدماً، ويصل إلى أهل عصرنا سالماً غانماً، ليدعم ما يتوجه إليه البعض من ميل لاستيراد ليس المناهج الفكرية وحسب، بل والانتماء والذوبان في الهويات والعقائد الأخرى.

وفي معرض الدفاع عن منهج المعتزلة يقول د. محمد عمارة مادحاً لهم ومعلياً شأنهم: (فالمعتزلة إذن كانوا هم التجسيد للأسلحة الجديدة، التي تسلحت بها الأمة دفاعاً عن حضارتها الوليدة، ودينها الجديد، أمام خصومها من أهل الملل والنحل والمذاهب والفلسفات الأخرى.

ولقد كان علم الكلام الذي ظهر في حضارتنا على يد المعتزلة، هو التعبير عن أصالة هذه الأمة وذاتيتها في الحقل الفلسفي، فلم يكن تقليداً للفلسفة اليونانية، وترديداً لمقولاتها، كما لم يكن وقوفاً عند ظواهر نصوص الكتاب والسنة، وإنما كان معالجة فلسفية بأدوات الفلسفة، لقضايا الدين والعقيدة، والكون والحياة الخاصة بهذه الأمة، ومن ثم كانت فيه المادة لمن يريد أن يلتمس ما أبدعه العرب المسلمون في الفلسفة والفكر الديني على السواء)[2].

ثم يضيف قائلاً: (ولقد دلّ هذا البناء الفكري الذي أبدعه المعتزلة على أنه التعبير عن خاصية هذه الأمة، والترجمة لما تميزت به حضارتها عندما وازن بين المتقابلات، فنحن أمام ما أبدع المعتزلة في علم الكلام لا نجد أنفسنا أمام فلسفة عقلية فقط، على نحو ما تجد لدى اليونان ولا أمام دين فقط أمام ما نجد عند (النصوصيين) من القراء والفقهاء والمحدثين، وإنما نطالع بناء فكرياً تدينت فيه الفلسفة وتفلسف فيه الدين)[3].

إنه هيام بالمعتزلة يريد أن ينسج على منوالهم، ولقد أورد الدكتور عمارة قصة طريفة للتدليل على أهمية المعتزلة ومنهجهم، ونحن بدورنا ننقلها ليحكم القارئ على

---

(١) الفكر السامي، محمد الحجوي، ج٣، ص١٧.

(٢) تيارات الفكر الإسلامي، د.محمد عمارة، ص٦٧.

(٣) تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، ص٦٨.

مدى صحة ما ذهب إليه الدكتور في المعتزلة، و قد نقل محمد عمارة القصة من أحد كتب المعتزلة، وذلك للعلم فقط، وإليكم هي:

والرواة يروون قصة وقعت أحداثها في عصر هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣هـ/ ٧٦٦ - ٨٠٩ م) فلقد أخبر زعيم طائفة «السمنية» ببلاد السند مليكه أن البناء الفكري لدين الإسلام هش لا يستطيع الصمود إذا قامت مناظرة بينه وبين فقهاء المسلمين، ودعا الملك إلى أن يتحدى الرشيد أن يوفد كبير فقهاء دولته للمناظرة، على أن يكون المغلوب ملزماً بالدخول في دين الغالب! فقبل الرشيد التحدي، وبعث إلى بلاد السند بكبير قضاة بغداد، وهناك دارت المحاورة بين «السمني» وبينه على هذا النحو:

السمني: أخبرني عن معبودك، هل هو قادر؟

القاضي: نعم!

السمني: فهل هو قادر على أن يخلق مثله؟!

القاضي: هذه المسألة من «الكلام» - (علم الكلام) - و«الكلام» بدعة، وأصحابنا ينكرونه!

السمني: ومن أصحابك؟

القاضي: محمد بن الحسن، وأبو يوسف، و أبو حنيفة!

وعند هذا الحد من من الحوار التفت «السمني» إلى مليكه وقال: (قد كنت أعلمتك دينهم، وأخبرتك بجهلهم وتقليدهم، وغلبتهم بالسيف!) ... وعاد القاضي مهزوماً إلى بغداد، ومعه رسالة من ملك السند إلى الرشيد يقول فيها: (إني كنت ابتدأتك وأنا على غير يقين مما حكى لي، والآن قد تيقنت ذلك بحضور هذا القاضي!..)... وثارت ثائرة الرشيد، وضاق صدره، وقامت قيامته، وأخذ يصيح: (أليس لهذا الدين من مناظر عنه؟!).

فهؤلاء الفقهاء الذين وقفوا عند ظواهر النصوص، وعافوا أدوات الجدل وقضايا المنطق، ومقولات الفلسفة وبراهينها، وحرموا علم الكلام - وهو فلسفة أمة الإسلام - كانت بضاعتهم كافية قبل أن تزخر الساحة الفكرية بالمخالفين المسلحين بهذه الأدوات؛ لأن الجمهور كان «مؤمناً» بالنص المنقول، أما بعد أن صار للإسلام - في دولته - خصوم

لا يؤمنون بمأثوراته ولا يسلمون عند الاحتجاج بها، فإن الأمر قد أصبح غير ما كان، ولا بد لأهل الإسلام من أن يتقنوا هذه الصناعة ويجيدوا استخدام الأسلحة التي يتسلح بها الخصوم .. لقد أصبح الواقع للحياة العربية الإسلامية يتطلب فرسانا غير «النصوصيين»، ويستدعي أسلحة غير «النقول والمأثورات» للدفاع عن الدين الإسلامي، وعن حضارة العرب المسلمين.. وغدت الأمة العربية المسلمة تتطلع إلى نمطها الفلسفي، المتميز، الذي تدافع به عن بنائها الحضاري الخاص.. فلا بد من الاستجابة الإيجابية تجاه ما نحرص عليها من تحديات.

والرواة يكملون قصة مناظرة «السمني» مع قاضي الرشيد، فيقولون: إن نفراً من خاصة الرشيد قد أخبره أن علماء الكلام وفرسانه الذين أبدعوه - وهم المعتزلة - هم وحدهم القادرون على مناظرة «السمني» وإفحامه، فلو أن الرشيد أخرجهم من سجونه لاستطاعوا الدفاع عن الإسلام! فأمر الرشيد بإحضار سجناء المعتزلة، وعرض عليهم «مسألة» «السمني»، فأجابه شاب منهم هو معمر بن عباد (٢١٥ هـ / ٨٣٠م): (إن هذا السؤال الذي سأله السمني محال لأن المخلوق لا يكون إلا محدثاً، والمحدث لا يكون مثل القديم، فقد استحال أن يقال: يقدر أن يخلق مثله؟ أو لا يقدر؟ كما استحال أن يقال: يقدر أن يكون جاهلاً أو عاجزاً!)

فجهز الرشيد جماعة من المعتزلة، وبعث بهم إلى بلاد السند لمناظرة «السمني» والدفاع، بالفلسفة والجدل والكلام، عن الإسلام، بعد أن عجز عن الدفاع عنه «النصوصيين» الذين وقفوا عند النقول والمأثورات.

فالمعتزلة، إذن كانوا هم التجسيد للأسلحة الجديدة التي تسلحت بها الأمة دفاعاً عن حضارتها الوليدة ودينها الجديد أمام خصومها من أهل الملل والنحل والمذاهب والفلسفات الأخرى.

ولقد كان «علم الكلام»، الذي ظهر في حضارتنا على يد المعتزلة، هو التعبير عن أصالة هذه الأمة وذاتيتها في الحقل الفلسفي، فلم يكن تقليداً للفلسفة اليونانية وترديداً لمقولاتها، كما لم يكن وقوفاً عند ظواهر نصوص الكتاب والسنة، وإنما كان معالجة فلسفية، بأدوات الفلسفة، لقضايا الدين والعقيدة والكون الحياة الخاصة بهذه الأمة..

ومن كانت فيه المادة لمن يريد أن يلتمس ما أبدعه العرب المسلمون في الفلسفة والفكر الديني على السواء[1].

هذه هي القصة ومبالغاتها تدل على تهافتها، فأن يبعث الرشيد بقاضي القضاة، وقاضي القضاة هذا لا يحير جواباً أمام سؤال من أبسط أسئلة العقيدة، والمبتدئ - مثلي - يستطيع أن يأتي بآية من القرآن ترد على السمني هذا، والآيات القرآنية التي ترد على مثل هذا التساؤل - إن صح وجوده أصلاً - بحقائق الألوهية ووحدانيتها كثيرة في القرآن ومنها: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ثم ألا يستطيع قاضي القضاة هذا أن يقول للسائل كيف سيكون المخلوق خالقاً وإلهاً وهو مخلوق؟

أفلا يكون الجواب جواباً إلا إذا عبر عنه بطريقة الفلسفة؟

إني أعيذ الدكتور أن يحتمي وراء قصة كهذه، ليستدل على كلام خطير سبقه ولحقه، يتحدى فيه مكانة فقه الجهابذة الأفذاذ، ونصوص المحدثين الأعلام من مثل أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل ومالك ويحيى بن معين وسفيان الثوري وغيرهم، ويجعله دون الدون من كلام المعتزلة، الذين كانوا في البدايات من أمرهم معتدلين، يزرعون الخطوط على مهل وببصيرة، ثم اندفعت بهم الحماسة إلى وطء الأرض المحرمة عبور الغلاة بلا زاد ولا عدة إلا عدة أسقطتهم في بوار لم يخلصوا منه إلى بالاندثار والانزواء: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧]، وهكذا فقد برهن «النصوصيون» كما يحلو للدكتور أن يسميهم على أنهم حفظة هذا الدين وحاملوه إلى الأجيال، وكان ذلك. ولولا حفظ الله أولاً وتسخيره أهل النص والحديث والفقه - كابن حنبل وصحبه - والأئمة العظماء لما وصلت إلينا العقيدة كما نزلت من منابعها ولوصلتنا مجموعات كلامية تهمهم وتزمزم بأدوات ووسائل لا يفهمها إلا من قرأ أرسطو وابيقور وأفلاطون وغيرهم من فلاسفة اليونان، ولبقيت الشعوب الإسلامية تهيم على وجهها تنظر حولها فلا تعلم مما يقال شيئاً!

وأنا فيما قدمت من كلام حول المعتزلة لا أوجه النقد لهم، ولن أتبع خطوهم في

(١) تيارات الفكر الإسلامي، د. محمد عمارة، ص٦٦ / ٦٧.

عصرنا الحديث بسبب اتباعهم طرقاً استدلالية تعتمد العقل والفلسفة، بل بسبب النقد الأهم الذي يوجه إليهم، وهو نقدان:

١. الأول: بسبب أنهم وضعوا العقل في المتاهة العمياء، التي لا يستطيع إلا أن يخبط فيها خبطاً عشوائياً، وهي الغيبيات التي لا تخضع للحواس أو للتجريب، فجعلوه بذلك محكّماً في الأصول العقائدية وأمثالها، وكل ما لم يوافق العقل من نصوص أوّلوه حتى يلائم ما يراه العقل.

٢. والثاني: أنهم في مجال تطبيق أفكارهم في الحرية والاختيار والشورى، نقضوا نظرياتهم، فراحوا يقتلون المخالفين ويعذبونهم.

وإذا أردنا أن نضرب الأمثال على تأثر مفكري العصر الحديث من المسلمين بمنهجهم في التفكير العقلي المعتزلي، لذهب بنا القول مذاهب متشعبة وكثيرة، ويكفي أن نعدد بعض من تأثر في هذا الاتجاه على تفاوت في التأثر فمن هؤلاء من وصل إلى حد الخروج على الإسلام، ومنهم من تأثر ضمن دائرة الإسلام والدعوة إليه، لكن بوسيلة العقل وأحكامه.

- فطه حسين يأتي على رأس الذين تأثروا بمنهج العقل، وإخضاع كل شيء لأحكامه ولو أخرجه ذلك عن الثوابت والأصول، وهو بذلك شكل مدرسة في هذا الاتجاه، ظلت تعمل إلى يومنا هذا، وسميت هذه بمدرسة التغريب، التي ضمت كثيراً من الأعلام على رأسهم زكي نجيب محمود، الذي تبنى الفلسفة الوضعية الأوروبية في التفكير، حيث يشكل العقل عندها الحكم على كل شيء بما فيها الثوابت العقدية.

- ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد إقبال على رأس المدرسة الأخرى الإصلاحية، التي تبنت الإسلام والعودة إلى المنابع، لكنها في التطبيق والتفسير والشرح والبيان، ذهبت مذاهب العقل، وجعلت له القيمة التي اقتربت من اعتداد المعتزلة به، ولكن دون الذهاب بعيداً في هذا الاتجاه.

وكدليل على ما قلنا ننقل بعض النصوص من هؤلاء وهؤلاء، ليتبين القارئ صحة ما ذهبنا إليه أولاً، وأما ثانياً ليرى مدى سريان منهج العقل وعلم الكلام، واستعمال أدوات الفلسفة وخطورة ذلك على صفاء العقيدة وبساطتها وسهولة مداخلها. ولكن

قبل ذلك وبعده، نحب أن نوضح أنه ليس تعطيل العقل ما أردت، ولا إهماله ما قصدت، لا أبداً فالعقل هو الأداة الكبرى التي ميز الله بها الإنسان، وجعلها آلة تفكيره ووسيلة اهتدائه وتدبره. ولكن الذي قصدته هو الانحراف الذي جاء به المنهج العقلي المعتزلي، وكل من سار على منهجهم من المسلمين وغيرهم، حيث بدلاً من أن يجعلوا العقل وسيلة من الوسائل التي يصل بها الإنسان إلى الهداية و إلى العلم، جعلوه المقدم الذي يحكم ويرسم فيما لا يقع في ساحة عمله وفعله وقدراته، وما على الإرادة الإنسانية إلا أن تنفذ أمر العقل في كل شيء. ومن هنا جاءت أولى خطوات الزلل، التي ظلت تنحدر بأصحابها، حتى وصلت بهم إلى أن قالت كل ما حسنه العقل فهو الحسن، وكل ما قبحه العقل فهو القبيح، وكل ما خالف ذلك ولو كان نصاً من عند الله يجب أن يؤول حتى يوافق ما قاله العقل.

فإذا قلت لهؤلاء: ماذا نقول عن العقول التي حسنت الشذوذ الجنسي، وكرهت النساء عند الرجال في أيام لوط - عليه السلام-؟ وماذا نقول في عقول القوم في عصرنا الحديث الذين ترسموا خطى الشذوذ، فجعلوا الأمر أيضاً مشروعاً وبالقانون؟ هل هذه العقول يركن إليها في تحسين وتقبيح، ويؤخذ بحكمها في التحسين والتقبيح؟ لا أظن عاقلاً يقول بهذا أبداً!

ولذلك لما أخذ المعتزلة بمبدأ الرجوع إلى العقل، وانطلقوا منه، وصلوا إلى القول بنفي صفات الله؛ لأن عقولهم قالت لهم: إن الصفات إذا كانت قديمة فهي إله مع الله، ولم تستطع عقولهم رغم ذكائها أن تعي أن الإنسان محدث وصفاته التي فيه محدثة مثله، وأن الصفة تابعة للمتبوع وكذلك صفات الله ثابتة وهي تابعة لذاته قديمة مثله، ولم يرضوا بما رضي به الصحابة والتابعون، بل أرادوا أن يتفلسفوا كما تفلسف من قبلهم قروناً طوالاً فخرج على الناس يقول: الله أكبر من أن يتصرف في هذا الكون فهو خلقه ثم قعد يتفرج عليه عاجزاً عن كل إرادة وصفة وحركة، أما هؤلاء فجاؤوا ليقولوا للناس: من أجل أن ننفي عن الله الشرك، يجب أن نلغي صفاته ونقول: إنه مريد ولكن ليس بإرادة، وسميع ولكن ليس بسمع، وبصير ولكن ليس ببصر، بل هو السمع والبصر والحركة، وخرجوا من ذلك بأن لا صفات لله، وأخفقت عقولهم عن جمع الخالق وصفاته.. وغابت هذه عن

عقولهم الذكية لأنهم شغلوها فيما لا طاقة لها به، وكان أولى لهم التسليم للنص، اعتقاداً بأن العقل تقصر إمكانياته عن فهم ما لم يعط فهمه إلا من خلال بلاغ نبي روحي.

بعد هذا، هل رأيت كيف أن العقول إذا تركت تجوس في الفيافي التي لم تكلف باجتيازها تاهت وضلت وظلت تدور في الحلقة المفرغة التي اندرجت فيها منذ أن تركت التعاليم التي جاء بها الرسل ؟! ثم هي لم تستطع إقناع الممارين، بل ثارت في وجوههم مئات الأسئلة التي ظلت حائرة بلا جواب فلسفي مقنع حتى اللحظة ..!

أرأيت كيف أن الله قد هيأ للإنسان في مسيرته الحياتية، منفذين معرفيين هما: منفذ العقل والحواس، ومنفذ الوحي الذي يهيمن على العقيدة والأصول والثوابت والغيبيات، فهما المنفذان اللذان لا يستطيع الإنسان السير دونهما. فأما المجال الأول فجعل الحواس أدواته والعقل مخزنه ومحله، والعلم الدنيوي نتاجه وساحته، وأما المجال الثاني فجعل الوحي معتمده، وكيان الإنسان (عقله وقلبه وجوارحه) ساحة تدبره، والصلاح والفوز والفلاح مآله ونتاجه، وبالتالي فإن الله جعل الإنسان يسير في هذه الدنيا بهاتين الركيزتين، فإن وظف إحداهما في غير ما خلقت له اختل توازنه، وعثر في مشيته، ومال على جانبه، ثم إنه لن ينال مبتغاه من إقناع الآخرين.

ونعود الآن إلى الأمثلة، فإنني ما قدمت هذا التقديم إلا للتنبيه والتوضيح، فافهم ذلك وتدبره رعاك الله وأبقاك.

(أ) عن التيار الأول الذي تأثر بفكر المعتزلة، ووصل بالتالي إلى المنهج العقلي الإغريقي الأوروبي، سنأتي بما قاله الدكتور زكي نجيب محمود نموذجاً.

- يقول الدكتور:

(إن نهضتنا الحديثة كلها بدأت عندما دعا الداعون إلى يقظة العقل لترتبط النتائج بأسبابها الصحيحة، وكان أبرز هؤلاء الداعين إلى حكم العقل إمامُنا الشيخ (محمد عبده) الذي إذا طرحت من حصيلته تلك الدعوة إلى تحكيم العقل لم يبق منه إلا واحد كسائر الآحاد، فلقد أخذ - بكل جهده - يوضح العقائد الأساسية في الإسلام توضيحاً يبين استنادها إلى منطق العقل، فجعل الأصل الأول لهذا الدين هو النظر العقلي، وعنده أن النظر العقلي هو وحده وسيلة الإيمان الصحيح قائلاً في ذلك ...

وهذه عبارته أي (الشيخ محمد عبده): (إذا تعارض العقل وظاهر الشرع أخذنا بما دل عليه العقل) محاولين بعد ذلك تأويل ذلك الظاهر تأويلاً يعطيه من المعنى ما يتفق مع أحكام العقل)[1].

إنها دعوة حقيقية إلى منهج المعتزلة، الذي رُفض من جمهور المسلمين بمن فيهم المتكلمة وعلى رأسهم الأشعري

وعلى ضوء هذا الفهم لمهمة العقل عند هذ المفكر ومن شابهه من هذه المدرسة، مضى الماضون يفسرون الماضي والحاضر ويخططون للمستقبل، على ضوء الانبهار الذي أحدثه الإعجاب بكل ما هو آتٍ من هناك من الغرب وبناءً على ذلك (قرر التهكم على الشيخ الذي مازال يؤمن بحديث الذبابة. وهو يعيش في الربع الأخير من القرن العشرين قرن العقل والعلم)[2].

وهو في سبيل الوصول إلى هدفه، من حض الناس على أن ينقضوا بالعقل ما جاء بالنص الثابت الذي ينقض أوله آخره - على حدّ زعمه- يفرق في النفس الإنسانية بين مساحتين:

مساحة تخضع للعقل كلية، وهي تشمل علوم المادة والاختيار والإرادة، والمسؤول عنها الإنسان بإرادته الحرة وعقله الذي يخضع له كل شيء في قضايا التمييز بين ما هو باطل وما هو حق.

أما المساحة الأخرى فهي مساحة الشعور والوجدان، التي لا تخضع لعقل وهي غير مسؤولة، ولا يقال فيها هذا خطأ وهذا صواب، فحقائقها قائمة بلا برهان، وتشمل هذه المساحة الأمور الدينية الغيبية وقضايا الوجدان وغيرها من أمثالها.

إنه يريد أن يقول لك: إن الدين ليس له علاقة بالعقل والعلم أبداً، ومناقشة الدين بالعلم أو مناقشة العلم بالدين إساءة إلى الطرفين[3].

إن هذا الانفصام النكد -كما سماه سيد قطب -، جاء من الانبهار بالنظريات

---

(١) مجتمع جديد أو الكارثة، (١٩٨٣)، زكي نجيب محمود، (ط٣)،دار الشروق،بيروت والقاهرة، ص٩.

(٢) قصة عقل، (١٩٨٣)، زكي نجيب محمود، (١)، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ص١٥٠.

(٣) مجتمع جديد أو الكارثة، زكي نجيب محمود، ص٢٦.

الفلسفية الغربية؛ كالوضعية التي تبناها زكي نجيب محمود على طول الخط من حياته. لكن النظر السليم يقتضي أن يقول: إن العلم الصحيح الثابت يبرهن كل يوم على صحة عقائد دين الإسلام، وإن الإسلام كدين وعقيدة صحح ويصحح كل يوم مسار العلم وطريقه بفكره الذي يهدف إلى إنقاذ الإنسان من مهاوي التفكير المادي المبني على العقل، والمصلحة الأنانية وحسب، وذلك يشمل علوم الحياة والثقافة، التي تعيش هناك بعيداً عن القيم و الأخلاق.

في الإسلام لا يوجد فصام بين العلم والعقل من جهة، وبين العقيدة والتدين من جهة أخرى؛ فقد دعا القرآن الكريم الإنسان للتفكر في ظواهر الكون وأسراره، ليصل من خلالها إلى تدعيم الإيمان والوصول به إلى درجة اليقين العقلي والتسليم للنص الثابت؛ فالعقل موكول إليه في الإسلام التدبر والتفكر في المسلمات الغيبية، وإيجاد البراهين عليها من خلال المشاهدات، التي هي قوانين الكون وأسرار المادة، وكلما اكتشف العقل سراً جديداً أو قانوناً علمياً جديداً ثابتاً، مما يتعلق بالكون ومادته، تعمق به الإيمان في النفس الإنسانية.

والعقيدة والدين موكول إلى نصوصهما الثابتة، تصحيح مسار الإنسان في سبيله إلى اكتشاف المادة وأسرارها، وجعل هذا المسار محكوماً لمنهج أخلاقي، يحدده استخلاف الله لهذا الإنسان في إعمار الكون وتطوير الحياة، لا استخدام المادة بمنهج يطرد كل خلق وكل عقيدة، تحاول السير بالعلم نحو فلاح الإنسان، إذ يعد هذا المنهج كل تدخل من غير العقل معوقاً لمسيرة العلم والتقدم، و هو ما يريد صاحبنا أن يقنعنا به من خلال شرحه لمنهجه الفكري العام، إذ يقول: إنه - أي خطه الفكري - الإيمان بأن الفرد الإنساني مسؤول عما يفعل، وأن هذه المسؤولية لا تعني شيئاً إذا لم يكن (العقل وحده) هو مدار الحكم في كل المسائل التي تطلب فيها التفرقة بين الصواب و الخطأ. أما الموقف الذي تسوده عاطفة فلا خطأ فيه ولا صواب؛ لأن المرجع فيه إلى القلب وما ينبض به[1].

إذن فهو يَعُدُّ العقل المرجع الأول والأخير، والحاكم الأول والأخير في كل ما يمكن

---

(١) مجتمع جديد أو الكارثة، زكي نجيب محمود، ص٢٧.

أن يقال عنه خطأ أو صواب، وبما أن قضايا العقيدة وقضايا التشريع في الإسلام تتعلق بالحياة والسياسة العامة، وحياة الإنسان اليومية وتصرفاته مع الآخرين، وكل ذلك مما يقع تحت أمر التفرقة بين الخطأ والصواب، فإن كل ذلك يقع بالتالي تحت حكم العقل، والمرجع فيه إليه دون غيره. وهذا ما يريد أن يقوله لنا الدكتور، وإن لم يصرح به هنا، فقد صرح به سابقاً عندما نقلنا استحسانه للرأي القائل بأنه إذا تعارض ظاهر النص مع حكم العقل تأولنا النص حتى يلائم حكم العقل.

فانظر إلى الفوضى التي ستكون، والشرذمة التي ستحل بمجتمعاتنا الإسلامية، حيث سيحكم كل عقل فرد بما يصل إليه من فهمٍ لقضايا الغيب والعقائد والثوابت، وهاتِ يا تأويل..! وكم من التأويلات سوف نحصي حول نص واحد..؟

إنه الانفلات بلا عقال ولا عقل، أي والله لقد دعوا إلى تحكيم العقل فيما لا يدخل في حيز قدراته، وكان ذلك مدخلاً، إلى الفوضى الفكرية التي تقود الأمة إلى الهاوية، وهو ما أرادوه وهدفوا إليه، مَسُوقين بالدونية تجاه مناهج فكرية غربية مستوردة، لم تصلح مجتمعاتها، التي نشأت فيها، بل ساقتها إلى الدمار، ومبهورين بتقدم علمي تقني لم يحكمه منهج أخلاقي يقود إلى مصلحة الإنسان ونجاته. وإذا شئت البرهان فانظر إلى وسائل الدمار التي أنتجتها مناهجهم، وإلى الحروب اللاأخلاقية التي أحاطوا الكرة الأرضية بها، وكان آخرها لا أخيرها الحرب على غزة..!! هذا مع الاعتراف بأن تلك المناهج أفادت في الكثير من منتجاتها.. إلا أن الحق يقال: إنها مع هذه الفوائد جلبت العنصرية و الفوقية، ومن ثم فإنها دلفت من باب الفوائد تلك إلى أبواب شر مستطير، كان عنوانه: الهيمنة والغطرسة وعزل الأخلاق، والاستلاب وبث الحروب والقتل الجماعي تحت لافتة التفوق الأبيض..!!

لقد تبنى الدكتور الفلسفة الوضعية التجريبية، كما يقول منذ عام ١٩٤٦م، وحتى هذه اللحظة[١].

وهو ينطلق منها في كل ما يعترضه من مشكلات. وقد شرح هو أصول هذه

---

(١) قصة عقل، زكي نجيب محمود، ص٩٢.

الفلسفة التي تبناها؛ إذ قال: (والفلسفة التي نشأت من ذلك الاتجاه العلمي، هي الفلسفة التي جرى الاصطلاح أن تسمى بالفلسفة الوضعية، وجوهرها أن تجعل صدق الحواس أصلاً لا يناقش؛ لأنه من تلك الفروض المطلقة، التي تنبني عليه معرفة العصر واتجاهاته الفكرية)[1].

وإذن فكل ما عارض الحواس والمشاهدات، هو خارجَ هذه الفلسفة، فهي لا تؤمن به، لأنه لا يقع ضمن ما يقال عنه خطأ أوصواب كما عبر هو عنه، أي أن الغيبيات في الإسلام لا يمكن الاعتقاد بها ما لم تؤول وتعطى معاني حسية، يمكن مشاهدتها والاقتناع بها.

(ب) وأما أمثلة التيار الثاني الذي تأثر بفكر المعتزلة، فسوف نقتطف نصوصها من أكثر من ممثل لهذا التيار.

- إن الإيمان بالغيب هو بجد ذاته: علم شرعي وعقل يتدبر ويفهم، وما أكثر الأشياء في هذا العالم التي اعترف العلم حتى الآن بغيبيتها، وأنها مجهولة عنده في كنهها، وأصل تكوينها، ولم يعب أحد على العقل أن يقول: إنه لا يدرك إدراكاً علمياً قطعياً، كيف نشأ هذا الكون أو لماذا يتكون هذا الإنسان العاقل الجميل من خلال لقاء بين رجل وامرأة، إلى آخرما هنالك من قضايا في النفس الإنسانية اعترف العقل بعجزه عن معرفة كنهها، وكيف تدور ولماذا؟

إن العقل اعترف بغيبية هذه الأشياء، ولكن كثيراً من المغرورين يذهبون إلى القول: إن كل شيء في العالم خاضع لسلطان العقل، والعقل وحده هو القادر على القرار فيها، وأمام هذا الغرور قام بعض صالحي النية يريدون دفع ما اتهم به الإسلام وأهله من عقلية غيبية، فراحوا يحاولون بهرجة كتبهم بألفاظ العلم، وربط الآيات والنصوص الإسلامية الأخرى بما اكتشفه العلم، ولو كان غير قطعي، مترسمين بذلك منهج المعتزلة، بالاعتماد على العقل والتهوين من أمر النقل.

ومن هؤلاء الأعلام الذين أرادوا الدفاع عن الإسلام شأنهم شأن المعتزلة الأوائل: الشيخ الأمام محمد عبده، وطنطاوي جوهري، ومحمد فريد وجدي، وسلسلة طويلة

(١) المرجع السابق، ص٧٥.

دخلت في هذه المدرسة، واستمرت تحمل رايتها، وتتبع منهجها، دون أن ينتبهوا إلى ما جرّته هذه البادرة الأولية التي حملت الغيرة على الإسلام والحرقة على كيانه من تطور غير حميد مع مضي الزمن و انزلاق الخطى لدى الأتباع و المريدين، وذلك كما حدث مع رواد المعتزلة الأوائل، و ما جرّته خطواتهم الأولى من انحرافات بعدهم.

والآن إلى الاقتباسات من نصوص هذه المدرسة التي اتخذت من العقل حكماً في الاستدلال، مع احترامنا لنواياهم الصالحة، و غيرتهم الحقة على الدين، وقصدهم النبيل في الدفاع عن الإسلام والذب عن حياضه المفترى عليها.

أما الشيخ محمد عبده – رحمه الله –، فقد ذهب كما رأينا في نقل سابق عنه إلى أنه إذا تعارض ظاهر النص مع حكم عقلي أخذنا بحكم العقل، وتأولنا ظاهر النص، ليلائم العقل، كما ذهب بناءً على ذلك إلى تفسير (إصابة العين) الواردة بنص الحديث تفسيراً عقلياً فقال: إن هذه الإصابة لا تكون بمجرد النظر، بل هي تحدث جراء قيام المصاب بفعل إيجابي معجب أمام صاحب العين، أو أن المصاب يكون فيه صفة معجبة يستهولها صاحب العين، فيؤدي ذلك إلى الأذى. وقد فعل الشيخ ذلك لينفي عن النص الغيبة، مع أن الشيخ لو عاش إلى أيامنا هذه لوجد العلم العقلي يؤيد الإصابة بالعين بمجرد إرسال إشعاع خاص من عين بعض الناس.

ولقد شرح الشيخ محمد عبده منهجه الذي ارتضاه بقوله: (لا ينبغي للإنسان أن يذل فكره لشيء سوى الحق، والذليل للحق عزيز. نعم يجب على كل طالب أن يسترشد بمن تقدمه، سواء أكانوا أحياءً أم أمواتاً، ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم، فإن وجده صحيحاً أخذ به، وإن وجده فاسداً تركه، والحاصل أن الفكر الصحيح يوجد بالشجاعة، والشجاعة هنا قسمان: شجاعة في رفع القيد الذي هو التقليد الأعمى، وشجاعة في وضع القيد (العقل)، الذي هو الميزان الصحيح، الذي لا ينبغي أن يقرر رأياً ولا فكراً إلا بعد ما يوزن به، ويظهر رجحانه وبهذا يكون الإنسان حراً خالصاً من رق الأغيار عبداً للحق وحده)[1].

ويعلق الدكتور محمد البهي على هذا المنهج، بأنه التبرير العقلي الذي يعرف

---

(١) رسالة التوحيد، ص٩، نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، د. محمد البهي، ص١٥٣.

للمدرسة الاعتزالية ولفلاسفة المسلمين[١].

وقد أوصل هذا المنهج الشيخ إلى وجوب (موافقة الوحي للعقل، حيث إن الـوحي أثر من آثار الله، والعقل الإنساني أثر أيضاً من آثـار الله في الوجـود، وآثـار الله يجـب أن ينسجم بعضها مع بعض ولا يعارض بعضها بعضاً)[٢].

وأنت تلاحظ من كل هذا أنه يترسـم في طريقـة إثباتـه لإرادة الإنـسان الحـرة، وفي إثباته لدور العقل في العقيدة الإسلامية، ليصل إلى التوافق مع مـذهب الاعتـزال..! فهـو يقول: إن القرآن الذي هو الوحي خلق من خلق الله، و إن قال ذلك بصورة غير مباشرة، ثم جعل العقل حكماً على هذا الوحي..!! هذا مع الحذر الذي تقتضيه العلمية؛ فالـشيخ لم يذهب مع الاعتزال إلى آخر الشوط.

واستمع إليه يدعو إلى الشجاعة في إعمال العقل في الدين إذ يقول:

(إن استعمال الفكر والبصيرة في الدين يحتاج إلى الشجاعة وقـوة الجنـان (العقـل)، وأن يكون طالب الحق صابراً ثابتاً لا تزعزعه المخاوف، فـإن (فِكْـرَ الإنـسان) (عقلـه) لا يستعبده إلا الخوف من لوم الناس واحتقارهم له إذا هو خالفهم، أو الخوف من الـضلال إذا هو بحث بنفسه، وإذا كان لا بصيرة له ولا فهم فما يدريـه لعـل الـذي هـو فيـه عـين الضلال)[٣].

إذن فهو تحريض على اتخاذ العقل (الفكر والبصيرة) أساساً في الحكم على الأشـياء بما فيه، وهذا رفيق العظم تلميذ محمد عبده يدعو إلى إصـلاح الـدين لا إصـلاح مفـاهيم الناس عن الدين[٤].

وهذا طنطاوي جوهري تلميذ الشيخ الإمام محمد عبده يقول في مجال تقريب علـوم الغرب من الدين، وقراءاته عن مذهب دارون بما يأتي:

(إني قرأت تلك المحاورات، وعلمت ما في تلك القضيات، ولم أر شيئاً يغاير الـدين،

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٩.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (١٩٨٢)، د.محمد محمـد حـسين، (ط٥)، مؤسـسة الرسـالة، بيروت، ج١، ص٣٤٤.

(٤) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٧.

ولا فكراً يضر بعقائد المسلمين؛ فالإسلام يأمر الناس باليقين، ولا يقين إلا بالعلوم التي يسميها الناس عصرية، وهي في الحقيقة علوم إسلامية)[١].

أرأيت إذن (لا يقين إلا يقين العلوم العصرية)، أما اليقين بالكتاب والسنة فلا، إن لم تدعمه العلوم وتؤكده !

وزاد على ذلك فنفى تعارض نظرية دارون مع الألوهية، مع أن العالم كله استند في جزء من إلحاده العصري على نظريته، التي لم يتم القطع بصحتها حتى الآن، بل إنها عورضت من كثيرين .. وهذا يكفي لجعلها علماً غير يقيني.

(قد علمتم أن مذهب دارون قد رجع إلى قضيتين اثنتين، و هما لا تنافيان الألوهية؛ فدلالة «العالم المنظم»- يعني بهذه العبارة نظرية الخلق عند دارون مع أن العلم نقضها بعد دارون - على الله قضية كلية، لا يختلف فيه المحققون، وإن غفل عنها الكثيرون)[٢].

ورد نظرية دارون إلى أنها من اكتشاف علماء المسلمين، وذلك عندما قال: (ولقد كانت هذه القضية - أي قضية العالم المنظم المرتب - حسب قوانين (مادية نافذة) سراً مكنوناً عند علماء الإسلام، كم أخفوها عن العوام)[٣].

ثم دعا الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري إلى أن يوثق الناس إسلامهم بقراءة العلوم ومعرفتها، فقال: (فقراءة التشريح و الطبيعة والكيمياء وسائر العلوم العصرية، ودراسة الحيوان والنبات والإنسان أجل عبادة، وهي أفضل من سائر القربات كما شرحه العلماء)[٤]، (أي أفضل من الفقه وأصوله والعبادات .. وغيرها).

أرأيت ؟! إنها دعوة إلى الاقتداء بمتكلمي المعتزلة سابقاً، الذين فضلوا علوم الكلام على علوم أصول الدين، فهي عندهم أفضل من علم الفقه الذي هو علم الفروع كما سمّوها، ومع ذلك فهو لم يمض معهم في كل سبلهم، و إلى آخر مرادهم..

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨ / ٣٥٩.
(٢) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨ / ٣٥٩.
(٣) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨ / ٣٥٩.
(٤) المرجع السابق، ج١، ص٣٥٨ / ٣٥٩.

وبهذا نختتم جوابنا على السؤال؛ إذ بيّنّا أثر مذهب الاعتزال في المسلمين حتى اليوم، و وضّحنا خطورة تبني هذا المذهب بسبب ما يعطيه للعقل من مساحة واسعة، لا تقع ضمن طاقته، ولا في حدود قدراته، و هو مدخل للفوضى عظيم، و مسرب إلى الإلحاد و ازدراء النص عريض، فانتبه و تدبر و اختر.

وختاماً: ماذا بعد؟

إنه من خلال ما قدمت من شروح عن أهم الفرق، أستطيع القول الآن – وأنا أقف عند النهاية، وأنظر إلى الوراء، فتبدو الصورة أمامي واضحة بينة -: إن هذه الفرق التي قامت ونمت، وفسدت وأفسدت وخربت مستغلة تسامح الإسلام و أهله، يمكن وصفها في سلسلتين:

١- سلسلة أنشأها الحقد على الإسلام وعلى دولته، والحنين إلى استعادة ما كان من مملكات وثنية فاسدة ظالمة، بعد أن هدم الإسلام كيان تلك الممالك الضالة الظالمة.

٢- وسلسلة أخرى، أنشأتها الغيرة على الإسلام ودولته، من أن يُبَدَّل في مبادئه، أو أن يُستَبدّ بأهله، فيساسوا بغير أحكامه، بعد أن تغير عليه عقائد الضلال والفساد. إلا أن هذه السلسلة، التبس عليها الأمر، فاختارت سبلاً سارت بها في النهاية إلى مسلسل من الزيغ، كاد يعصف بالمجتمع الإسلامي وعقائد المسلمين.

أما ما يجمع هؤلاء جميعاً فهو نظرتهم إلى العقل والنقل، ففرق السلسلة الأولى: دخلت في باب إهمال النقل برسمه و فهمه، آخذة بهوى العقول، التي قالت بالظاهر والباطن والتأويل؛ فوصل بهم ذلك إلى تغيير عقائد الإسلام بالجملة، والدخول في مجموعة من التلفيقات العقائدية المأخوذة من وثنيات العالم القديم أو تحريفات اليهودية والنصرانية. وكان على رأس هؤلاء فئات من الإمامية ذهبوا بعيداً في التلفيق، فضلاً عمن أطلنا الكلام عنهم في مباحث الكتاب.

وأما الثانية: فكانت بفئتيها (الخوارج والمعتزلة) متناقضتين في مآلاتهما؛ فالخوارج أهملوا الحكمة، واعتمدوا على حرفية النص، لكنهم أعملوا هوى عقولهم في فهمه والتصرفات التي تبنى على ذلك الفهم. بينما وضعت المعتزلة منذ البداية العقل في المقام الأول والصف الأول، وحَكّمته حتى في النصوص الشرعية، وقالت بوجوب توافق

النص مع العقل أبداً، وإلا فحكم العقل أولى بالاتباع، ويؤول النص ليتوافق معه. ومن هنا بدأ الضلال والهدم، من حيث أرادوا البناء والدفاع.

وأما أتباع السلسلة الأولى، فقد انتهوا إلى أقليات منبوذة متفرقة في أنحاء العالم الإسلامي اليوم عدا الإمامية التي ضمت أعداداً كبيرة من المسلمين منظمة وذات مرجعيات ومرتبات متشددة، وهم يحاولون التحرك الآن مستغلين العداء للإسلام الذي تتبناه كثير من الأنظمة، ومستخدمين ما بين أيديهم من قوى سلطوية و مالية.

وأما أتباع السلسلة الثانية: فقد انتهوا كفرق، لكن أفكارهم ومناهجهم، وطريقة تفكيرهم ظلت تعمل نشطة من خلال التيار الإسلامي العام، الذي بدأ صحوته المباركة منذ أوائل النصف الثاني من القرن العشرين.

ومن خلال هذا التلخيص نستطيع استفادة درس عظيم، يقول لنا اليوم: إن المعركة الدائرة ضد الإسلام، أنشأتها في التاريخ أفكار غريبة مستوردة، وعملت على تأجيجها في غالب الأحيان عناصر مريبة في أهدافها، وغاياتها، كما هي غريبة في الغالب الأعم في دمها، وعرقها، وفكرها، وقلبها، وعواطفها.

إنه في عصرنا نجد هذا الاستنتاج يعمل؛ إذ إن من يقف في مواجهة الإسلام ودعاته هم مهوسو الأفكار الغربية المستوردة، و أيضاً أصحاب الأيدي الشعوبية البعيدة عن الأمة في الغالب، جنساً وفكراً وقلباً وعاطفةً؛ فكل من هؤلاء يتصدى لفكر الإسلام وأهله، فينبذ الهدى ويزيغ عن الإسلام، ويعمل معول التخريب في فهم نصوصه، وامتطاء التواءات الفكر لتخريج أفكار تحت مسمى التحديث والتجديد، ويهزأ بتاريخه وتطبيقاته، ويحارب بشراسة وظلم كل من يدعون إليه، ويحملون رسالته في هذا العصر، وذلك تحت عناوين الحرية والديمقراطية، والمرونة والانفتاح، والعلم والعقل، والحداثة والتقدم، وهو بذلك فارق عناصر الانتماء لثقافة الإسلام وعقيدته وشريعته، ونأى عن أسباب التعايش مع اختلاف الفهم المتزن للنصوص الصحيحة والمتون القويمة.

وبناءً على ما تقدم، فإن هدف هذه الدراسة إنما هو التنبه و التدبر، و لمعرفة ما يدور حولنا و ما يدبر لأمتنا، لنكون واعين، فنتخذ الوسائل المكافئة، مستذكرين قول الفاروق - رضي الله عنه -: «لست بالخب، ولا الخب يخدعني». وأهم ما في هذا الوعي،

هو معرفة الفرق المغرقة بالسياسة، وكيف تعمل، وإلى ماذا تهدف.

والله نسأل أن يلهمنا السداد والرشاد، وأن يسخر عقولنا فيما ينفع أمتنا، وأن يجنبنا مهالك الهوى ومزالق الشيطان ونزغه، وأن يسمو بنا فوق بخور مشعوذي الفكر، ومنتمي الخداع، ممن ناجزوا هذا الدين وبارزوه، ونعتوا أهله الداعين إليه بمختلف الصفات نساءً ورجالاً، شيوخاً وشباباً، وزينوا عداءهم للإسلام بلافتات براقة خادعة .. اللهم انصر هذا الدين و انصر حملته .. آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وحرره:

محمد السيد

عمان.. في:

المصادر والمراجع

١. الإبانة، أبو الحسن الأشعري.
٢. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، (١٩٨٢)، محمد محمد حسين، (ط٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣. الاحتجاج، الطبرسي.
٤. أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي.
٥. إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ماسينيون المستشرق (أوبرافيور والسنجاري).
٦. أصول الإسماعيلية، برنارد لويس.
٧. أضواء على الحركات الهدامة (ثلاث رسائل عن القاديانية)، (د.ت)، الندوي والمودودي ومحمد الخضر حسين، (د.ط)، مكتبة دار البيان، الكويت.
٨. الإمام زيد، حياته وعصره وآراؤه وفقهه، (د.ت)، محمد أبو زهرة، (د.ط)، المكتبة الإسلامية، بيروت.
٩. البداية والنهاية، (١٩٨٥)، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٠. البهائية، محب الدين الخطيب.
١١. البهائية والقاديانية، محمد حسن الأعظمي.
١٢. تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي، جسن إبراهيم حسن.
١٣. تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، محمد عبدالله عنان.
١٤. تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن نسيمات.
١٥. تاريخ الطبري، الطبري، طبعة أوروبا.
١٦. التبصير في الدين، الإسفراييني.
١٧. تلبيس إبليس، ابن الجوزي البغدادي، ١٣٦٨هـ، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٨. تيارات الفكر الإسلامي، (١٩٨٥)، محمد عمارة، (د.ط)، دار الوحدة، بيروت. لبنان.
١٩. جريدة الأخبار القاهرية، عدد: ١٦_/ ٣/ ١٩٧٢م.

٢٠. الجـذور التاريخيـة للنـصيرية العلويـة، (١٩٨٠)، الحـسيني عبـدالله، (ط١)، دار الاعتصام، القاهرة.
٢١. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (عقائدها وحكـم الإسـلام فيهـا)، (١٩٨٤)، محمد أحمد الخطيب، (ط١)، مكتبة الأقصى.
٢٢. حقيقة البابية والبهائية، (د.ت)، محسن عبد الحميد، (ط٢)، المكتب الإسلامي.
٢٣. الخمينية وريثة الحركات الحاقـدة والأفكـار الفاسـدة، (١٩٨٨)، وليـد الأعظمـي، (ط١)، دار عمار، عمان.
٢٤. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي.
٢٥. دراسات في الفرق والعقائـد الإسـلامية، (١٩٨٤)، عرفـان عبـد الحميـد، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٦. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، (١٩٨٦)، عبدالله الأمـين، (ط١)، دار الحقيقة، بيروت.
٢٧. دراسات في الفلسفة الإسلامية، محمود قاسم.
٢٨. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، (١٩٨٣)، أبـو الحـسن علـي الحـسني النـدوي، (ط٧)، دار القلم، الكويت.
٢٩. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، (د.ت)، محي الـدين أبـو زكريـا، (د.ط)، الوكالة العامة للنشر، بيروت.
٣٠. الـسيرة النبويـة، (د.ت)، ابـن كـثير، تحقيـق: مـصطفى عبـد الواحـد، (د.ط)، دار المعرفة.
٣١. صحيح مسلم بشرح الإمـام محيـي الـدين النـووي،(١٩٩٤)، مـسلم بـن الحجـاج النيسابوري، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (ط١)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣٢. ضحى الإسلام، أحمد أمين.
٣٣. العقائد الباطنية، (١٩٨٦)، صابر طعيمة، (ط١).
٣٤. العقيدة والشريعة، جولد زيهر.
٣٥. العلويون، عبد الحسين مهدي العسكري.

٣٦. العلويون والنصيريون، أبو موسى الحريري.
٣٧. الفَرق بين الفِرق، البغدادي.
٣٨. فِرق الشيعة، النوبختي.
٣٩. فضائح الباطنية، الغزالي .
٤٠. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، محمد البهي.
٤١. الفكر السامي، محمد الحجوي.
٤٢. في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي .
٤٣. القاديانية، (١٩٨١)، أبو الأعلى المودودي، (د.ط)، دار القلم.
٤٤. القاموس المحيط، (د.ت)، الفيروزأبادي، (د.ط)، (د.ن).
٤٥. قراءة في وثائق البهائية، عائشة عبدالرحمن.
٤٦. القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقاتهم بالفاطميين)، (١٩٧٨)، ميكال يان دي خويه، ترجمة وتحقيق: حسني زينة، (ط١)، دار ابن خلدون، بيروت.
٤٧. القرامطة، عارف تامر.
٤٨. قصة عقل، (١٩٨٣)، زكي نجيب محمود، (ط١)، دار الشروق، بيروت.
٤٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،(١٩٨٥)، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين البرهان فوري، ضبطه وصححه: بكري حياني وصفوة السّقا، (ط٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٠. مجتمع جديد أو الكارثة، (١٩٨٣)، زكي نجيب محمود، (ط٣)، دار الشروق،بيروت والقاهرة.
٥١. المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، (١٩٨٦)، محمد الحسن، (ط١)، دار الثقافة، الدوحة، قطر.
٥٢. المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، (١٩٨٥)، عبدالرحمن عميرة، (٣)، دار الجيل، بيروت.
٥٣. المصحف المنفرد بذاته، كمال جنبلاط.
٥٤. المفاوضات، (محادثات على المائدة)، عبد البهاء.

٥٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، (١٩٦٩)، أبو الحسن علـي بـن إسماعيـل الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، (ط٢)، (د.ن)، القاهرة.
٥٦. المقالات والفِرق، سعد القمي.
٥٧. الملل والنحل، (د.ت)، الشهرستاني، تحقيق: عبدالعزيز الوكيل، (د.ط)، دار الفكر، لبنان، بيروت.
٥٨. النصيرية، (٢٠١٠)، عبدالرحمن بدوي، (ط١)، دار اليقين، لبنان، بيروت.
٥٩. النصيرية، تقي شرف الدين.
٦٠. واحة العقل، الكرماني الإسماعيلي.

فهرس الكتاب

الباب الأول: الباطنية

الباب الثاني

الباب الثالث